مشكلات الوراثة في مملكة بيت المقدس

وأثرها على تاريخ الحركة الصليبية

١١٣١ - ١١٨٧ م

الدكتور عبد الحفيظ محمد علي

كلية الآداب بسوهاج — جامعة أسيوط

الطبعة الأولى

١٤٠٥ هـ — ١٩٨٤ م

دار النهضة العربية

للطبع والنشر والتوزيع

مشكلات الوراثة في مملكة بيت المقدس

وأثرها على تاريخ الحركة الصليبية

١١٣١ - ١١٨٧ م

الدكتور عبد الحفيظ محمد علي

كلية الآداب بسوهاج ـ جامعة اسيوط

الطبعة الأولى

١٤٠٥هـ ــ ١٩٨٤م

مقدمة

لم تكن الوحدة الاسلامية التى بدأت على يد عمـاد الدين زنكى وابنه نور الدين محمود والتى تمت على يد صلاح الدين الأيوبى هى السبب فى انهيار المملكة اللاتينية الأولى فى بلاد الشـام ، انما السبب الحقيقى لذلك الانهيار هو مشكلات الوراثة التى بدأت فى الثلاثينات من القرن الثانى عشر للميلاد ، وذلك عندما وصلت النساء الى حـكم الامارات الصليبية فى الشرق الأدنى ، ولا شك أن الوحدة الاسلامية كان لها دور ، حيث أنتهزت الخلافات الداخلية التى وقعت بين الصليبيين بسبب نظام الوراثة ، واستطاع صلاح الدين الأيوبى أن يوجه الضربة القاضية للكيان الصليبى فى حطين عام ١١٨٧ •

وقسمت هذا البحث الى تمهيد وأربعة فصول ، وتناولت فى التمهيد نظام الوراثة عند الصليبيين بايجاز ، وبينت الخصائص الأساسية لهذا النظام فى ضوء مجموعة القوانين الخاصة بمملكة بيت المقدس وكتابات المؤرخين المعاصرين ، وتوصلت الى أن النظام الذى وضعه الصليبيون كان فى البداية انتخابيا ثم تحول الى نظام وراثى •

وأفردت الفصل الأول للحديث عن عصر الملك فولك وأوضحت بأن الملك بلدوين الثانى قام قبيل وفاته بتحويل نظام مملكة بيت المقدس من نظام الانتخاب الى نظام الوراثة ، وتتبعت الصراع على السلطة بين الملك فولك وزوجته مليسند الوريثة الشرعية لملكة بيت المقدس ، وبينت بأن هناك ارتباطا وثيقا بين هذا الصراع والثورة التى قام بها هيو كونت يافا ضد الملك فولك فى عام ١١٣٢ م •

وخصصت الفصل الثانى لدراسة عصر الملكة مليسند والملك بلدوين الثالث ، فقد تولت مليسند الوصاية على ابنها القاصر بلدوين الثـالث

حيث توج معها ملكا على بيت المقدس ، وأوضحت بأن مليسند سيطرت على شئون المملكة وحاولت أن تمنع ابنها بلدوين من الوصول الى السلطة، وتتبعت الصراع المرير الذى نشب بين مليسند وابنهـا الملك بلدوين الثالث ، وبينت كيف أن مليسند لم تستطع أن تنقذ مدينـة الرها من السقوط فى يد عماد الدين زنكى ، ثم أوضحت بأن الصراع على السلطة بين مليسند وبلدوين الثالث كان من أهم الأسباب التى أدت الى فشـل الحملة الصليبية الثانية فى عام ١١٤٧ م •

وتناولت فى الفصل الثالث عصر الملك عمورى الأول ، وبينت كيف أن الأمور اضطربت فى مملكة بيت المقدس ، بسبب الصراع الذى احتدم بين الحزب الذى يساند مليسند والذى تزعمه عمورى بعد وفاتها ، وحزب الملك بلدوين الثالث الذى عارض بشدة وصول عمورى الى عرش مملكة بيت المقدس ، وحاول العودة الى نظام الانتخابات ، ثم أوضحت بأن الأوضاع الداخلية فى مملكة بيت المقدس تدهورت بسبب مشـكلات الوراثة ، وأدى ذلك الى ارتماء عمـورى الأول فى أحضـان الدولة البيزنطية ، وبينت أن الصليبيين سعوا بأنفسهم للقضاء على دولتهم ، وذلك عندما فكر عمورى فى الاسـتيلاء على مصر ، لأن ذلك أدى الى تعجيل الوحدة بين مصر ودمشـق •

وجعلت الفصل الرابع والأخير لدراسة عصر الملك بلدوين الرابع والملك بلدوين الخامس وجاى لوزجنان ، وبينت بأن نظام الوراثة أصبح راسخا لدرجة أن بلدوين الرابع وصل الى العرش وهو طفل مـريض لا حول له ولا قوة ، وتكلمت عن ريموند الثالث أمير طرابلس الى كان من أكفأ الصليبيين فى هذه الفترة ، ولقد تولى الوصاية على المملكة لمدة قصيرة فى عصر بلدوين الرابع ، ونشب نزاع بينه وبين الملك بعد انتهاء فترة الوصاية ، وذلك لأن بلدوين كان يخشى وصوله الى عرش المملكة نظرا لكفاءته ، وأشرت الى تمرد جاى لوزجنان زوج سـبيلا على الملك بلدوين عندما قام بعزله عن وصاية المملكة ورفضه الخضوع لأوامر الملك

وحاولت أن أعطى صورة عن الحزبين المتصارعين ، وبينت كيف أن الحزب المعارض ريموند الثالث نجح فى العمل على وصول جاى لزوجنان الى عرش مملكة بيت المقدس وكان غير كفء لشغل هذا المنصب • وأوضحت بأنه فى الوقت الذى سادت فيه الانقسامات والخلافات بين صفوف الصليبيين كان صلاح الدين الأيوبى قد قطع شوطا كبيرا فى توحيد القوى الاسلامية ، واستطاع فى النهاية أن يحطم القوة العسكرية الصليبية ، وترتب على ذلك انهيار المملكة اللاتينية الأولى •

هذا وأوردت فى آخر البحث عددا من الملاحق تتكون من وثائق لها أهميتها فى هذه الدراسة تمت ترجمتها لأول مرة من لغتها الأصلية الى اللغة العربية •

وبعد فأرجو الله سبحانه وتعالى أن أكون قد وفقت فى اعداد هذا البحث •

عبد الحفيظ محمد على

القاهرة / / ١٩٨٤ م

/ / ١٤٠٥ هـ

تمهيد

عندما جاء الصليبيون فى أواخر القرن الحادى عشر الميلادى ليستقروا فى بلاد الشام نقلوا معهم نظم وقوانين غرب أوروبا ، غير أنهم لم ينقلوها الى الشرق برمتها ، بل حدث فيها تعديل وتبديل حتى تتناسب مع البيئة الجديدة ، وقبل أن نتناول مشكلات الوراثة فى مملكة بيت المقدس يحسن بنا أن نمهد لذلك بايجاز عن نظام الوراثة فى تلك المملكة لما فى ذلك من صلة وثيقة بالموضوع •

لمعرفة الخصائص الأساسية للملكية فى المملكة ، وهل كانت بالانتخاب أو بالوراثة ؟ لدينا نوعان من الوثائق تسمح بالاجابة عى هذا السؤال : النوع الأول من هذه الوثائق النصوص التشريعية ، وهى مجموعة القوانين الخاصة بمملكة بيت المقدس والتى دونت فى القرن الثالث عشر للميلاد ، والنوع الثانى هو كتابات المؤرخين المعاصرين •

وعندما نبحث النوع الأول وهو النصوص التشريعية يبدو لنا أن التاج كان وراثيا ولا نجد نصوصا تبين أن التاج بالانتخاب ، فقد قرر المشرع الصليبى قوانين ثابتة للوراثة ، ونجد ذلك واضحا مفصلا فى أقدم قوانين بيت المقدس وهو كتاب الى الملك ، فاذا كانت الملكة الحاكمة التى آلت اليها المملكة ماتت وتركت ورثة نتيجة لزواجها لأكثر من زوج واحد ، فان ابناءها من الزواج الأول يكون من حقهم وراثة العرش ويتقدم فى ذلك الذكور على الاناث ، ونلاحظ أن الاناث من الزواج الأول يكون لهن الأفضلية فى الوصول الى العرش عن الذكور من الزواج اللاحق فالبنت من الزواج الأول لها الأسبقية فى أن تكون ملكة عن ولد من الزواج الثانى ، مع أن الولد من الزواج الثانى له الاسبقية على أخت

أكبر منه ولدت من نفس الزواج الثانى • وتكون الوصاية الى أقـرب الأقارب سواء من الذكور أم الأناث ، ولكن اذا لم يبق أطفال من الزواج الأول فان التاج يعود على الابن البكر من الزواج الثانى[١] •

نجد أيضا كتاب حنا دى ابلين لا يشير الى فكرة الانتخاب ، وعندما تحدث عن التتويج أشار بأن التاج لم يخرج من نفس العائلة فجودفرى دى بوايون أول ملك على بيت المقدس رفض أن يضع على رأسه تاجا من ذهب ، ثم خلفه أخوه بلدوين الأول وبعد بلدوين الأول قريبه بلدوين الثانى وهذا الأخير وصل نسيبه فولك الى عرش المملكة ، وفولك أعطى السلطة لابنه بلدوين الثالث وبلدوين الثاث لأخيه عمورى وهذا لابنـه بلدوين الرابع ، ويتبين من ذلك عدم وجود أى فكرة للانتخابات[٢] ، وفى الحقيقة حنا ابلين لم يذكر أن الملكية كانت حقا متوارثا ، لكن يمكننا أن نفهم بأن مبدأ الانتخاب كان يختفى أمام مبدأ الوراثة ، كما أن حنـا ابلين فصل باسهاب قوانين وراثة الاقطاعات ، وهذه القوانين تنطبق على العرش لأن العرش كان يعتبر اقطاعا[٣] •

وأيضا نفس الانطبـاع مستخلص من قراءة كتاب وثائق خاصـة بوراثة العرش والوصاية حيث يوجد عرض للنزاع بين هيو لوزجنـان صاحب أنطاكية وهيو دى بريين أمام المحكمة العليا عام ١٢٦٤ م ، وهذان المدعيان يتباريان مباراة قضائية ، كل واحد يقدم مستنداته للوصـاية

(1) Livre au Roi : Assises de jerusalem, pp 609 — 610.
— La Monte : feudal Monarchy, pp. 49—50.
— Dodu. G : institutions Monarchiques de jerusalem. pp. 106 — 107.

(2) Livre de jean d, ibelin : op. cit, pp, 428—29.
— Dodu. G : op. cit, pp 107—108.
— La Monte : op. cit, pp 50—51.

(3) Dodu. G : op. cit, pp 107—108.
— La Monte : op. cit, pp 50—51.

وذلك لتولى حقوق الميراث ، وكــلا الاثنين يرتكز على عوائد المملكة ، والدلائل التى يقدمها هذان الشخصان ذات معنى اذ ترتكز عى حــق القرابة ، ولهذا فان الوثائق الرسمية لا تفصح بأن الملكية تمت عن طريق انتخاب الأعيان والنبلاء[٤] •

لكن النوع الثانى من الوثائق كان على العكس من ذلك فان المؤرخين قد أشاروا الى تدخل الأشراف والنبلاء فى اختيار الملك أو الاعتراف به والمؤرخ راؤل دى كين يروى بأن جودفرى قبل أن يموت نادى بالقرب منه البطرك دايمبرت والأمراء الآخرين وطلب منهم اختيار خليفة له لأنه شعر بدنو أجله (ثم انه قبل وفاته استدعى البطرك دايمبرت وارنولف والباقين فقال لهم انى أموت وأريد أن تجتمعوا وأنا على قيد الحيــاة وتختاروا من يخلفنى فى حكم القدس ، فقالوا له اننا نترك لك هــــذا الأمر ونقبل من تعينه ، فقال ان كان الأمر لى فانى أرى بأن أخى بلدوين يصلح للحكم ، ولمــا سمعوا ذلك أعربوا جميعا عن موافقتهم)[٥] • وقد أشار أيضا الى تدخل الأشراف فى اختيار الملك زيمرن وفولشر ووليــم الصورى[٦] ، وليس فقط المؤرخون الغربيون وحدهم الذين ذكروا مبدأ الانتخاب ، انما نجد أيضا المؤرخة البيزنطية انا كومنين وهيثوم كونت دى جريجيوس يشيران الى ذلك[٧] •

---

(4) Documents Relatifs,a la successibilitè au trone et,a la regence, Assises de jerusalem p 401 et suiv t. 2.

(5) Raul de caen : Gesta Tancred in Expeditione Hierosolymitana in R. H. C. occ, p 705, t. 3.

(6) Chronique de Zimmern p 29 dans Arch, de L, orient Latin, t. 2.

— Fulcher of charters : A hist of the expedition to jerusalem p. 137.

— William of tyre : A hist of deeds done beyond the sea , p. 415, t. I.

(7) Anna comnena : The Alexiade p. 288.

— Hetoum comte de Gorigos : in Documents, Arm, t. I, pp. 472—73.

غير أننا نلاحظ أن المؤرخ العربى عماد الدين الكاتب خرج عن هذه القاعدة ولم يشر الى تدخل الأشراف[٨] اذ يقول « وعادتهم أنه اذا مات ملك ينتقل ملكه الى ولده وسواء فى هذا الميراث الذكور والاناث . فيكون الملك بعد الابن اذا لم يخلف ابنا للكبرى فاذا توفيت عن غير عقب كان للصغرى »[٩] .

وقد وقع حدث فى عهد بلدوين الأول يكشف لنا عن المكانة المرموقة التى تطور اليها الدستور فى المملكة ، وهذه الحادثة توضح لنا كيف فكر وحاول الملوك أن يجعلوا العرش وراثيا ، وكيف هب بارونات المملكة لكى يحتفظوا به انتخابيا . ففى عام ١١١٣ م ماتت زوجة بلدوين الأولى وطلق زوجته الثانية التى كانت من أصل أرمنى ، ولذلك تزوج بلدوين الأول من ادلاياد Adelaide أرملة روجر صاحب صقلية ، ولقد حملت الى بيت المقدس أموالا طائلة كانت المملكة فى مسيس الحاجة اليها . وكانت من ضمن الشروط التى تمت الموافقة عليها فى عقد الزواج ، أنه فى حالة وفاة بلدوين دون أن يخلف ذرية فان عرش بيت المقدس ينتقل الى روجر ملك صقلية ابن ادلاياد من زوجها الأول ، غير أن البارونات وبطرك بيت المقدس لم تكن لديهم الرغبة فى نقل عرش المملكة الى ملك صقلية . لذلك عندما مرض بلدوين الأول فى مارس ١١١٧ م ولم ينجب أولادا من ادلاياد تمت الدعوة الى اجتماع مجلس من رجال الدين والبارونات ، وتقرر فى هذا المجلس بطلان زواج بلدوين الأول من ادلاياد بسبب وجود قرابة بين الاثنين ، وعادت ادلاياد فى الحال الى صقلية حيث ماتت فى السنة التالية[١٠] .

---

(٨) المؤرخ وليم الصورى عندما تكلم عن بلدوين الثالث وبلدوين الرابع أشار الى أن العرش كان عن طريق الوراثة . انظر :

William of tyre : op. cit, pp. 264—265, 397, 99.

(٩) عماد الدين الكاتب : الفتح القسى فى الفتح القدسى ، ص ٢٤٩ .

(10) La Monte : op. cit. p. 7.

وعندما كان بلدوين الأول على فراش الموت سـألة كبار بارونات المملكة عن الشخص الذى يرغب فيه أن يكون خلفا له على عرش مملكة بيت المقدس وقد رشح بلدوين الأول فى عام ١١١٨ م شخصين لعـرش المملكة الأول أخوه يوستاس دى بوايون والثانى قريبه بلدوين دى بورج الذى تركه ليخلفه فى مدينة الرها عندما جاء الى بيت المقدس ، ورغم اقتراح بلدوين الأول فقد جاء اعتلاء بلدوين الثانى لعرش مملكة بيت المقدس عن طريق الانتخاب الحر • وقد انقسم الناخبون الى فريقين : فريق يساند ترشيح بلدوين دى بورج أمير الرها وعلى رأسه جوسـلين كورتيناى والفريق الآخر كان يساند يوستاس دى بوايون ، وقد فاز فى النهاية الفريق الذى قاده جوسلين ، وتم انتخاب بلدوين الثانى بمعرفة المجلس المكون من رجال الدين والنبلاء ، واستبعد يوستاس لأنه كان موجودا فى ابوليا بايطاليا ، ولأن حالة المملكة تستدعى انتخاب ملك على الفور فضل عليه ترشيح بدوين أمير ارها الذى كان قريبا من المملكة[11] •

لكن كلما تقدمنا فى القرن الثانى عشر نجد هناك تحولا من حـق الانتخاب الى حق الوراثة ، مع ملاحظة أن حق الانتخاب لا يختفى تماما، ففى السنوات ١١٢٨ــ١١٣٠ م أصبحت قضـية الوراثة فى مقـدمة الموضوعات التى تطرح للبحث ، فقد كان خلف بلدوين الثانى من البنـات فقط ، وكانت الضرورة تحتم اختيار وارث لعرش المملكة ، وقد أراد الملك بلدوين أن يربط السلالة الملكية بدعاوى الانتخاب ، ولكى يزوج ابنتـه الكبرى مليسند لرجل ينتخبه البارونات كملك لهم ، دعا الى عقد مجلس من بادونانه ، وتم فى هذا الاجتماع مناقشة عدد من المرشحين لطلب يد مليسند وعرش بيت المقدس ، ووقع الاختيار على فولك كونت انجـو وكان حينذاك يبلغ من العمر أربعين عاما ، وفى عام ١١٢٩ م تزوج فولك

---

(11) William of tyre : op. cit, pp. 519—520, vol, I.
— Fetellus : Palestina Pilgrims, pp. 53—54.
— La Monte. J : op. cit, pp. 7—8.
— Thomas foller : The Hist of the Holy war, pp. 62—63.

من مليسند ابنة الملك بلدوين الثانى ، وعلى أساس أن يحكم بيت المقدس باعتباره زوج الوريثة، وفى ٢١ أغسطس ١١٣١م استدعى بلدوين الثانى وهو على فراش الموت فولك ومليسند وكبار البارونات وأساقفة المملكة وبرضاهم منح حكومة المملكة الى فولك وزوجته(١٢) .

وبعد موت الملك فولك فى سنة ١١٤٣ م انتقل حق الوراثة الى ابنه بلدوين الثالث وأرملته الملكة مليسند ، فقد كان التاج فى ذلك العصر وراثيا ، لدرجة أن رجال الدين وبارونات المملكة حثوا بلدوين الثالث الذى كان قد وصل سن البلوغ بأن يبحث له عن زوجة اذ ربما ينجب ولدا يرثه فى حكم المملكة(١٣) . غير أن أمل النبلاء لم يتحقق لأن بلدوين الثالث تزوج من تيودرا البيزنطية ولم ينجب منها أطفالا ، وبوفاة بلدوين الثالث عام ١١٦٢ م انتقل العرش الى أقرب وريث وهو أخوه عمورى ، وقد اقتصر دور النبلاء فى هذه الحالة على الاعتراف بحق عمورى فى الوراثة ، وتثبيت هذا الحق ، ووصول بلدوين الرابع الى العرش يؤكد أن حق الوراثة قد توطد لأن النبلاء ورجال الدين وافقوا على الملك بلدوين الرابع رغم صغر سنه واصابته بمرض خطير وهو مرض البرص(١٤) .

خرج البارونات عن العرف المألوف للوراثة عندما وافقوا على تتويج بلدوين الخامس ابن الأميرة سبيلا من زوجها الأول وليم مونتفرات William Montferat ، وقد أراد الملك بلدوين الرابع الذى حدث التتويج

---

(12) William of tyre : op. cit. pp. 264—265, vol 2.

— Roger of Wendover : flowers of hist, p. 385 vol I.
— Dodu. G : op. cit., pp. 111 — 112.
— La Monte : op. cit., pp. 264—65.

(13) William of tyre : op. cit., pp. 264 — 65.

(41) William of trye : op. cit., p. 397—399.

—— La Monte : op. cit., p. 25.
— Dodu. G : op. cit., p. 112—114.

أثناء حياته(١٥) وأيضا البارونات أن يحرموا جاى لوزجنان من وراثة عرش بيت المقدس باعتباره زوجا للاميرة سبيلا ، وتتويج الابن بدلا من أمه سبيلا كان مخالفا لقوانين الوراثة ، وهناك احتمال أن الصليبيين فى الجيل الثانى فضلوا الرجال على النساء ، ولذلك فضل ابن الاخت على الأخت نفسها(١٦) .

وقد استقر مبدأ الوراثة بانسبة لملكة بيت المقدس فى عهد بلدوين الرابع ، ويبدو ذلك واضحا من الشرط الذى ورد أثناء وصاية ريموند الثالث أمير طرابلس على المملكة ، فقد جاء بأنه فى حالة وفاة بلدوين الخامس قبل أن يصل الى سن الرشد فان الوصاية تستمر حتى يختار وريث شرعى للملك بلدوين الخامس بمعرفة هيئة انتخابية تتكون من البابا والامبراطور الألمانى وملك فرنسا وملك انجلترا ، وهذا يعنى أن البارونات فى مملكة بيت المقدس قد أقروا مبدأ الوراثة ولم يتمسكوا بنظرية الملكية الانتخابية ، وتفويض هيئة انتخابية من غرب أوروبا يعنى أن المحكمة العليا فى بيت المقدس والتى كان من اختصاصها انتخاب الملك اعتبرت نفسها غير مختصة أو مؤهلة لاتخاذ قرار فى موضوع اختيار خليفة للملك بلدوين الخامس(١٧) .

ويتضح لنا من هذا السرد ، أن الملكية فى البداية كانت انتخابية ثم تحولت الى وراثية ، وأن قاعدة الوراثة تقدمت وثبتت وانتصرت على مبدأ الانتخاب بصفة نهائية بحلول القرن الثالث عشر لدرجة أن البارونات عند اختيارهم ملكا يختارون زوجا للملكة ، ولم يبق للنبلاء عند تعيين

---

(١٥) كان بلدوين الرابع مريضا ولم يستطع الزواج ، لذلك تأكد للملك بلدوين والبارونات أن العرش بعد موته سوف يذهب الى سبيلا وزوجها جاى لوزجنان .

(16) La Monte. J. : op. cit., p. 32.

(17) L, Estoire d. Eracles Empereur, tome, 2 pp. 7—8.
— La Monte : op. cit p 32.

رئيسهم الا العبارة المستعملة فى الاحتفال بالتتويج حيث يسأل البطرك المجتمعين اذا كان الملك الذى يجرى تتويجه هو الوريث الحقيقى للمملكة فيجيبون ثلاث مرات نعم[١٨] .

ويلاحظ أن حق السيدات فى الوراثة والحقوق المعطاة لهن فى الوصاية على أطفالهن الصغار كانت مصانة محفوظة ، وأن قوانين بيت المقدس لم تحرم النساء من عرش المملكة ، ولقد لعبت النساء دورا هاما فى الدويلات الصليبية ، فى الوقت الذى كان فى فرنسا لا تستطيع المرأة الوصول الى العرش ، وبذلك فقد طبق الصليبيون مبدأ لم يكن معمولا به فى بلدهم الأصلى ، وفى الواقع نجد قانون الوراثة فى أوروبا منع أن تصبح أرض الأب ميراثا للبنات ، وقد خرج العرف عن هذه النظم القديمة رويدا رويدا وأصبحت وراثة النساء معترفا بها فى كثير من الامارات فى أوروبا[١٩] .

وفى مملكة بيت المقدس فان التاج يعتبر كأنه اقطاع ، وأن النساء اللاتى ورثن اقطاعيات قد استطعن على ادارتها بنفس الصورة ، ولكن حقوق المرأة فى بيت المقدس لم تكن لها قيمة حقيقية الا فى حالة ما اذا تزوجت ، وفى هذه الحالة تستطيع الحصول على مساعدة الزوج فى ادارة الحكومة[٢٠] .

ويتبين من ذلك أن قوانين مملكة بيت المقدس قد سمحت للنساء بالسيطرة على شئون الحكم الأمر الذى كانت له نتائجه السيئة على تاريخ الحركة الصليبية ، وقد زاد الطين بلة عندما كانت الوريثة تتخلص من وصاية كبار النبلاء وتختار زوجها بنفسها ، وكانت تتغلب العواطف على المصلحة العامة واختيار أزواج لا يصلحون للحكم .

---

(18) Livre de jeand, ibelin, op. cit., p. 29—31, t. I.
— La Monte : op. cit. p. 43.
— Dodu. G : op. cit., pp. 117—118.
(19) Assises ds Jerusalem, lois, L p. 299.
— Dodu0 G : op. cit., p. 118.
(20) Ibid, pp. 119—120.

الفصل الأول

نشوب النزاع بين الملك فولك والملكة مليسند :

بدأت تظهر مشكلات الوراثة فى الثلاثينات من القرن الثانى عشر للميلاد ، وذلك عندما وصلت النساء الى الحكم[1] • وكان بلدوين الثانى قد بدأ يرتب وراثة العرش فى عام ١١٢٧ م عندما لم تنجب له زوجته ذكورا ، ورزق أربع بنات فقط كانت كبراهن تسمى مليسند Melisende والثانية اليس Alix تزوجت من بوهيمند الثانى Bohimend والبنت الثالثة هوديارنا Hodierna تزوجت من ريموند الثانى Raymond أمير طرابلس ، والبنت الرابعة جوفتا Joveta وقد دخلت الدير[2] •

لذلك وجد بلدوين نفسه أمام اختيارين ، اما أن يتخلى عن وراثة العرش وأن يحيى الانتخاب الحر بواسطة رجال الدين والنبلاء[3] ،

---

(١) ابن العديم : زيدة الحلب فى تاريخ حلب ، ج ٢ ، ص ٤٦—٤٧ .
— Hussey. J. M : The Norman in Sicily and Syria. p. 223.
— Setton : A History of the crusdes, p. 222 vol, 2.

(2) Boase : Kingdoms and strongholds of the crusaders. p 74.

(٣) وقع حادث فى عهد بلدوين الثانى برهن على أن نبلاء واساقفة مملكة بيت المقدس لم يعترفوا بموضوع وراثة العرش ، ودل هذا الحادث على هيمنة النبلاء على شئون المملكة ، ومنعوا أن تتحول سلطة الملك الى سلطة مطلقة ، وذلك انه فى عام ١١٢٣م بينما كان بلدون الثانى يعسكر بالقرب من مدينة انطاكية فى محاولة لانقاذ جوسلين الذى وقع أسيرا فى يد المسلمين ، قد وقع هو نفسه اسيرا فى يد أمير حلب ، وعندما وصلت اخبار أسر بلدوين الى مملكة بيت المقدس قام كبار نبلاء المملكة بالدعوة الى عقد مؤتمر مع البطريك
=

أو أن يجعل العرش وراثيا في سلالته • ولقد رأى بلدوين الثـــانى أن يستمر العرش فى سلالته ، ولذلك أصبحت وراثة النساء ضرورة عطلقة، وحصل بلدوين فى عام ١١٢٧ م على موافقة نبلائه ، وصار قرار ١١٢٧م قاعدة قانونية بالنسبة لوراثة النساء فى مملكة بيت المقدس[٤] • ولمــا كانت مليسند أكبر البنات سنا فقد اختيرت لوراثة العرش بموافقة النبلاء بالاجماع ، وأرسلت سفارة فى أواخر عام ١١٢٧ م أو أوائل عام ١١٢٨م من كبار بارونات المملكة على رأسها وليم دى بيورى وجاى دى برسبار Guy de Brisebar الى فرنسا لاختيار زوج للاميرة مليسند[٥] •

وقع الاختيار على فولك الخامس كونت انجو ، وكان حينذاك يبلغ من العمر أربعين عاما[٦] ، والذى أوصى بترشيحه الملك لويس السادس

=

والاساقفة فى مدينة عكا تمت الموافقة بالاجماع على انتخاب يوسكاس جرنيير Eustache Grenier سيد قيصرية وصيدا ليكون حاكما عليهم إثناء أسر بلدوين الثانى ، ولقد كان رجلا حكيما بعيد النظر ذو خبرة والسعة بالشئون الحربية وعندما مات جرنيير بعد شهور قليلة اختار النبلاء وليم دى بيورى William de Bury لكى يحل محله •

انظــر :

— William of tyre : op. cit., p. 54.

— La Monte : op. cit., pp. 8—9.

(4) Mayer. H. E : queen melisende of jerusalem, pp. 111—112 note 35.

(5) William of tyre : op. cit., pp. 50—51.

— Mayer. H. E : op. cit., p. 98.

(٦) كان فولك الخامس من كبار بارونات فرنسا وقد ورث عن والده فولك الرابع منطقة حوض الراين فى عام ١١٠٩ م واســـتطاع فولك عن طريق الزواج أن يضم الى ممتلكاته أقطـــاعه وادى المين ، وذلك عندما مات والد زوجته فى عام ١١١٠ م ، وحارب فولك الخامس بمساعدة اسرة آل كابيه فى فرنسا الملك هنرى الأول للحفاظ على اقطاعه فى وادى المين ، وعندما نشب النزاع على الحدود بين لويس السادس ملك فرنسا وهنرى الأول ملك انجلترا ودوق نورمنديا ، قاتل فولك الى جانب الملك لويس السادس ، وجنى

=

والبابا هنريوس الثانى Honorius ، وقد دأخبرت السفارة موئك الخامس بأن الملك بلدوين الثانى ونبلاء المملكة قد وافقوا بالاجماع على أنه فى خلال خمسين يوما من تاريخ وصوله الى مملكة بيت المقدس سيتم زواجه من الأميرة مليسند ويكون من حقه وراثة العرش فى حالة وفاة بلدوين الثانى وفى ربيع عام ١١٢٩ م تم زواج فولك من مليسند(٧) .

ويبدو أن الاتفاق الذى عقدته السفارة فى عام ١١٢٨ م مع فولك الخامس لم يكن واضحا ، فقد كان غرض الملك بلدوين أن يحكم فولك

فولك ثمار هذه الحرب بد فوز لويس السادس على الملك هنرى الأول وقام فولك بأول رحلة الى الاراضى المقدسة فى مايو ١١٢٠ م بغرض الحج حيث زار بيت المقدس ، ومكث بعض الوقت هناك ، ثم عاد الى وطنه انجو حيث استطاع أن يحصل لابنه جوفرى على يد ماتيلدا الابنة الوحيدة للملك هنرى الاول ووريثة دولة الانجلو نوررمان ، وتمت اجراءات الزواج فى يونيو ١١٢٨م وأسس جوفرى دولة اصبحت فيما بعد من أقوى دول غرب أوربا ، واحتفظ بعلاقة طيبة مع ملك فرنسا .

وكان فولك الخامس فى العشرينات من هذا القرن فصلا لملك فرنسا على أساس أنه حاكم كونتية انجو ، وفصل لملك انجلترا بصفته حاكما لاقطاع المين، واستطاع فولك أن يحرك الأحداث بشكل بارز ورائع عندما أكد وراثة ابنه لملكة الانجلوسكسون .

انظـــــر :

— William of tyre : op. cit., p. 50.

— Grousset. R. Histoire de croisad es pp. 1—2., t. 2.

(7) William of tyre : op. cit., p.

— Anonymous : The first and second crusades p. 98.

— Chronique de Michel le syrien, p. 234, t. 3.

— Schulmberger, and fredinand : Numismatique de 1, orient Lain p. 5.

— Mayer. H. B : op. cit., p. 99.

— Grousset. R : L,empire du levant, p. 221.

مملكة بيت المقدس من خلال الأميرة مليسند ، وفهم فولك انه سيحكم مثلما كان يحكم بلدوين الثانى[٨] .

جعل الملك بلدوين الثانى الأميرة مليسند الوريثة الشرعية ، وكان بلدوين يحصل على موافقة مليسند عند اصدار المراسيم ، وكان لها رأى فى ادارة الشئون العامة ، ووضعت فى القائمة قبل رجال الدين والنبلاء ، وقد زادت سلطتها فى أوائل عام ١١٢٩ م[٩] ، وهذا يوضح أن الملك بلدوين الثانى كان يعد الأميرة مليسند لحكم مملكة بيت المقدس .

وبعد زواج فولك من الأميرة مليسند وفى أثناء حياة بلدوين الثانى، قام فولك بمساعدة الملك بكل اخلاص ونشاط فى ادارة شئون الممكة ، وقد منحه الملك مدينتى صور ويافا بائنة للاميرة مليسند ، وظلت هاتان المدينتان فى حوزة فولك حوالى ثلاث سنوات ، واستمر فولك يحمل لقب كونت حتى وفاة الملك بلدوين الثانى[١٠] ، وكل المواثيق التى أصدرها بلدوين الثانى فى أوائل عام ١١٢٩م أعتبر فيها الأميرة مليسند الوريثة الوحيدة للمملكة ، ولكن بعد زواج فولك من الأميرة مليسند وفى أثناء حياة بلدوين ظهر اسم فولك على المراسيم واختفى اسم الأميرة مليسند

---

(٨) قرر هانز ماير أن السفارة الصليبية وعدت فولك الخامس فى عام ١١٢٨ م بأنه سيحكم ليس فقط كزوج الاميرة ولكن كملك يتمتع بكل حقوقه كالملك بلدوين الثانى نفسه.

انظـــــر :

— La Monte. I : op, cit., pp. 10—11.

(9) ibid pp. 98—99.

انظر أيضا الملحق رقم ١ .

(10) William of tyre : op. cit., pp. 50—51.

— La Monte. I : op. cit., pp. 10 — 11.

— Mayer. H. E : op. cit., pp. 98—99.

من المراسيم ، وهذا دليل على سقوط اسم مليسند من لقب الوراثة واحلال اسم فولك بدلا منها[١١] .

أورد المؤرخ وليم الصورى عبارة يفهم منها أن الملك بلدوين الثانى تبنى فولك كونت انجو بعد زواجه من مليسند[١٢] ، وأصبح فولك منذ ذلك التاريخ ابنا للملك بلدوين الثانى بالتبنى (وقد أظهر بأنه رجل عاقل وحكيم ، وفى أثناء حياة بلدوين الثانى نفذ فولك بكل اخلاص جميع الواجبات التى تطلب من أى ابن)[١٣] ، ولذلك ظهر اسم فولك فى أثناء حياة الملك بلدوين الثانى على المراسيم بدلا من مليسند ، على أساس أن التبنى يعطى فولك كل حقوق الابن العادى .

وقد نفذ بلدوين الثانى أضخم وأشهر مشروع فى عصره بمساعدة فولك زوج ابنته مليسند ، ذلك أن الصليبيين شعروا بالخطط التى يعدها عماد الدين زنكى لتوحيد العالم الاسلامى ، وأحسوا لذلك بالخطورة التى سوف يتعرضون لها من جراء ذلك العمل ، لذلك ركز بلدوين الثانى اهتمامه للاستيلاء على مدينة دمشق وأرسل فى عام ١١٢٨ م رئيس هيئة فرسان الداوية الى أوروباللحصول على مساعدات عسكرية لتنفيذ ذلك المشروع[١٤] .

حدثت تطورات فى دمشق جعلت الملك بلدوين يسرع فى تنفيذ مشروعه الخاص بالاستيلاء على دمشق ، ذلك أن الوزير المازدانى اتفق

---

(11) Loc. cit.

(١٢) أشار المؤرخ المجهول أن الملك بلدوين الثانى استدعى فولك كونت انجو من غرب أوربا لكى يتزوج من أبنته ونصبه ملكا على بيت المقدس وشريكا معه فى الحكم أثناء حياته .

— Anonymous : op. cit., p. 98.

(13) William of tyre : op. cit., p. 38.

(14) Setton : op. cit., pp. 430—31 vol, 1.

— Runciman : op. cit., p. 178—180, vol, 2.

مع طائفة الحشاشين لتسليم دمشق للصليبيين ، غير أن هذه المؤامرة تم اكتشافها ، وتم اعدام الوزير واتباعه من الحشاشين ، لذلك أسرع اسماعيل أحد أفراد الطائفة الذى كان حاكما على مدينة بانياس بالتفاوض مع الصليبيين لتسليمهم بانباس فى مقابل أن يحصل على حماية الصليبيين والذهاب الى أراضيهم ، وقد تقدم الملك بلدوين الثانى ومعه فولك واستلم بانياس من الحشاشين ، ثم زحفت الجيوش الصليبية بقيـادة بلدوين الثانى وفولك على مدينة دمشق وحاصرتها الا أن هذا الحصار فشـل بسبب رداءة الجو وهطول الأمطار الغزيرة التى أدت الى قطع الطرق ، ولقد تخلى بلدوين عن هذا المشروع نهائيا وعاد الى فلسـطين ومعه فولك(١٥) •

عندما اشتد المرض على الملك بلدوين الثانى دعا وهو على فراش الموت ابنته مليسند وصهره فولك وحفيده بلدوين ابن فولك من مليسـند وكان فى عامه الثانى ، وفى حضور البطرك والأساقفة والبارونات الذين تصادف حضورهم عند الملك(١٦) ، قرر بلدوين أن يكون على رأس حكومة مملكة بيت المقـدس ثلاثة أفراد فولك ومليسند وبلدوين الصغير(١٧) ، وبطبيعة الحال لم يقصد بلدوين بذلك تقسيم المملكة ، انما يعنى اشتراك هؤلاء الأشخاص فى ادارتها • وبعد وفاة الملك بلدوين الثانى فى ٢١ أغسطس ١١٣١ م انتقل عرش المملكة الى فولك وزوجته الأميرة مليسند

---

(15) Setton : op. cit p. 431.

— Runciman : op. cit ., pp. 179—180.

(١٦) ذكر المؤرخ لامونت أن الملك بلدوين الثانى استدعى فولك ومليسند وكبار بارونات وأساقفة المملكة ويرضاهم منح حكومة بيت المقدس الى فولك وزوجته ولم يشر الى حضور ابنهما الصغير معهما فى ذلك الاجتماع . انظر :

— La Monte : op. cit., pp 10—11.

(17) Roger of wendover : Flowers of Hist, p. 380, vol, 1.

— Runcimen : op. cit., p. 185.

— Mayer. H. : op. p. 11 0.

ابنة الملك دون اجراء انتخاب ، وأصبح فولك من الوجهة القانونية ملكا على الصليبيين فى بيت المقدس[١٨] .

ويبدو أن الملك بلدوين أراد أن يؤكد وراثة الملكة مليسند وابنها بلدوين ، وخشى أن يذهب عرش المملكة الى أولاد فولك من زوجته الأولى أو من زواج ثالث ربما يقدم عليه الملك فولك[١٩] ، ولكى يمنع بلدوين الثانى انتقال العرش الى حاكم أجنبى وحتى يضمن أن يبقى العرش فى أولاد فولك من مليسند دون سواهم ، استدعى الملك بلدوين الثانى فولك ومليسند وبلدوين الصغير ومنحهم حق ادارة حكومة بيت المقدس ، وهذا الاجراء يؤكد أن بلدوين الثانى تبنى فولك بعد زواجه من مليسند ، وخشى بلدوين عند موته أن يتصرف الملك فولك كابن للملك بلدوين الثانى له كل حقوق الابن الشرعى ، لذلك قام بتقييد سلطات الملك فولك[٢٠] .

كان الملك فولك عند بداية حكمه مشغولا دائما بتصريف شئون الحكم فى أنطاكية ، فى الوقت الذى نجد فيه أن طرابلس والرها لم تطلبا الا

---

(18) William of tyre : op. cit., pp. 50—51.

— Hetoum comte de Grigos : in doc,Arm, p. 473, t. 1.

— Schulmberger. G : Numismatique, de L, orient latin p. 65.

— Fabri felix : Wandering, p. 322—324, V. 2 part, 1.

(١٩) كان للملك فولك ولد فى غرب أوربا لم يكن لديه اقطاع لأن فولك ترك اقطاعه فى الغرب الى ابنه الأكبر جوفرى .

(٢٠) يرى هانز ماير أن هذا الاجراء من جانب الملك بلدوين الثانى يعتبر الغاء لاتفاقية عام ١١٢٨م التى سبق أن منحت فولك وراثة عرش مملكة بيت المقدس منفردا ، وهكذا أصبح فولك منذ هذا التاريخ مقيدا ، وأن هذا التغيير يعتبر قاسيا وفى غير صالح الملك فولك .

انظـــر :

Mayre. H. : op. cit., p. 100.

مساعدات بسيطة[٢١] .

بذل فولك الكثير من الجهد والوقت للعمل على استقرار الأوضاع فى مدينة أنطاكية ، وطلب منه البارونات البقاء بينهم ، وقد بقى هناك أطول مدة سمحت له بها ظروفه ، وقام بادارة دفة شئون الحكم فى المدينة والبلدان المجاورة لها ، وصدرت عدة مراسيم باسمه فى السنوات ١١٣٣ ، ١١٣٤ ، ١١٣٥ م[٢٢] .

قضى الملك فولك على الثورة التى قامت بها أليس فى مدينة أنطاكية

---

(٢١) من القواعد التى أرساها النظام الاقطاعى لدى الصليبيين فى بلاد الشام الالتزامات التى توجب على كل ملك مساعدة وحماية تابعه وخاصة عند نزول الكوارث ، وقد كانت امارات انطاكية وطرابلس والرها مستقلة نظريا وشرعيا عن مملكة بيت المقدس ، ولكن من الناحية العملية فان الوضع يختلف فملوك بيت المقدس كان عليهم الوقوف بجانب تلك الامارات فى أوقات الخطر ، وقد تحمل ملوك بيت المقدس عبء الوصاية فى امارة انطاكية . فعلى سبيل المثال عندما حاصرت القوات الاسلامية الضخمة امارة الرها فى عام ١١١١م هبت القوات الصليبية لنجدتها بقيادة ملك بيت المقدس ، وساعد ذلك على انقاذ المدينة من هجوم القوات الاسلامية ، أيضا عندما تعرضت امارة انطاكية للخطر وقتل روجر فى المعركة التى نشبت بينه وبين الامير ايلغازى فى عام ١١١٩م ، أسرع بلدوين الثانى الى هناك على الفور وصد الخطر وتولى الوصاية على مدينة انطاكية لمدة ست سنوات . وأسرع الملك بلدوين الثانى فى عام ١١٣١م الى مدينة انطاكية عندما سمع بقتل بوهيمند الثانى وقام بترتيب الوصاية على المدينة عندما حاولت اليس بعد موت أبيها أن تسيطر على الأمور فى مدينة انطاكة عندما سمع بقتل بوهيمند الثانى ، وقام بترتيب الوصاية على المدينة ، وأيضا عندما حاولت اليس بعد موت أبيها أن تسيطر على الأمور فى مدينة أنطاكية متحدية بذلك بارونات المدينة ، أسرع الملك فولك الى هناك فى عام ١١٣٢ م وأعاد الامور الى نصابها وتولى الوصاية على مدينة إنطاكية ، وتوجه الملك عمورى الأول فى يناير ١١٦٥ م ، عندما وصلته الاخبار بأن نور الدين محمود قام بأسر بوهيمند . انظر :

— Fulcher of charters : A Hist of Expedition to jerusalem p.201.

— Matthieu d'Edesse : pp. 100—101, in Doc, Arm, t. 1.

— William of tyre : op. cit., p. 473.

— La Monte : op. cit., p. 192—196.

(22) Mayer. H. : op. cit., p. 104.

وعاد الى بيت المقدس فى عام ١١٣٢م ليواجه ثورة أخرى قام بها بعض النبلاء يتزعمهم هيو دى بويزيه Hugues du puiset كونت يافا [٢٣]، وانضم اليه رومانوس دى بويه Rumanus du puy أمير مشرق الأردن ، ويعتبر من كبار نبلاء المملكة ، أما زعيم الثورة هيو فانه ينتمى الى أسرة عريقة ، وكان أبوه هيو الأول فصلا من أفصال لويس السادس ملك فرنسا ، وتزعم هيو الأول المعارضة فى فرنسا ضـد الملك لويس السادس واستطاع لويس أن يحطم قلعة آل بويه ، ولما كانت هنـاك قرابة بين آل بويه والملك بلدوين الثانى فقد توجه اخوة هيو الأول بعد هذه الأحداث مباشرة الى الشرق ، ثم تبعهم هيو الأول بعد ذلك ومعه زوجته مابيلا Mabilla ، وعندما وصل هيو الأول الى بيت المقدس منحه الملك بلدوين الثانى امارة يافا ، وعندما مات هيو الأول زوج بلدوين الثانى أرملة هيو الأول الى البرت نامور والذى ورث امارة يافا ، ولكن مات البرت وأيضا ماتت مابيلا بعده مباشرة[٢٤] .

وعندما سمع هيو الثانى بموت والده ثم والدته ، حضر الى فلسطين لكى يرث اقطاع يافا ، وكان هيو الثانى قد ولد فى ابوليا عندما كان هيو الأول وزوجته فى طريقهما الى فلسطين ، وقد تركاه فى بلاط بوهيمند

---

(٢٣) ذكر هانز ماير أن الثورة التى قام بها هو دى بوزيه وقعت فى عام ١١٣٤ م وليس فى عام ١١٣٢ م ، وفى الحقيقة فان المؤرخ وليم الصـورى الذى يعتبر مصدرنا الأساسى بالنسبة لهذه الأحداث لم يفصح عن التـاريخ الحقيقى لهذه الثورة . انظر :

— Mayer. H. : op. cit., pp. 104—105.

(24) William of tyre : op. cit., pp. 70—71.

— Conder. C : The latin Kingdom of jerusalem, p. 98.

— Runciman : op. cit., pp. 190—191.

الثانى فى ايطاليا نظرا لأنه كان لا يستطيع أن يتحمل مشاق السفر الى الشرق[٢٥] .

رحب الملك بلدوين الثانى بهيو الثانى ومنحه اقطاع والده وعامل الملك بلدوين هيو الثانى كأحد أبنائه ، وكان هيو الثانى يتصف بالذكاء والوسامة وحسن المظهر ، ولقد نشأ مع بنات بلدوين الثانى واستطاع أن يغزو قلوبهن نظرا لوسامته ، ولقد كان مقربا بصفة خاصة بالنسبة للاميرة مليسند كبرى بنات الملك بلدوين ، ولقد تزوج هيو الثانى من أما Emma بنت أخت البطرك ارنوف Arnulf ، وأرملة يوستاس جرنيير Eustase Garrier والتى كانت تكبره سنا ، الا أن ولديها يوستاس الثانى وريث صيدا وولتر Walter وريث قيصرية كانا يكرهان زوج أمهما هيو الثانى الذى كان يصغرهما بقليل ، وعندما تزوجت مليسند من الملك فولك استمر هيو الثانى فى تردده على الملكة بكل حرية حيث أنه قريب وصديق الملكة الجديدة منذ الطفولة[٢٦] .

وقعت أزمة بين الملك فولك وهيو الثانى وذلك بسبب الشائعات التى انتشرت بأن مليسند كانت متعلقة دائما بهيو الثانى الشاب الجميل، وقد أدى ذلك الى غيرة وحقد الملك فولك على هيو الثانى ، غير أنه من غير المعقول أن تكون هذه الشائعات السبب الحقيقى بين الطرفين[٢٧] .

---

(25) William of tyre : op. cit., p. 71.

— أشار المؤرخ رانسمان أن هو الثانى ولد فى فرنسا وليس فى ابوليا كما ذكر وليم الصورى ، وفى أثناء مرور هيو الأول وزوجته وهما فى طريقهما الى فلسطين مرض ابنهما الصغير هيو ، ولذلك تركاه فى ابوليا فى بلاط بوهيمند الثانى . انظر :

— Runciman : op cit., p. 190—191.

(26) William of tyre : op. cit., pp. 70—71.
— Grousset. R : Histoire des croisades p. 27, t. 2.
— Runciman : op. cit., p. 191.

(27) William of tyre : op. cit., pp. 71—72.

شعر هيو الثانى بتحرك الملك ضده للانتقام منه لذلك سعى هيو للحصول على تأييد أكبر عدد ممكن من بارونات المملكة ، وكان أقوى البارونات الذين انضموا اليه رومانوس ، ولقد انقسم نبلاء المملكة بين الملك فولك وهيو الثانى ، وكان المحرك الأول لهذا النزاع والخصام الكونت الشاب ولتر أمير قيصرية وابن زوجة هيو الثانى ، وكان بينه وبين هيو الثانى عداوة خفية قديمة ، وعندما كا نكل من هيو وولتر ذات يوم فى محكمة بيت المقدس وبعد أن اتفق ولتر سرا مع الملك فولك ، اتهم علانية هيو الثانى بخيانة الملك(٢٨) .

وقد أنكر هيو التهمة الموجهة اليه ، لذلك قرر البارونات اقامة مبارزة بين هيو الثانى وولتر أمير قيصرية ، وذلك طبقا لقوانين مملكة بيت المقدس ، غير أن هيو لم يحضر فى اليوم الذى حدد لاقامة هذه المبارزة ، ويحتمل أن الملكة مليسند خشيت على حياة هيو الثانى ومنعته من الحضور وأيضا زوجته اما لأن المبارزة سوف تؤدى الى فقد زوجها أو فقد ابنها ولتر صاحب قيصرية ، أو أن هيو شعر بأنه مذنب ، أو اعتقد بأن المحكمة لم تكن عادلة فى اصدار قرار المبارزة بينه وبين ولتر صاحب قيصرية ، ولذلك صدر الحكم بادانة هيو الثانى(٢٩) .

وعندما سمع هيو قرار ادانته أبحر فى الحال الى عسقلان وطلب المساعدة من المسلمين ضد الملك فولك ، وعقد اتفاقية مع المسلمين فى

---

(28) William of tyre : op. cit., p. 72.

— Grousset. R : op. cit., p. 28.
— Conder. C : op. cit. p. 98.
— Michoud : Hist of the crusades p. 313, v. 1.

(29) William of tyre : op. cit., p. 72.

— Runciman : op. cit., p. 192.
— Brehier. L : L,Eglise et 1, orient p. 95.
— Archer. T. A : The crusades p. 194.

عسقلان ، وعاد سريعا الى يافا ، وبذلك أصبح الموقف خطيرا بين الملك فولك وهيو كونت يافا ، وعزل هيو نفسه بذلك التصرف عن اتباعه وزملائه ومناصريه ، لأن الرأى العام الصليبى اعتبره خارجا على الصف لتعاونه مع عدو رئيسى لهم ، وانفض من حوله مؤيدوه حتى افصاله بمدينة يافا وانضموا الى الملك فولك(٣٠) .

ولقد استغل المسلمون هذه الفرصة فى مدينة عسقلان وأكدت لهم الاتفاقية التى عقدها هيو الثانى فى عسقلان خلافات الصليبيين ، ولذلك قام المسلمون بتأييد من كونت يافا بغـــزو أراضى مملكة بيت المقـــدس ووصلوا حتى مدينة أرسوف ، واستطاعوا الحصول على كثير من الغنائم عقب هذه الغزوات ، وعندما وصلت هذه الأخبار الى الملك فولك جمـــع جيش المملكة وأسرع الى مدينة يافا وضرب الحصار حولها ، ولكن بطرك بيتالمقدس وبعض كبار البارونات تدخلوا لاصلاح ذات البين، وأوضحوا بأن هذا الانقسام مدمر للكيان الصـــليبى ، وأن ذلك يعطى الفرصـــة للمسلمين للانقضاض على المملكة ، ووافق هيو الثانى فى النهاية على عدم الدخول فى حرب ضد الملك(٣١) . وفى نفس الوقت تمكن تاج الملك بيورى حاكم دمشق أن يحاصر مدينة بانياس وأن يستولى عليها من الصليبيين ، ولم ينجح فولك فى تقديم المساعدة للصـــليبيين الذين كانوا داخـــل المدينـــة(٣٢) .

---

(30) William of tyre : op. cit., pp. 72—73.

(31) ffilliam of tyre : op. cit., p. 73—74.

(31) William of tyre : op. cit., p. 73—74.

— Grousset. R : op. cit., pp. 28—29.

— Brehier. L : op. cit., p. 95.

— Michoud : op. cit., p. 314.

— Schulmberger G : op. cit., p. 66.

(32) William of tyre : op. cit., p. 74.

تقرر فرض عقوبة على هيو الثاني كونت يافا بسبب عصيانه وتمرده على الملك ، وكانت هذه العقوبة تنص على نفى هيو الثانى لمدة ثلاث سنوات خارج مملكة بيت المقدس ، على أن يعود هيو الثانى ومن خرج معه بعد قضاء هده المدة الى المملكة ، كما تم الاتفاق بأن تدفع جميع القروص التى اقترضها هيو الثانى من دخل ممتلكاته فى مدينة يافا[٣٣] ، ويلاحظ أن هذه العقوبة مخففة بالنسبة لأمير يافا هيو الثانى ، لأنه طبقا لنظام الاقطاع فى مملكة بيت المقدس فان عقوبة العصيان والتمرد هى حرمان الفصل من اقطاعه مدى الحياة وأيضا ورثته[٣٤] • ويبدو أن ذلك يرجع الى تدخل الكنيسة وبعض كبار النبلاء لصلة ثورة هيو الثانى بشخص الملكة مليسند •

وبينما كان هيو الثانى ينتظر احدى السفن لنقله الى ايطاليا أتى الى بيت المقدس لتوديع أصدقائه ، وكان فى أحد الأيام يمارس لعبة النرد فى أحد شوارع بيت المقدس أمام أحد المحال التجارية ، وفى أثناء ذلك انقض عليه فارس بريتانى وطعنه بسيف عدة طعنات الا أنه لم يمت ، ونقل هيو الثانى على الفور للعلاج ، وثار الرأى العام ضد الملك فولك واعتبره المحرض على ارتكاب الجريمة ، وحتى ينفى الملك التهمة عن نفسه أمر بتقديم المتهم الى المحاكمة الفورية مع عدم قطع لسانه كالمتبع حتى يرشد عن شركائه ، واعترف المتهم بأنه ارتكب جريمته بدافع من نفسه حرصا على المصلحة العامة للصليبيين وحماية للملك[٣٥] •

---

(33) William of tyre : op. cit., p. 74.

(34) Livre de jean d.Ibelin Assises de jerusalem, p. 303, t. 1.

(35) William of tyre : op. cit., pp. 74—75.
— Michoud · op. cit., pp. 314—315.
— Grousset. R : p. cit., op. 29—30.
— Grousset. R : op. cit, pp. 29—30.
— Conder. C : op. cit., p. 98.

بقى هيو الثانى بعض الوقت فى مملكة بيت المقدس حتى استرد صحته ثم أبحر الى ايطاليا ، واستقر فى مدينة ابوليا ، حيث مات هناك قبل انتهاء المدة المقررة لنفيه(٣٦) •

حزنت الملكة مليسند حزنا شديدا على نفى هيو وما تعرض له من أذى ، وعلى ما أصاب سمعتها من شائعات مغرضة ، وغضبت من الملك فولك ومن أولئك الذين دفعوه لمثل هذه الأفعال الشائنة ، وبعد جهد كبير نجح الملك فى استرضاء الملكة ، ومنذ ذلك الوقت أصبح الملك فولك خانعا للملكة مليسند لا يستطيع التصرف فى صغيرة أو كبيرة بدون الرجوع اليها(٣٧) •

ويبدو أن ثورة هيو الثانى وثيقة الصلة بالصراع على السلطة بين الملك فولك ومليسند ، حيث أن فولك روج هذه الشائعات للتخلص من الملكة وذلك برميها بالزنا مع هيو ، وحاول الغاء وصية الملك بلدوين الثانى التى أملاها وهو على فراش الموت ، لأنه كان يعتقد أن اتفاقية عام ١١٢٨ م وتبنى بلدوين الثانى له يعطيانه الحق فى الحكم منفردا • ويبدو أن هيو الثانى كونت يافا وقف الى جانب الملكة عندما حاول الملك فولك أن يفسر اتفاقية عام ١١٢٨ م ، وتبنى بلدوين الثانى لصالحه والغاء وصية الملك بلدوين الثانى فى عام ١١٣١ م ، على اعتبار انها غير قانونية، وموقف هيو فى هذا الشأن عادى ومقبول نظرا لروابط القرابة التى تربطه بينه وبين الملكة مليسند • كما يرجع الفضل الى بلدوين الثانى فى تعيين هيو الثانى وأبيه على اقطاع يافا(٣٨) •

وحدث انقسام بين بارونات المملكة : فريق يرى وعلى رأسه هيو

---

(36) William of tyre : op. cit., p. 76.
— Michoud : op. cit., p. 315.

(37) William of tyre : op. cit., p. 76.

(38) Mayer. H : op. cit., py. 107—108.

أحقية مليسند فى الاشتراك فى الحكم طبقا لقرار أبيها فى آخر لحظة من حياته ، وفريق آخر يرى حق فولك فى ادارة شئون المملكة منفردا وله كل السلطات تماما كما كان يحكم بلدوين الثانى طبقا لاتفاق عـام ١١٢٨ م •

وكانت خطة الملك فولك ترمى الى التخلص نهائيا من مليسند عن طريق الطلاق بعد اتهامها بارتكاب جريمة الزنا[٣٩] ، وهذا التصرف كان يجد تبريرا عند فولك لأنه اعتقد أن بلدوين الثانى خدعه ، وربما فكر الملك فولك فى توريث ابنه الثانى من زوجته الأولى مملكة بيت المقدس . لأن ابنه الأول كان قد خلفه على امارته فى غرب أوروبا[٤٠] •

حاول وليم الصورى أن يعزو سبب العداوة بين الملك فولك وهيو ألى غطرسة وعجرفة هيو الثانى وعدم خضوعه للملك كباقى البارونات ؛ ويبدو أن الملكة مليسند تركت شئون الحكم فى البداية فى يد الملك فولك؛ وهذا الوضع لم يعترف به هيو الثانى ، والدليـــل على ذلك أن الملكة مليسند أصرت على ممارسة حقها القانونى عندما تكشفت لها خطط الملك فولك ، ويظهر ذلك من الجملة التى أوردها وليم الصورى من أن فولك منذ اتهام هيو بالخيانة ونفيه خارج المملكة لم يستطع التصرف فى صغيرة أو كبيرة الا باذنها[٤١] •

فقد كان فولك محنكا فى شئون ادارة المملكة الا أن فولك كانت تنقصه الشخصية الملكية أو القدرة الملكية ، وكانت مليسند الحاكم الحقيقى

---

(٣٩) لم يكن هذا العمل غريبا على المجتمع الصليبى ففى عام ١١١٣ م ، عندما اراد الملك بلدوين الأول التخلص من زوجته أودا الارمينية لكى يتزوج من ادلياد الثرية صاحبة صقلية ، اتهم زوجته الارمينية بالزنا ، وتم طلاقهما ثم تزوج من الدلياد . انظر :

Runciman . op. cit., p. 102.

(40) Mayer. H : op. cit., p. 101.

(41) William of tyre : op. cit., p. 76.

فى عهد زوجها فقد كانت امرأة بارعة فى العمل، وكانت تحمل قلب رجل بين ضلعيها[٤٢] .

ونستطيع التعرف على شخصية الملك فولك فى العبارات التى أوردها ابن القلانسى بمناسبة موت الملك بلدوين الثانى اذ يقول « لم يخلف بعده فيهم صاحب رأى صائب ولا تدبير صالح وقام فيهم بعده الملك القومص الجديد الكند ايجور الواصل اليهم فى البحر من بلادهم فلم يتسدد فى رأيه ولا أصاب فى تدبيره فاضطربوا لفقده واختلفوا من بعده »[٤٣] .

ظلت مليسند تشارك الملك فولك فى ادارة شئون الحكم فى المملكة لدرجة أنها استطاعت أن تؤثر على الملك فولك فى عام ١١٣٦ م لكى يكف عن التدخل فى شئون مدينة أنطاكية الداخلية ، الأمر الذى أدى الى عودة أختها أليس من المنفى الى أنطاكية واطلاق يدها فى ادارة شئون المدينة رغم معارضة بارونات أنطاكية .

كما أن الملك فولك تخلى فى عام ١١٣٧ م عن مساعدة ريموند أمير أنطاكية عندما تعرضت المدينة لحصار الجيوش البيزنطية ، بل اعترف فولك لأول مرة بأن أنطاكية تتبع الدولة البيزنطية ، وأن للبيزنطيين حقا قانونيا فى أنطاكية اعترف به آباء الصليبيين الأوائل[٤٤] .

وهذه السياسة التى اتبعها فولك يبدو أنها نتيجة لتأثير الملك مليسند وسيطرتها على الأمور لأن هذه السياسة تتفق مع سياسة أختها أليس التى كانت تؤيد التعاون مع البيزنطيين ، أو ربما أرادت الملكة مليسند أن

---

(42) William of tyre : op. cit., p. 204.

— Miller. M : Essays on the latin orient, p. 519.

(٤٣) ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ص ٢٢٣ .

(44) Ordric vitalis : Historia ecclesiastice, p. 965, t. 188.

تخزل ريموند دى بواتيه الذى خدع اختها آليس بزواجه من كونستانس والاستيلاء على الحكم[٤٥] .

وظهر تدخل الملكة مليسند حتى فى النواحى العينية فعندما اقتربت الحملة الصليبية الأولى من بيت المقدس ، هرب رجال الدين اليعاقبة الى القاهرة ، وظلوا هناك حتى استقرت الأحوال فى بيت المقدس ، ثم عادوا فوجدوا جميع أملاكهم قد استولى عليها الصليبيون ، ولقد قام رئيس أساقفة اليعاقبة بعدة محاولات لاستعادة أملاك الطائفة لكنه فشل ، وفى عام ١١٣٧ م استطاعت الملكة مليسند بنفوذها القوى أن تعيد الى رجال الدين اليعاقبة جميع أملاكهم فى بيت المقدس[٤٦] ، وقامت بذلك بطبيعة الحال لأن أمها تنتمى الى الكنيسة اليعقوبية .

---

(45) Runciman : op. cit., p. 213.

(46) Martin : les primiers princes croises et les syriens jacobites de jerusalem. dans journal Asiatique society, p. 471.

الفصل الثانى

الصراع على السلطة بين مليسند وبلدوين الثالث

مات الملك فولك فى نوفمبر ١١٤٣ م وترك طفلين أكبرهما بلدوين الثالث ويبلغ من العمر ثلاث عشرة سنة ، وعمورى ويبلغ من العمر سبع سنوات ، وتولت الملكة مليسند الوصاية على بلدوين الثالث حيث توج معها ملكا على بيت المقدس • وأدى وصول مليسند الى الحكم الى انهيار الاتحاد الذى كان يربط بين المملكة وأميرى أنطاكية والرها، لأن ما اشتهرت به مليسند من تدبير الدسائس والمؤامرات ، وما امتازت به شخصيتها من العنف ، لم يساعد المملكة على أن تحافظ على تقاليـــدها العريقة • ليس فقط عجزت مليسند فى اصلاح ذات البين بين أفصال المملكة الكبار فى شمال الشام[١] فحسب ، بل عندما تعرضت أراضى امارتى الرهـــا وأنطاكية للفتح الاسلامى لم تستطع الملكة مليســـند أن تنقذ شـــمال الشام من المصير المحتوم[٢] •

---

(١) دب الخلاف بين ريموند أمير أنطاكية وجوسلين الثانى أمير الرها منذ وقت طويل ، واعمتهما الحزازات الشخصية عن الرؤية الصـــحيحة ومراعاة المصلحة العامة للصليبيين وكان كل منهما يكن لصاحبه الضغينة والحقـــد ، وعندما كان فى مملكة بيت المقدس ملك قوى مثل بلدوين الثانى وفولك ، كان يستطيع التوفيق بين فصليه الكبيرين فى شمال الشام ويجبرهما على الاتحاد ضد العدو الخارجى ، ولكن هذه القدرة والسيطرة التى كانت تتمتع بهـــا المملكة فى بيت المقدس قد انتهت عندما مات فولك وتولت مليسند الوصاية على الملك بلدوين الثالث القاصر وباتت المملكة فى نوم عميق أنظر :

— William of trye : op. cit., pp. 140 — 141.

— Grousset. R : op. cit., p. 174.

— Iorga : Histoire des croisades p 92.

(2) William of tyre : op. cit., pp. 140 — 141.

— Grousset. R : op. cit., p. 173.

أخذت الملكة مليسند تدعم فى مركزها للقبض على جميع السلطات وابعاد ابنها عن السلطة • لذلك كونت حزبا حولها لساندتها ، وعينت أحد المقربين اليها فى منصب كندسطبل المملكة • وهو مناسيس أوف هيرج Manasses of Hierges [٣] • غير أنه كان هناك مجال لم تستطع مليسند أن تجارى فيه ابنها بلدوين الثالث ، وهو قيادة الجيوش ، فقد كان فى مقدور مليسند أن تبت فى المشاكل الحربية ، وأن تتفاعل معها ، الا أنها لا تستطيع قيادة الجيش فى المعارك ، وكان من الضرورى أن يكون ملك العصور الوسطى محاربا وخاصة ملك بيت المقدس[٤] •

وأتت الملك بلدوين الثالث الفرصة فى السنة الأولى من حكمه ، وذلك فى سنة ١١٤٤ م لكى يؤكد مقدرته رغم صغر سنه ، ففى هذه السنة ثار أهالى وادى موسى فى منطقة الأردن ضد مملكة بيت المقدس واستعانوا بالمسلمين • وعندما سمع الملك بلدوين الثالث بذلك ورغم أنه كان قاصرا جمع قواته العسكرية وسار على رأسها الى تلك المنطقة ، وأرغم الثوار بالعودة الى حظيرة المملكة ، ولقد استاءت الملكة مليسند من نجاح الملك بلدوين الثالث فى هذه الحملة[٥] • وعندما حاصر عماد الدين زنكى مدينة الرها فى أواخر عام ١١٤٤ م ، طلب أهالى الرها المساعدة من ملك بيت المقدس ، غير أن الملكة مليسند هى التى اتخذت القرار بعد أن عقدت اجتماعا مع نبلائها ، لأنها كانت تهيمن على الأمور • وأرسلت مناسيه كندسطبل المملكة وفيليب Philip صاحب نابلس ، والينائد Elinandus صاحب طبرية لمساعدة مدينة الرها[٦] •

---

(٣) مناسيس هيرج بن هودرين أخت الملك بلدوين الثانى ، وعندما مات باليان دى ابلين تزوج مناسيس من أرملته ، وهذه المصاهرة أعطت هذا الرجل بعض القوة • انظر :

— William of tyre : op. cit., p. 204.

— La monte : op. cit., p. 17.

(4) Mayer. H : op. cit., p. 117.

(5) Mayer. H : op. cit.. p. 117.

(6) William of tyre : op. cit., p. 142.

لم يرد ذكر لاسم الملك بلدوين الثالث فى الحملة التى أرسلت الى الرها ، ومن الواضح أنه تم التخلص منه ، واغفاله لا يمكن أن يبـرر بأن القانون لا يسمح حينذاك له بالاشتراك فى المعارك الحربية ، واذا كان ذلك صحيحا لما استطاع الملك بلدوين الثالث أن يتولى قيادة الجيش الذى قضى على الثورة التى حدثت فى وادى موسى كما سبق ذكره ، وانما كان قصد الملكة مليسند أن تمنع بلدوين الثالث من الاشتراك فى المعارك الحربية لكى تعوق وتمنع احتمال اكتسابه بسمعة طيبة كقـائد عسكرى ، وهذا يؤدى بأن يصبح بلدوين قائدا سياسيا ، وهذا ما لا ترغب فيه الملكة مليسند ، ولقد أرسلت على رأس الحملة التى توجهـت الى الرها الذين يساندونها ويقفون بجانبها ، وكان اليناند يملك أكبر اقطاع تابع لملكة بيت المقدس ، وأيضا كان فيليب صاحب نابلس من كبـار النبـلاء الذين وقفوا بجانب مليسـند فى نضالها السـياسى حتى النهـاية(٧) .

كان عماد الدين زنكى يعرف تماما ما يجرى على الساحة الصليبية البيزنطية ، ولذلك اختار تلك اللحظة للهجوم وتنفيذ خططه ، ففى عشية معركة بعرين(٨) لم يتردد عماد الدين زنكى فى اطلاق سراح الملك فولك، لأنه كان يخشى التحالف البيزنطى الصليبى ضده(٩) ، وظل فى حالة دفاع

---

(7) Mayer. H : op. cit., pp. 118—119.

(٨) كانت معركة بعرين بين عماد الدين زنكى وقوات مملكة بيت المقدس، اذ استطاع عماد الدين ان يحاصر الملك فولك وقواته فى حصن بعرين فى عام ١١٣٧ م فى الوقت الذى كان فيه حنا كومنين يحاصر مدينة انطاكة .

(٩) حـاول الامبراطور حنـا كومنين أن يكون حلفـا بين البيزنطيين والصليبيين وانتهى هذا الحلف بموته فى عام ١١٤٣م ، وحل محله عداء شديد بين البيزنطيين والصليبيين — وقام أمير انطاكية ريموند الثالث باسـتفزاز الامبراطور مانويل كومنين عشية موت الامبراطور حنا كومنين ، اذ ارسـل ريموند سفارة للامبراطور مانويل كومنين تطالبه بالتراجع عن الاراضى التى استولى عليها حنا كومنين فى قيليقية والتى كانت تابعة لامارة انطاكية ،

=

حتى وفاة الملك فولك • أما الآن فان الملكية لا حول ولا قوة لها ، وأصبح التصدع بين البيزنطيين والصليبيين تاما ، وبذلك يستطيع عماد الدين زنكى تنفيذ فتوحاته •

وكان من العوامل المشجعة أيضا لعماد الدين زنكى نظام الدفاع فى مدينة الرها حيث تعرض للخلل والفوضى فى عصر جوسلين الثانى ، بسبب افتقاد هذا الأمير للكفاءة العالية التى كان يتمتع بها كلا من بلدوين وجوسلين كورتيناى ، فان نظام الدفاع فى هذه المدينة كان يعتمد الى حد كبير على القوات المرتزقة ، وكان بلدوين وجوسلين الأول يقيمان اقامة دائمة فى مدينة الرها ، وكانا يحصلان على امدادات الطعام والسلاح من الأماكن المجاورة للرها فى الوقت المناسب ، وبذلك حافظا على أمن وسلامة المدينة ، أما جوسلين الثانى فانه بسبب ضعف شخصيته

=

واعتبر الصليبيون ان حنا كومنين قد اغتصبها بالقوة ، فرد عليه مانويل كومنين قائلا (الجميع يعرفون أننا لم نسيىء الى الانطاكيين فى شىء ، وان كان من الواجب رد المتلكات الى أصحابها فلماذا لا تسلمون أنتم انطاكية للبيزنطيين بل بلغت بكم الجرأة محاربة والدى بالسلاح) .

انظر :

Cinamos : Epitome Historiarum in corpus p. 30.

وانتهز ريموند انشغال مانويل كومنين وحاول التخلص من تبعية الدولة البيزنطية ، وغزا الأراضى البيزنطية فى قيليقية محاولا انتزاعها من البيزنطيين ، وهاجم الحاميات البيزنطية التى كانت موجودة هناك ، واستولى على بعض أجزاء من قيلقية ، ولم يستطع مانويل كومنين العودة الى قيلقية بسبب مشغولته فى توطد سلطته فى القسطنطينية ومحاربة السلطان مسعود الذى استفاد هو أيضا من موت حنا كومنين ، ولكنه فى نفس الوقت لم يسمح أن يترك ريموند دى بواتيه بدون عقاب ، فأرسل حملة برية وأخرى بحرية ، واستعادت قيليقية ونهبت ضواحى مدينة انطاكية ، وهكذا بقيت العلاقات متأزمة للغاية بين البيزنطيين والصليبيين وهذه الحوادث مهدت الى عدم التعاون بين الطرفين ضد عماد الدين زنكى عندما بدأ هجومه على مدينة الرها ، وساعدت على سقوط المدينة فى يد المسلمين .

Cinamos : op. cit., p. 31.

Cahen. C : Le syrie du Nord, p. 367.

— Drehier. L : L, Eglisse et L,orient latin, pp 102—103.

وانسياقه وراء الملذات فقد فضل الاقامة فى تل باشر وأهمل الدفاع عن الرها[10] .

أعد عماد الدين زنكى حملته للاستيلاء على مدينة الرها فى الخفاء ، وأعلن أنه يقصد بتلك الحملة ديار بكر ، وأراد بذلك أن يضلل الصليبيين واستخدم التمويه حتى لا يستعد الصليبيون ، خصوصا أن مدينة الرها تمتاز بالحصانة . وعندما وصلت الحملة بالقرب من مدينة الرها أخذ فى أعمال الحيل والخداع منتظرا خروج جوسيلن الثانى الى تل باشر ، وشرع فى حرب البلدان الاسلامية مثل جبل جور آمد وغيرها ووضع فريقا من أتباعه يراقب خروج جوسلين من الرها ، وعندما خرج منها أسرع أهالى حران اليه بالخبر[11] .

أسرع عماد الدين زنكى الى مدينة الرها بعد أن وصله خروج جوسلين منها ، وضرب الحصار حول المدينة ، وحاول جوسلين الثانى انقاذ المدينة ولكن بعد فوات الأوان وأرسل الى ريموند دى بواتيه أمير أنطاكية يتوسل اليه ، ويستعطفه لارسال المساعدة . وأيضا وصلت الأخبار الى مملكة بيت المقدس التى أرسلت قوات بقيادة مناسيس كندسطبل المملكة ، وفى نفس الوقت ضيق عماد الدين زنكى الحصار على المدينة وسقطت فى يده فى ٢٣ ديسمبر ١١٤٤ م (٥٣٩ م)[12] .

---

(10) Jacques de vitry : History of jerusalem, pp. 93—94 in p. p. t. s.

William of tyre : op. cit., pp. 140—141.

— Grousset. R : L,empire du Levant, p. 221.

(١١) ابو شامة : الروضتين فى اخبار الدولتين جـ ١ ص ٣٧ .

— Bar Habraeus : The chronography, p. 268.

(١٢) ابو شامة : الروضتين فى اخبار الدولتين جـ ١ ص ٣٧ .

— ابن الاثير : الكامل فى التاريخ ٩ ص ٩ .

— William of tyre : op. cit., p. 142—43.

— Jacques de vitry : op. cit., pp. 93—94.

كان سقوط مدينة الرها بداية النهاية بالنسبة للكيان الصليبى فى الشرق الأدنى(١٣) ، وكانت تعتبر من أكبر المعاقل الصـــليبية فى بلاد الشام ، وتقع بالقرب من الطريق التجارى الكبير الذى يمتد على الفرات، وكانت الرها تمكن الصليبيين من التحكم فى سير القوافل التى تمر بين الموصل وحلب ، وبين بغداد وسلاجقة الأناضول ، وسقوط مدينة الرها وما حولها من البلاد فى يد المسلمين ترك أثرا كبيرا على النـــواحى الاقتصادية بالنسبة للصليبيين ، وهـــذا التأثير الاقتصـــادى كانت له انعكاسات على القدرة العسكرية ، حيث أثر على القدرة العسكرية لدى

=

— Bar Hebreaus : op. cit., p. 268—72.

— Anonymous : op. cit., pp. 286—287.

— Rey. E : Resume chronolgiqqe de L,histoire des princes d' Antioche in Revue de l'orient latin, p. 365.

راجع ايضا تفاصيل حصار مدينة الرها والخطة التى رسمها عماد الدين زنكى للاستيلاء على المدينة فى النص الذى نشره Chabot وهو لاحد المؤرخين المجهولين شاهد عيان .

un episode des histoire des croisades (ed et trod) in Melanges offerts. A.M. Schlumberger, p. 171—179.

(١٣) كان من نتيجة سقوط دينة الرها فى يد عمـــاد الدين زنكى أن فرضت مشكلة أنطاكية نفسها واصبحت من أحداث الساعة ، ذلك بأن ريموند دى بواتيه ادرك تماما بأنه من الصعب عليه حماية مدينة أنطاكية من الفتـــح الاسلامى ما لم يتصالح مع الامبراطور مانويل ، ولذلك توجه فى عام ١١٤٥ م الى القسطنطينية لانهاء الخصومة مع البيزنطيين ، ورفض مانويل كومنين أن يستقبله ، وعندما ذهب ريموند ليتأسف على قبر حنا كومنين عن الخطأ الذى ارتكبه ، سامحه مانويل كومنسين ، واعترف ريموند صراحة بســـــيادة الامبراطورية البيزنطية على أنطاكية ووعد بقبول بطرك بيزنطى لكنيســـة انطاكية ، وأدى يمين الولاء للامبراطور مانويل كومنين الذى وعد بدوره بتقديم معونات مالية للانطاكيين . انظر :

— Cinnamos : op. cit., p. 35.

— Michel le syrien, p. 267, t. 3.

الصليبيين بوجه عام ، وقد استقبل العالم الاسلامى فتح الرها بفـرح شديد ، وانبرى الشعراء والكتاب فى تمجيد عماد الدين زنكى(١٤) •

عندما مات عماد الدين زنكى انتهز الصليبيون انشغال نور الدين محمود خليفته فى الموصل ، وحاولوا الاستيلاء على مدينة الرها • ذلك بأن سكان المدينة الذين كان معظمهم من الأرمن أرسلوا سرا الى جوسلين الثانى للقدوم اليهم لاستلام مدينة الرها ، وجمع جوسلين الثانى قواته وبمساعدة بلدوين صاحب مرعش استطاع دخول المدينة ليلا فى عـام ١١٤٦ م ، غير أنه فشل فى الاستيلاء على قلعة المدينة التى كانت حصينة، وعندما سمع نور الدين بذلك جمع قواته فى الحال وتوجه الى مدينـة الرها واستطاع اعادة المدينة فى نوفمبر ١١٤٦ م(١٥) •

ترتب على سقوط مدينة الرها قدوم الحملة الصليبية الثانية فى عام ١١٤٧ م ، وقد وقع نبأ سقوط مدينة الرها على الغرب موقع الصاعقة ، وأحدث دويا هائلا بين مختلف الأوساط ، وانتشرت الاشـاعات بأن الامارات الصليبية أصبحت فى خطر ، وأخذ البابا يوجين الثالث يدعـو الى حرب صليبية ، وأرسل مندوبيه الى جميع أنحاء أوروبا ، وكان من

---

(١٤) أبو شامة : المصدر السابق ج ١ ص ٣٧ •

— Samuel d,Ani : p. 452 in DOC, Arm, t. 1.

— Gregoire le pretre pp. 158—59, in DOC, Arm, t.1.

— William of tyre : op. cit., p. 210—212.

— La Monte. L : Byzantine empire and crusading states, pp. 253—54.

(15) William of tyre : op. cit., p. 157—159.

— Bar Hebraeus : op. cit., p. 273.

— Anonymous : op. cit., pp. 292—93, 296—98.

— gregoire le pretre, p. 160 in DOC, Arm, t. 1.

— Grousset. R : op. cit., p. 198—205.

— ابن العديم : زبدة حلب فى تاريخ حلب ج ٢ ص ٢٩٠ •

بين هؤلاء القديس برنارد ، وقرر لويس السابع ملك فرنسا الاشتراك فى الحملة ، كما استطاع القديس برنارد اقناع كونراد الثالث امبراطور ألمانيا الانضمام الى الحملة التى أبحرت من ايطاليا الى القسطنطينية[١٦] .

عندما وصلت الجيوش الألمانية الى أبواب القسطنطينية لم يسمح لها بدخول المدينة ، وأرسل مانويل كومنين الرسل الى الامبراطور كونراد الثالث يطلب منه الحضور اليه للتداول ، الا أن الامبراوطر الألمانى رفض مقابلة مانويل كومنين ، وطلب أن يستقبله الامبراطور البيزنطى قبل دخوله مدينة القسطنطينية ، وكادت العلاقات أن تتدهور بين الطرفين ، غير أن المفاوضات نجحت وتوصل الطرفان الى اتفاق فى النهاية .

ولقد تعرض سكان الامبراطورية البيزنطية الى متاعب كثيرة من قبل الجيوش الألمانية ، وقاموا بسلب ونهب المدن للحصول على الامدادات التموينية ، الأمر الذى جعل الجيوش الفرنسية التى أتت بعدهم تجد صعوبة للحصول على مساعدة السكان[١٧] .

بدأت القوات الألمانية العبور الى آسيا الصغرى فى نهاية سبتمبر ١١٤٧ م ، وطلب الامبراطور كونراد الثالث من الامبراطور البيزنطى أدلاء لهم دراية بالطريق ومدن آسيا الصغرى حتى لا تتعرض القوات الألمانية للخطر أو الجوع والعطش ، وسار الأدلاء البيزنطيون بصحبة القوات الألمانية ، واتخذ الامبراطور كونراد الثالث الطريق الذى عبر آسيا الصغرى للوصول الى بلاد الشام ، وذلك بناء على نصيحة الامبراطور مانويل كومنين حتى تكون الحملة تحت اشرافه . غير أن

(16) Ode of Deuil : in making crusades, pp. 129—130.
— William of tyre : op. cit., p. 163—165.
— Anonymous : op. cit., p. 298.
— Bar Hebraues : op. cit., p. 273.

(17) Ode of Deuil : op. cit., pp. 130—131.
— Setton : op. cit., p. 484 t. 1.

الأدلاء البيزنطيين ضللوا القوات الألمانية ، وساروا بها فى طريق مقفر ليس به امدادات للتموين ، بل الأكثر من ذلك أن الأدلاء البيزنطيين تسللوا فى الظلام وهربوا تاركين الجيش الألمانى لهجوم مفاجىء من سلاجقة الروم وهزم الجيش الألمانى هزيمة ساحقة وهرب الامبراطور كونراد الثالث مع فئة قليلة من نبلائه[١٨] .

هلك معظم جيش كونراد الثالث الذى كان يتكون من سبعين ألفا من الفرسان وأعداد لا تحصى من المشاة[١٩] ، ولم يبق من الجيش الا العشر ، وأمر الامبراطور القوات التى بقيت على قيد الحياة أن تعود برا ، وبقى كونراد الثالث بعض الوقت فى مدينة افسوس ، ثم استقل احدى السفن الى مدينة القسطنطينية ، وبقى بها حتى الربيع التالى حيث واصل رحلته الى بلاد الشام[٢٠] .

وفى نفس الوقت وصل ملك فرنسا لويس السابع الذى سار فى نفس الطريق الى مدينة القسطنطينية ، وبقى فترة قصيرة هناك ، وتمت عدة لقاءات بينه وبين الامبراطور مانويل كومنين ، ووقف الامبراطور مانويل موقف الامبراطور الكسيوس كومنين مع الحملة الصليبية الأولى ، وأراد أن يحتاط وأن يؤكد سيادة البيزنطيين ، فطالب برد كل

---

(18) Odo of Deuil : op. cit., p. 128.
— Anonymous : op. cit., p. 298.
— Bar Hebraeus : op. cit., p. 274.
— William of tyre : op. cit., 168—172.
— Grousset. R : op. cit., 234—36, t. 2.
— Setton : op. cit., p. 486.

ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ص ٢٩٧ .

(١٩) لا شك أن جيش الألمان كان ضخما غير أن العدد الذى ذكره وليم الصورى وهو سبعون الفا من الفرسان ، والذى ذكره ابو الفرج وهو تسعون الفا من الفرسان مبالغ فيه وتنقصه الدقة .

(20) William of tyre : op. cit., pp. 173—174.

ابن القلانسى : المصدر السابق ص ٢٩٧ .

ما سوف يستولى عليه الصليبيون من أراضى كانت تابعة فى الأصل للامبراطورية البيزنطية(٢١) .

عبر الملك لويس السابع بقواته البسفور وعسكر بالغرب فى مدينة نيقية ، وأخذ يفكر فى الطريق الذى سوف يختاره للسير فيه بقواته الى بلاد الشام ، وفى أثناء ذلك وصل الى معسكر الفرنسيين دوق سوابيا ، وأخبر الملك لويس السابع بالهزيمة التى حلت بالجيش الألمانى على يد سلاجقة الروم ، ودعا ملك فرنسا لمقابلة كونراد الثالث للتشاور معه(٢٢) .

ترك الملك لويس السابع الطريق الذى سبق أن اتخذه الامبراطور كونراد الثالث ، وفضل أن يتخذ الطريق الطويل المحاذى للبحر الأبيض المتوسط للوصول الى بلاد الشام ، ورغم ذلك تعرضت الجيوش الفرنسيه الى هزيمة فى المعركة التى دارت بينها وبين قوات سلاجقة الروم ، وقتل وأسر عدد كبير من القوات الفرنسية ، واستطاع سلاجقة الروم ان يحطموا كل حرس الملك لويس السابع ونجا الملك باعجوبة من الوقوع فى يد القوات السجوقية ، ولذلك عندما وصل الملك لويس السابع الى أضاليا قرر أن يصل الى مدينة أنطاكية ببلاد الشام عن طريق البحر حتى

---

(21) Deux lettres de Manuel Comnene au pope p. 158—60.

— William of tyre : op. cit., pp. 172—173.

— Ostrogrsky : Hist of the Byzantine state, p. 339.

— Grousset R : op. cit., pp. 236—237.

— سعيد عاشور : الحركة الصيلبية جـ ٢ ص ٦٢٦ .

— اسحاق عبيد : روما وبيزنطة ص ١٩٥ .

(22) William of tyre : op. cit., p. 173.

دوق سوابيا حمل فيما بعد اسم فردريك بربروسا Barbarossa ، وخلف الامبراطور كونراد الثالث فى حكم الامبراطورية الرومانية المقدسة (١١٥٢ — ١١٩٠ م) . انظر :

William of tyre : op. cit., p. 173, note 44.

لا تتعرض القوات الفرنسية الى مزيد من الخسائر واستطاعت الدولة البيزنطية أن تدبر السفن اللازمة لنقل هذه القوات(٢٣) .

وصل الملك لويس السابع الى مدينة أنطاكية ، ثم واصل السير منها الى بيت المقدس ، ووصل بعد ذلك بقليل من القسطنطينية الى مدينة عكا الامبراطور كونراد الثالث ، وأخذ يجمع قواته التى تشتت استعدادا لاسترداد مدينة الرها ، غير أنه تقرر عقد مجلس حرب فى مدينة عكا فى ٢٤ يونية ١١٤٨ م ، وكان يمثل الجانب الألمانى الامبراطور كونراد الثالث وكبار نبلائه ، والجانب الفرنسى الملك لويس وكبار نبلائه ، ومثل مملكة بيت المقدس الملك بلدوين الثالث ، والملكة مايسند وبطرك بيت المقدس فولشر وجميع أساقفة بيت المقدس وروبرت رئيس هيئة فرسان الداوية وريموند رئيس هيئة فرسان الاستبارية ومناسيس كندسطبل مملكة بيت المقدس وكبار النبلاء فى المملكة ، ودارت المناقشات لدراسة الموضوع دراسة كاملة ، وعرضت عدة آراء مختلفة وحدث شقاق بين المجتمعين ، غير انه اتخذ فى النهاية قرارا بالاجماع لمهاجمة مدينة دمشق الحليف الوحيد للصليبيين فى ذلك الوقت(٢٤) .

ضرب الصليبيون الحصار حول مدينة دمشق وأخذوا يهاجمون أسوارها ، وخاصة القوات الألمانية فقد عقدت العزم على اسقاط المدينة، وتعرض المسلمون لكرب شديد ، وأرسل معين الدين أنر الى سيف الدين غازى بن عماد الدين زنكى الذى جاء بنور الدين محمود معه ، ونزلت القوات الاسلامية بحمص وأخذ معين الدين أنر يراسل الصليبيين

---

(23) William of tyre : op. cit., p. 173.

— Ode of deuil : op. cit., pp. 134—35.

— Setton : op. cit., p. 499—501.

(24) William of tyre : op. cit., p. 173.

— Ode of deuil : opp. 134—35.

— Setton · op. cit., p. 499—501.

ويهددهم بتسليم المدينة الى سيف الدين غازى ، وفى ذلك خسارة لهم ، وقد اضطر الصلبيون فى النهاية الى رفع الحصار[٢٥] •

يرجع فشل حصار مدينة دمشق الى مؤامرات ودسائس الملكة مليسند ، وكانت مليسند تعارض حصار المدينة والاستيلاء عليها •

وقد أثار وليم الصورى الى الانشقاق الذى وقع فى مجلس الحرب بمدينة عكا ، وذلك لأن مدينة دمشق كانت الحليف الوحيد للصليبيين فى بلاد الشام ، كما أن مليسند كانت فى صراع على السلطة مع ابنها بلدوين الثالث ، وكانت تحاول البقاء على سلطتها ، ونجاح الصليبيين فى الاستيلاء على دمشق معناه تقوية نفوذ بلدوين الثالث ، لأن ذلك النجاح يساعد بلدوين ليصبح الحاكم الحقيقى على أساس أنه اشترك شخصيا فى الهجوم على المدينة ، وسوف ينسب اليه الانتصار خصوصا بعد سفر كل من الامبراطور كونراد الثالث ولويس السابع ، وعندما فشلت مليسند فى التأثير على لويس ، أخذت تضع العراقيل لكى يفشل الحصار عن طريق بارونات الملكة الموالين لها وتحريضهم للضغط على الملك بلدوين لفك الحصار • وهكذا فشل الحصار على مدينة دمشق بسبب الدور الذى لعبته الملكة مليسند • وأدى ذلك الى تقوية نفوذ الملكة مليسند ، وكانت نكسة خطيرة بالنسبة لبلدوين حيث ضعف مركزه[٢٦] •

---

(25) William of tyre : op. cit., p. 186—92.

— Anonymous : op. cit., p. 298—99.

— Bar Hebraues : op. cit., p. 274.

— Grouset. R : op. cit., p. 255—58.

— ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ص ٢٩٩ •

— سعيد عبد الفتاح عاشور : المرجع السابق ص ٦٣٣ •

— ارجع بن القلانسى تراجع الصلبين عن دمشق الى خوفهم من المسلمين ، أما المؤرخ المجهول وأبو الفرج ووليم الصورى ، فقد اتهموا الصليبيين بتقاضى رشوة من المسلمين فى سبيل فك الحصار •

(26) Mayer : op. cit., p. 127—129.

فشلت الحملة الصليبية الثانية فى تحقيق الهدف الذى جاءت من أجله ، وهو استرداد مدينة الرها من المسلمين ، والقضاء على قوة الزنكيين الشامية ، وهكذا نلاحظ أن مشكلات الوراثة التى كانت تعانى منها مملكة بيت المقدس لعبت دورا كبيرا فى سقوط مدينة الرها ، وأيضا فى فشل الحملة الصليبية الثانية • وعلق وليم الصورى على سقوط مدينة الرها عندما ذهب بلدوين الثالث على رأس حملة الى شمال الشام فى عام ١١٥٠ م لانقاذ مدينة أنطاكية من السقوط فى يد نور الدين محمود ، بعد أن قتل أميرها ريموند دى بواتيه فى المعركة التى دارت بينه وبين نور الدين محمود ، بقوله أن الملك بلدوين الثالث علم من مصادر موثوق بها بأن مدينة الرها تركت كلية دون حام لها ، الأمر الذى جعلها لقمة سائغة فى يد المسلمين ، وأيضا فقد تركت أنطاكية ومقاطعات أخرى الى حكم النساء ، هذه كانت تحتاج الى رعاية بلدوين الثالث[٢٧] •

وأدت الحملة الصليبية الثانية الى العكس لأن المسلمين تأكدوا تماما بأن الغرب الأوروبى لم يعد قادرا على حماية الاستعمار الصليبى فى الشرق الأدنى ، وتجرأ نور الدين محمود للهجوم على الامارات الصليبية، وأخذ يستولى على القلاع الصليبية الواحدة تلو الأخرى ، وازداد نفوذ المسلمين وضعف نفوذ الصليبيين[٢٨] •

بعد أن عاد الملك لويس السابع الى فرنسا فى ربيع عام ١١٤٩ م ، ازداد الخلاف بين الملكة مليسند وبلدوين الثالث ، فى الوقت الذى أخذ فيه نور الدين محمود يضغط على أملاك الصليبيين ، فقد قام نور الدين

---

(27) William of tyre b op. cit., p. 207.

(28) Jacques de vitry : op. cit., p. 94.
— Grousset. R : op. cit., p. 271—74.
— La Monte : op. cit., p. 17.
— Setton : op. cit., p. 530.
— سعيد عاشور : المرجع السابق ص ٦٣٥ — ٦٣٦ •

محمود بحصار حصن أنب شمالى افامية ، وعندما سمع ريموند أمـير أنطاكية بذلك توجه بقواته الى هناك ، وعندما اقترب الصـليبيون من الحصن تركه نور الدين ممحود وذهب الى التلال المجاورة ، وعسـكر الصليبيون فى سهل أنب ، ووصلت الأخبار الى نور الدين بأن الصليبيين قلة ، ولذلك حرك نور الدين قواته واشتبك مع الصليبيين فى معـركة هزمت فيها جيوش ريموند دى بواتيه هزيمة ساحقة ، وقتـل ريموند أمير أنطاكية فى هذه المعركة فى ٢٩ يونية ١١٤٩ م ، كما قتل ريحنالد Reginald صـاحب مرعش وعدد آخر من الصليبيين ، وأخـذ نور الدين الأسرى وغزا الأراضى التابعة لمدينة أنطاكية ، واسـتطاع أن يستولى على حارم وارتاج وكل القرى التى تقع حول حارم(٢٩) •

أدى موت ريموند أمير أنطاكية الى تدخل الملك بلدوين الثالث حيث استدعاه بطرك أنطاكية لانقاذ المدينة من السـقوط فى يد نور الدين محمود ، ولقد توجه الملك بلدوين الى أنطاكية فى النصف الثانى من عام ١١٤٩ م • وأدى ظهور الملك بلدوين فى مدينة أنطاكية أن وافق نور الدين محمود على عقد معاهدة مع مدينة أنطاكية ، وبذلك استطاع بلدوين الثالث انقاذ أنطاكية(٣٠) • وقام بالدور الذى قام بـ هأجداده ، وأدى ذلك الى تدعيم مركز بلدوين الثالث السياسى ، ورفع من شأنه فى مملكة بيت

---

(29) William of tyre : op. cit., p. 196—198, 201.

— Anonymous : op. cit., pp. 300—301.

— Conder. C : The latin kingdom of jerusalem, p. 113.

— Setton : op. cit., pp. 532—33.

ـــ أبو شامة : كتاب الروضتين فى أخبار الدولتين جـ ١ ص ١٥٢ .

ـــ ابن الاثير : المصدر السابق جـ ٩ ص ٢٥ •

ـــ ابن القلانس : المصدر السابق ص ٣٠٥ •

ـــ حسن حبشى : نور الدين محمود الصليبيون ص ٨٠ــ٨١ •

(30) William of tyre : op. cit., p. 200.

— Runciman : op. cit., pp. 327—328.

— Setton : op. cit., p. 533.

المقدس ، ذلك لأن بلدوين الثالث تحمل لأول مرة مسئولية سياسية بادارة شئون مدينة أنطاكية كوصى بناء على طلب نبلائها ، وتقديم بلدوين الثالث الحماية لمدينة أنطاكية والبقية الباقية من مدينة الرها ، رفعه الى مستوى المسئولية التقليدية لملوك بيت المقدس ، ولم يستطع الملك بلدوين أن يبقى طويلا فى مدينة أنطاكية لأن ظروف المملكة تطلبت عودته سريعا(٣١) .

عاد الملك بلدوين من أنطاكية ، ويبد أن عدم بقائه فى الشمال مدة طويلة لخوفه من أن تسيطر أمه مليسند على الأمور ، ولقد ظهر بلدوين الثالث فى خريف عام ١١٥٠ م وهو مشغول فى اعادة بناء حصن غزة فى جنوب مملكة بيت المقدس(٣٢) ، ويبدو أن الملكة مليسند قد استفادت من فشل الحملة على مدينة دمشق ، وعانى الملك بلدوين كثيرا من ذلك ، حيث بدأت تظهر آثار ذلك بوضوح فى عام ١١٤٩م ، لأن الملكة مليسند بدأت تقلل من وضع الملك القانونى فى الوثائق الوثائق التى تصدر فى المملكة ، ومن الجدير بالذكر أن بلدوين الثالث سبق أن أصدر وثيقة فى بداية حكمه باسمه دون ذكر موافقة مليسند ، الا أن هذه الوثيقة أعيد اصدارها مرة أخرى وعليها موافقة بلدوين ومليسند معا ، وأيضا بدأت مليسند تشرك ابنها الصغير فى الحكم الأمر الذى يخالف وصية أبيها بلدوين الثانى ، بل الأكثر من ذلك أصبحت مليسند منذ ذلك التاريخ تصدر الوثائق باسمها وتذكر فقط موافقة بلدوين الثالث(٣٣) .

هناك دليل آخر يثبت أن الملكة مليسند دأبت على حجب الملك بلدوين بعيدا عن الأنظار ، والأضواء ، ذلك أنها لم تصدر وثائق مشتركة بل كل ما سلمت به هو ذكر موافقة بلدوين الثالث ، وأصبح واضحا من تصرفات

---

(31) William of tyre : op. cit., pp. 200—201.
— Mayer : op. cit., p. 129.

(32) William of tyre : op. cit., pp. 202—203.

(٣٣) انظر الملحق رقم ٤

— Mayer : op. cit., p. 129.

الملكة مليسند ومن التحول التدريجي لوضع بلدوين الثالث فى الوثائق الملكية ، أن العلاقات بين الملكة مليسند والملك بدوين قد توترت • لقد سيطرت الملكة مليسند على مناطق واسعة من المملكة وأخضعتها لنفوذها ، وعلى بلدوين اذا أراد أن يقوم بحركة مضادة ضدها أن يسـيطر على الممتلكات الملكية على الشاطىء وخاصة مدينة عكا ومدينة صور ، فى عام ١١٤٩ م حاولت مليسند أن تمنع سيطرة بلدوين الثالث على تلك المناطق الملكية ، وذلك عندما حاولت أن تجذب هيئة فرسان الاستبارية الى جانبها عن طريق منحهم بعض الهبات فى تلك المناطق[٣٤] •

أما هيئة فرسان الداوية فكانت تتصرف كهيئة محايدة بين الملك وأمه ، وأيضا لجأت مليسند الى ابعاد رالف Ralph رئيس دار الوثائق الملكية ومستشار البلاط الملكى والموثق العام ، وأصبح هذا المنصب من الناحية العملية شاغرا ولم يصل اليه مستشار له خبرة بذلك العمل • وكانت مليسند تقصد بذلك انشاء ادارة مستقلة خاصة بها ، وفعلا فقد اختارت مجموعة من عمالها الذين تثق فيهم للقيام بكتابة وثائقها ، وكان من بين هؤلاء جويدو Guido الذى ظل يكتب وثائق الملكة حتى وفاتها[٣٥] •

ويبدو واضحا أن الخلاف بين الملكة مليسند والملك بلدوين قد زاد ، ذلك نتيجة لما قامت به الملكة مليسند من التقليل من شأن الملك بلدوين الثالث فى الوثائق الملكية ،ولقد تأكدت مليسند بأنها لاتستطيع أن تبعد بلدوين الثالث كلية عن المسرح السياسى الى الأبد ، كما أنها كامـرأة لا تمتلك كل صلاحيات الملك ، وأنها تعلم علم اليقين أن نبلاء بيت المقدس يرفضون تماما أن تحكمهم امرأة بمفردها ، ولذلك رأت مليسند أن تحتفظ بالسلطة لنفسها ، وعملت على انشاء منطقة خاصة بها داخل حدود المملكة،

---

(34) Ibid, p. 130.
(35) Mayer : op. p. 131—135.

وبذلك كانت مليسند تعمل على تقسيم المملكة الى قسمين متميزين ووتتجنب التقسيم الرسمى للملكة ، ويبدو ذلك فى انشاء دار خاصة بها لاصدار الوثائق الرسمية ، وكانت لا تمانع فى أن يظهر اسم الملك بلدوين الثالث فى الوثائق التى تصدرها وذلك للحفاظ بأدنى حد لحقوق بلدوين الثالث[٣٦] .

والتفكير فى أن يكون لها السيادة وحدها يعنى جر المملكة الى حافة الحروب الأهلية ، ولقد كان للملكة مليسند السلطة الكافية التى مكنتها من ابعاد رالف المستشار الملكى ، الا أنها لم يكن ديها السلطة لتعيين خلفا له ، لأن ذلك يحتاج الى موافقة الملك بلدوين الثالث بالاضافة الى اجراءات قانونية أخرى ، ويبدو أنه فى عام ١١٤٩ م كان هناك شبه اتفاق بين الطرفين لعدم تعيين مستشار ملكى ، واختص كل طرف باصدار وثائقه فى دار وثائقه الخاصة به[٣٧] .

وكان انشاء دارين منفصلين لاصدار الوثائق حل وسط بالنسبة للطرفين ، وقد أنقذت هذه التسوية مملكة بيت المقدس من قطيعة عائلية بين الملكة الأم والملك بلدوين الثالث ، هذه القطيعة التى لم يكن الملك قويا لمواجهتها ، وأيضا فان الملكة لا تكسب شيئا من ورائها ، وان انشاء مليسند دارا خاصا بها لاصدار الوثائق الرسمية هو علامة لبداية لتقسيم المملكة الى كتلتين مختلفيتين[٣٨] .

فقدت مليسند فى ذلك الوقت أكبر أعوانها وأخلص النبلاء : وهو الينارد Eiinard صاحب طبرية وأمير الجليل ، فقد مات الينارد حينذاك ولذلك انتهت سيطرة الملكة مليسند على منطقة الجليل ، وخرجت عن نفوذها أكبر اقطاعة من اقطاعيات التاج الملكى فى بيت المقدس ،

---

(36) Mayer : op. cit., pp. 135—136.

(37) Loc. cit.

(38) Mayer : op. cit., p. 136.

وهذا الحدث قلب ميزان القوى بعض الشيء لصالح الملك بلدوين الثالث، وأصبحت منطقة الجليل موضع نزاع وخلاف بين الورثة لعدة سنوات ؛ وذلك مهد الطريق للملك بلدوين الثالث ومنحه فرصة عادلة فى النهاية ، حيث استطاع الملك أن يدعم نفوذه فى تلك المنطقة الهامة بفضل مساندته لأحد الورثة وهو سمعان Simon [٣٩] •

لم يقتصر عمل مليسند على الغاء منصب مستشار المملكة • فقد شرعت مليسند فى تكوين جهاز حكومى خاص بها مختلف عن جهاز الحكومة الخاص بالمملكة ، وكان لها حاجبها الخاص وحرسها الخاص المنفصل عن الحرس الملكى ، وبذلك كانت تعد نفسها لحسم النزاع القائم بينها وبين الملك بلدوين والذى اقتربت نهايته ، وخطت الملكة مليسند أكثر من ذلك عندما كونت لنفسها حزبا مشايعا لها من بين بارونات المملكة الذين يكون اخلاصهم للملكة مليسند فقط وليس لمملكة بيت المقدس • وكانت مليسند تشير الى هؤلاء الأتباع المخلصين لها بتحفظ وحذر ؛ أما فى عام ١١٥٠ م فقد بدأ الاعلان عن هؤلاء الأتباع صراحة وعلنا ، وأن هؤلاء يدينون بالولاء والاخلاص لها وحدها ، وبذلك خطت مليسند خطوات أكبر بكثير من انشاء الجهاز الحكومى ، وتورطت فى العمل على تفكك المملكة ، وهذه الخطوة كان لا يمكن السكوت عليها لأنها ضد الصالح العام ، وتؤدى الى تحطيم القوة العسكرية • ولقد كان سبب هذه الخطوة التى أقدمت عليها مليسند هو تقدم بلدوين وتحول ميزان القوى لصالحه ، ولذلك رأت مليسند بأنها اذا أرادت أن تسود وتنتصر فلابد لها أن تقضى على الملك بلدوين ، وأن تحاول ايقاف مشروعه المقبل فى شمال الشام كما سنرى[٤٠] •

كان جوسلين الثانى بمدينة عزاز عندما سمع بقتل ريموند دى

---

(39) Ibid : pp. 136—137.

(40) Mayer : op. cit., pp. 147—148.

بواتيه أمير أنطاكية • ثم توجه مع عدد قليل من رجاله الى مدينةأنطاكية، وبينما هو فى الطريق اليها انقض عليه بعـض التركمان الذين كانوا مختفين فى الأشجار ، وذلك فى ٥ مايو ١١٥٠ م ، ورفضوا بيعه لبعض المسيحيين الذين تعرفوا على شخصيته ، وذهبوا به الى مدينة حلب حيث أمر نور الدين بوضعه فى السجن(٤١)ذ •

عندما سمع مسعود سلطان سلاجقة الروم بالقبض على جوسلين الثانى ، انتهز هه الفرصة وأغار على المناطق المجاورة لمدينة الرها والتى كانت لا تزال فى يد الصليبيين ، وبعد أن استولى السلطان مسعود على بعض المناطق اضطر أن يعود الى بلاده ، غير أن نور الدين محمود لم يترك تلك المناطق وقام بهجوم عنيف بعد القبض على جوسلين الثانى وبصفة خاصة على قلعة تل باشر التى كانت جيدة التحصين ومزدحمة بالسكان ، وهكذا تعرض شمال الشام الى ضغط سلاجقة الروم ونور الدين محمود فى آن واحد(٤٢) •

بينما كان الملك بلدوين يعيد بناء حصن غزة فى جنوب مملكة بيت المقدس ، وصلته أخبار القبض على جوسلين الثانى أمير تل باشر ، وهذه الكارثة التى وقعت فى الشمال جعلت الملك بلدوين يعود الى بيت المقدس، مع أن العمل فى حصن غزة لم ينته ، ووجد الملك بلدوين الثـالث أن الظروف تحتم عليه الذهاب الى شمال الشام ، لذلك دعا قوات مملكة بيت

---

(41) Anonymous : op. cit., pp. 300—301.
— William of tyre : op. cit., p. 201.

— ابن العديم : زبدة الحلب فى تاريخ حلب جـ ٢ ص ٣٠٢ •

— ابن الأثير : الكامل فى التاريخ جـ ٩ ص ٢٩ •
— Setton : op. cit., p. 533.

اشار المؤرخ المجهول بأن نور الدين محمود أمر بسمل عينيه ثم وضعه فى السجن لمدة تسع سنوات ولم ترد هناك اشارة عند المؤرخين الاخرين بأن نور الدين أمر بسمل عينيه •

(42) William of tyre : op. cit., pp. 207—208.

المقدس للحرب ، غير أن البارونات التابعين للملكة مليسند لم يحضروا ، ولذلك لجأ الملك بلدوين الى اجراء غير عادى ، فبدلا من أن يصدر استدعاء عاما وذلك عن طريق السفراء كما كان متبعا فى حالة الحرب . قام باستدعاء البارونات الممتنعين شخصيا ، وذلك بكتابة أوامر رسمية ، الا أنهم رفضوا الاذعان لأوامر الملك ، وكان رفض الخدمة العسكرية بالنسبة للنظام الاقطاعى يعتبر جناية ، لأن هذا النظام أسس على الخدمة العسكرية ، لكن هؤلاء الرافضين الذين تحدوا الملك كانوا يستندون على نقطة هامة ، ألا وهى أنهم من حزب الملكة مليسند ، ولذلك اعتبروا أنفسهم مطالبين بالخدمة تحت لواء مليسند ، وأن الملكة مليسند لم تدعوهم لذلك(٤٣) .

حاولت مليسند أن تمنع الملك بلدوين من الذهاب الى شمال الشام للمرة الثانية ، لأنها كانت تعلم أن مثل هذه الحملة سوف تكسب بلدوين سمعة طيبة لقيامه بالدفاع عن شمال الشام ، وقيامه بالوصاية على أنطاكية والبقية الباقية من مدينة الرها ، لذلك أرادت أن تخرب مشروعات الملك بلدوين الثالث وتضع العقبات أمامه ، ولذلك منعت مليسند الأفصال الذين كانوا يدينون لها بالولاء والاخلاص من الانضمام الى جيوش مملكة بيت المقدس ، وكان هذا التصرف من جانب مليسند من أخطر التصرفات التى أدى اليها الصراع على السلطة بين الملك بلدوين وبين الملكة مليسند والتى كانت لها عواقبها الوخيمة على تاريخ الحركة الصليبية ، ليس فقط فى عهد الملك بلدوين الثالث بل أيضا فى عهد أخيه الملك عمورى الأول كما سنرى فى الفصل القادم .

قرر بلدوين الثالث الذهاب الى شمال الشام رغم رفض أفصال الملكة مليسند الانضمام الى جيشه ، ولقد رافق بلدوين الثالث حملته

---

(43) Ibid : pp. 202—208, 207.

— Mayer : op. cit., pp. 148—149.

همفرى Humphrey صاحب الشقيف وجاى Guy صاحب بيروت ، ويبدو أن الملك بلدوين حصل على قوات من مدينة عكا ومدينة صـــور ومنطقة الجليل ، لأن هذه المناطق أصبحت تحت سيطرته ، ثم انضم الى الملك بلدوين جيش امارة طرابلس وطبقا للقائمة التى أوردها حنا ابلين والتى ذكر فيها عدد الجيش رفى كل اقطاعة من اقطاعات المملكة(٤٤) ، فان الملك بلدوين يكون قد حصل على قوات عسكرية لا بأس بها ، الا أن الملك بلدوين الثالث لم يستطع أن يأخذ هذه القوات كلها واكتفى بقوة صغيرة وترك باقى القوات فى المملكة ، وذلك حتى لا يعطى فرصة للملكة مليسند كى تسيطر على الأمور فى مملكة بيت المقـــدس عندما يكون غائبـــا فى الشمال(٤٥) • وهكذا فقد الملك بلدوين الثالث معظم أفصال مملكة بيت المقدس فى لحظة من أحرج اللحظات التى كانت تواجه الصليبيين فى بلاد الشام •

وجدت الدولة البيزنطية فرصة مواتيـــة لها ، وأراد الامبراطور البيزنطى مانويل كومنين أن يستفيد من الكارثة التى أصابت الصليبيين فى بلاد الشام ، فعندما سمع بأسر جوسلين الثانى أمير الرها أرسل أحد كبار نبلائه مع قوة من الفرسان ، وعرض على زوجة جوسلين الثـــانى بيترباك Beatrice ، أن يشترى الحصون المتبقية من امارة الرها فى مقابل مبلغ كبير من المال ومعاش سنوى لها ولأولادها ، وحتى تستطيع الدولة البيزنطية أن تقـــوم بحماية هذه القلاع ضد المســـلمين ، وكان الملك بلدوين الثالث قد وصل الى مدينة أنطاكية بقواته الصغيرة التى كانت معه ، وتم عرض موضوع تسليم الحصون الباقية من امارة الرها للبيزنطيين على الملك بلدوين الثالث(٤٦) •

---

(44) Assises de jerusalam : op. cit., p. 422 tome 1.

(45) William of tyre : op. cit., pp 208—209.

— Setton : op. cit., pp. 533—534.

عقد الملك بلدوين مجلسا لبت فى هذا الموضوع ، ودارت المناقشات وأنقسم الصيبيون الى فريقين : فريق وافق على اقتـراح الامبراطور البيزنطى والفريق الآخر كان يرى بأن الأمور لم تصل الى هذه الخطورة حتى يقوم الامبراطور البيزنطى بحماية أراضى الصليبيين ، ولذلك رفض هذا الاقتراح ، وكان رأى الفريق الذى يساند اقتراح الامبراطور ، أنه من لأسلم تسليم الأراضى الصليبية الى مانويل كومنين قبل أن يستولى المسلمون عليها ، وكان الملك بلدوين مع الفريق الذى يرى تسليم الحصون الى الدولة البيزنطية ، لأنه رأى بأن هذه الأراضى سوف لا تستمر طويلا فى يد الصليبيين ، وأن مسئولياته فى مملكة بيت المقدس لا تمكنه من البقاء طويلا ، ولم تكن لديه قوات كافية تجعله يستطيع حكم امارتين نقعا على مسافة بعيدة من مملكته ، وخاصة أن امارة أنطاكية تعيش دون حام لها منذ قتل ريموند دى بواتيه ، ووافق مجلس الصليبيين المنعقد فى مدينة أنطاكية على تسليم الحصون المتبقية من أراضى الرها للبيزنطيين بالشروط التى عرضوها(٤٧) .

توجه الملك بلدوين الثالث فى اليوم الثانى لتسليم الحصـــون للبيزنطيين حتى يستطيع الامبراطور مانويل كومنين أن يضع فيها قواته ، وسلمت القلاع الصيلبية الى البزنطن ، وكان عددها ستة حصون وهى : تل باشر Turbessel ورافندل Renaud de ، وسمساط Samosata ، وعنتاب Antab ، ودلوك Duluk ، وبيرجيك Birjik ، وقد ترك كثير من السكان سواء من الأرمن أو الصليبيين هذه الحصون وفضلوا الاقامة فى مدينة أنطاكية ، وخرج سكان تلك المناطق فى هجرة جماعية بنسائهم وأطفالهم وحيواناتهم وأمتعتهم مع الملك بلدوين الثالث لكى يبحث لهم عن مأوى آمن ، وقد فاجـأ نور الدين هذه الجمـوع

---

(47) William of tyre : op. cit., pp. 208—209.

— Setton : op. cit., pp. 533—345.

الغفيرة فى الطريق ، وعاد الملك بلدوين الى مدينة أنطاكية بصعوبة بالغة(٤٨) .

تخلص الملك بلدوين الثالث من عبء رأى أنه لا يستطيع أن يتحمله فى تلك الظروف التى اشتد فيها الصراع على السلطة بينه وبين الملكة مليسند ، وأصر على ألا يتحمل مسئولية سقوط البقية الباقية من امارة الرها فى يد المسلمين ، وأراد أن يلقى بهذه المسئولية على كاهل البيزنطيين ، ومهما يكن من أمر فان بلدوين الثالث لا يمكن اعفاؤه من المسئولية ، ولا شك أن مليسند كانت المسئول الأول فى انهيار الجبهة الصليبية وبلدوين الثالث يعتبر شريكا فى هذه المسئولية ، وقد ذكر وليم الصورى أن فئة من النبلاء عندما رأوا منظر الهجرة الجماعية عرضوا على الملك أن يترك لهم حماية تلك الحصون ، وكان على رأس هؤلاء همفرى صاحب الشقيف ، وروبرت دى سوردفال Robert de saurdeval وهو من الأمراء الأقوياء فى مدينة أنطاكية المشهود لهم بالشجاعة والقدرة ، الا أن الملك بلدوين الثالث أصر على عدم تسليم تلك الحصون الى هؤلاء بحجة أنهم ليس لديهم اقوات اكافية ، وأنه لا يستطيع نقض الاتفاق الذى تم بينه وبين الدولة البيزنطية(٤٩) .

وكانت خطورة تصرف الملك بلدوين الثالث تكمن فى أنه لأول مرة يعترف بوجود قوات من الدولة البيزنطية لحماية الحصون الصليبية ، الأمر الذى أدى الى تدخل الامبراطور مانويل كومنين لاعادة النفوذ البيزنطى فى بلاد الشام ، وكانت بداية لارتماء الصليبيين فى أحضان الدولة البيزنطية طوال عهد الامبراطور مانويل كومنين .

لم يبق الملك بلدوين الثالث طويلاً فى مدينة أنطاكية ، وعلى الرغم من أن وليم الصورى أكد مرارا بأن الملك لم يستطع البقاء طويلا فى

---

(48) William of tyre : op. cit., pp. 209—210.

(49) William of tyre : op. cit., p. 210.

شمال الشام[٥٠] ، الا أن سرده للاحداث يبين أن الملك بقى هناك طويلا ، لأنه ذكر أن الملك بلدوين بعد عودته من تل باشر أخذ يبحث عن زوج للاميرة كونستانس التى رفضت كل المرشحين لها الذين اقترحهم الملك ، وكان هؤلاء على درجة عالية من الكفاية والمقدرة لحكم أنطاكية ، لذلك دعا الملك بلدوين الى مجلس فى مدينة طرابلس ، حضره بطرك أنطاكية وأمراؤها والملكة مايسند ونبلاء مملكة بيت المقدس وأمير طرابلس ريموند الثانى ، وقد انفض المجلس دون أن يصل الى شىء فى موضوع زواج أميرة أنطاكية • وقد قتل ريموند الثانى بعد انعقاد مجلس طرابلس بقليل على يد أحد أفراد طائفة الحشاشين[٥١] •

هذا السرد الذى أورده وليم الصورى يبين أن الملك بلدوين الثالث استمر فى شمال الشام من ١١٥٠ م الى سنة ١١٥٢ م ذلك لأن ريموند الثانى أمير طرابلس الذى قرر وليم الصورى بأنه مات بعد انعقـــاد المؤتمر بقليل فقد ثبت بأنه كان حيا فى مايو ١١٥٢ م ، وذلك عن طريق الوثيقة التى نشرت حديثا[٥٢] عن الاتفاقية التى أبرمت بين أسقف مدينة طرسوس ورئيس هيئة فرسان الداوية لبناء قلعة جديدة هناك بمعرفة فرسان الداوية ، وكان ريموند الثانى شاهدا على صياغة هذه الاتفاقية التى تمت بعد فبراير عام ١١٥٢ م[٥٣] • وهذا يعنى أن المجلس الذى

---

(50) William of tyre : op. cit., p. 213.

(51) Ibid : op. cit., p. 212—214.

(52) Riley smith · The templer and the castle of Tortosa in syria : An unknown Document concerning the Aquisition of the fortress. in English Historical Review, p. 278—284.

(٥٣) تناولت الوثيقة استيلاء المسلمين على طرسوس وتخريبها بمعرفة نور الدين محمود ، وشملت أيضا معلومات عن العلاقات بين هيئة الفرسان الاسبتارية وهيئة فرسان الداوية كما احتوت الوثيقة على شروط وثيقة أخرى فقدت كانت قد أبرمت بين أسقف طرسوس ورئيس هيئة الفرسان الاستبارية. وعرفنا عن طريق هذه الوثيقة القرار الذى اتخذه ريموند الثانى قبيل وفاته
=

دعا اليه الملك بلدوين الثالث لم ينعقد قبل عام ١١٥٢ م ، لأن ريموند قتل مباشرة بعد انعقاد المجلس ، وبالتأكيد فان بلدوين الثالث لم يبق فى شمال الشام من عام ١١٥٠ م الى أوائل صيف عام ١١٥٢ م دون أن يعود الى بيت المقدس ، لأن فى ذلك الوقت انفجرت الحرب الأهلية ، ولابد أن الملك بلدوين كان مشغولا فى مملكته ، ولذلك فان الملك بلدوين ذهب فى هذه السنوات مرتين الى شمال الشام ، أحدهما فى صيف ١١٥٠ م لمساعدة الأنطاكيين والثانية فى صيف عام ١١٥٢ م لعقد اجتماع فى طرابلس للنظر فى زواج أميرة أنطاكية وذلك بعد انتصاره فى الحرب الأهلية على مليسند[٥٤] .

لم يكن مركز الملكة مليسند ثابتا ومستقرا تمـاما ، وحاول الملك بلدوين أن يتدخل فى مناطق نفوذ مليسند ، وذلك عندما قام باعادة بناء حصن غزة فى جنوب المملكة ، واستطاعت مليسند أن تجمد نشاط الملك عندما أسند هذا الحصن الى هيئة فرسان الداوية وهى هيئة محايدة[٥٥] ، وفشل الملك بلدوين فى أن يسند هذا الحصن الى أحد أعوانه ، وحاولت الملكة مليسند أن تقيم حول العاصمة قوة متينة ومؤثرة من الأتباع تعوق تقدم الملك وسيطرته على ممتلكات المملكة ، فبعد أن استطاع مانسـبة كندسطبل المملكة وأحد المقربين للملكة أن يسيطر على اقطاع رام الله بعد ما تزوج هليفة Helive أرملة باليان دى ابلين Balian de ibelin

---

=

فى عام ١١٥٢ م ، وهو السماح لفرسان الداوية ببناء حصن جديد فى هذه المدينة ويبدو أن حاجته العسكرية لحماية طرابلس جعلته يوافق على مثل هذا الاجراء . كما مدتنا الوثيقة بمعلومات قيمـة عن المدينة وابرشـياتها وقوانينها .

انظـر :

— Riley smith : op. cit., p. 278—288.

(54) Mayer : op. cit., p. 160.

(55) William of tyre : op. cit., pp. 202—203.

وهذه المصاهرة أعطت مانسبة قوة كبيرة(٥٦) ، خطت الملكة خطوة بالغة الخطورة عندما قامت بتعيين ابنها عمورى كونتا على يافا(٥٧) ، عام ١١٥١ م ، وكان عمورى من حزب مليسند ومن المخلصين لأمه ، وظل الى جانبها الى آخر لحظة فى الصراع الذى كان بينها وبين بلدوين الثالث ؛ ومن الواضح أن الملك بلدوين لم يكن له دور فى هذا الترشيح أو التعيين، لأن تعيين عمورى فى مدينة يافا لا يمكن الملك بلدوين من توسيع ممتلكاته فى الجنوب ، وستكون السيطرة على تلك المناطق لكونت يافا ، وتستطيع الملكة مليسند الاعتماد على اخلاص عمورى فى تنفيذ ما تريد(٥٨) .

أرادت الملكة مليسند أن تستخدم عمورى الذى كان يبلغ من العمر خمسة عشر عاما(٥٩) عند تعيينه كونتا لمدينة يافا ، فى لعبتها السياسية ضد الملك بلدوين الثالث ، ولذلك فان مليسند قد تجاوزت الحدود التى لا يستطيع بلدوين السكوت عليها ، فقد أعطت مليسند عمورى نصيبا فى الحكم دون أن يكون لها تفويض بذلك طبقا لوصية أبيها بلدوين الثانى، وهذا التعيين قد أضاف قوة الى مليسند وهدد مركز بلدوين الثالث ، ويبدو أن الملك بلدوين خشى من أمه مليسند أن تقيم عمورى ملكا منافسا له ، فان وصول عمورى الى الحكم خير لها من تقسيم المملكة ، حيث تستطيع مليسند الاحتفاظ بكامل سلطاتها فى ظل حكم طفل لم يتجاوز

---

(56) Assises de jerusalem : Lois t 2, pp. 470—71.

— La Monte L : op. cit., p. 17.

— William of tyre : op. cit., p. 204.

(٥٧) ذكرت مليسند فى الوثيقة التى أصدرتها فى أوائل عام ١١٥٢ م بأنها حصلت على موافقة ابنها عمورى كونت يافا . انظر الملحق رقم ٤

(58) Mayer. H : op. cit., p. 162.

(٥٩) أشار وليم الصورى أن عمورى تم تعيينه كونتا لمدينة يافا عندما أصبح فارسا قادرا على حمل السلاح ، وكانت السن المحددة لتأدية الخدمة العسكرية عند الصليبيين هو خمسة عشر عاما للذكور . انظر :

— Assises : Lois I, pp. 259—260.

— Conder. C : op. cit., p. 181.

خمسة عشر عاما ، وشعر الملك بلدوين بأنه اذا أراد أن يحافظ على وحدة مملكة بيت المقدس يجب عليه أن يتحرك ليس فقط لتدعيم سلطته ولكن أيضا لكى يمنع تقوية وتعزيز سلطة مليسند التى شيدتها فى سنتى ١١٥٠—١١٥١م بواسطة زواج مانسيه لكندسطبل وانشاء كونتيسة يافا(٦٠) .

بدأ بلدوين الثالث يتحرك فى ربيع عام ١١٥٢ م وكان قد تجاوز سن الثانية والعشرين ، وصمم على أن يتم تتويجه فى عيد الميلاد وفى بيت المقدس مرة ثانية ، حيث تم تتويجه فى المرة الأولى مع أمه مليسند فى عام ١١٤٣ م ، والآن يريد تثبيت ذلك منفردا ، وكان الملك بلدوين يعلم أن البطرك الشخص الوحيد الذى يستطيع القيام بهذا العمل ، ولذلك حاول الملك بلدوين أن يكسب البطرك الى جانبه ، وطلب منه أن يتوجه دون أن تشترك معه الملكة مليسند(٦١) ، فى ذلك التتويج ، ومعنى ذلك أن الكنيسة تشترك مع الملك بلدوين فى ابعاد الملكة مليسند عن السلطة ، ولا يمكن أن توافق الكنيسة على ذلك لأنها كانت تساند الملكة مليسند وتقف الى جانبها ، ولما كان بطرك بيت المقدس لا يمكنه السلطة المطلقة فى رفض تتويج بلدوين الملك الشرعى ، وخاصة أن العادات والتقاليد جرت على أن يتوج الملوك فى أعياد الميلاد ،ولكى يخرج البطرك من ذلك المأزق توسل الى الملك بلدوين ورجاه أن تشاركه أمه مليسند فى أمجاده(٦٢) .

---

(60) Mayer. H : op. cit., p. 164.

(٦١) اشار المؤرخ رانسمان بأن مليسند عندما شعرت بأن الراى العام يطالب بأن يتوج بلدوين مرة ثانية ليتولى الحكم ، اتفقت مع بطرك بيت المقدس أن يتم تتويجها مرة أخرى مع ابنها حتى تكون سلطتها واضحة ، وقد حدد موعد للتتويج ، غير أن الملك بلدوين أجل هذا الميعاد وفى اليوم التالى دخل بلدوين كنيسة بيت المقدس ومعه مجموعة من فرسانه وأرغم البطرك على تتويجه منفردا . انظر :

— Runciman : op. cit., p. 334.

(62) William of tyre : op. cit., p. 205.

— Mayer. H : op. cit., pp. 164—165.

والعرض الذى تقدم به البطرك للملك بلدوين يلغى الخطة التى رسمها الملك بلدوين ؛ لأن التتويج المشترك بين الأم مليسند والابن بلدوين يعنى أمام الناس أن الخلاف والشقاق بين الملك ومليسند قد تمت تسويته، وبلدوين كان لا يرغب فى ذلك مطلقا ، ويبدو أنه تبين للملك بلدوين أن ذلك هو الخيار الوحيد الذى يستطيع البطرك أن يقوم به ، وذلك حرصا على مصلحة كنيسة بيت المقدس التى كانت مليسند حليفة لها ، ولذلك لجأ الملك بلدوين الثالث الى الحيلة والخديعة ، بعد أن رأى أن البطرك لا يريد أن يتوجه دون أن تكون معه الملكة مليسند ، وطلب تأجيل تتويجه فى عيد الميلاد ، ولقد قبل البطرك هذا الا قتراح ، ولكن على غير المتوقع ظهر الملك بلدوين الثالث فى اليوم الثانى علانية وعلى رؤوس الاشهاد ولابسا تاجا على رأسه ، دون أن تكون معه مليسند أو تدعى أو تعلم بذلك(٦٣) .

أدت هذه الأحداث المفاجئة الى دعوة المحكمة العليا للاجتماع ، وحضر الاجتماع الملك بلدوين الثالث والملكة مليسند ، وطلب المالك فى هذا الاجتماع أن تقوم أمه بتقسيم المملكة رسميا واعطائه حقه فى الوراثة ، وناقشت المحكمة طلب الملك بلدوين طويلا ، ويبدو أن المحكمة انقسمت الى مؤيدين ومعارضين وفى النهاية وافقت على التقسيم ، لأن قانون المملكة كان فى صالح بلدوين(٦٤) ولقد أقر جده بلدوين الثانى فى عام ١١٣١ م حكما مشتركا ، الا أن السنوات القليلة الماضية أثبتت عدم جدواه ، وأثبتت الأحداث أن المملكة من الناحية العملية تحت حكم حاكمين منفصلين وغير متعاونين معا على الاطلاق ، لذلك وافق كل من

---

(63) William of tyre : op. cit., p. 204.
— Mayer. H : op. cit., p. 165.
— La Monte L : op. cit., pp. 17—18.

(64) William of tyre b op. cit., p. 205.
— Setton : op. cit., p. 205.
— Mayer. H : op. cit., p 166.

أتباع الملكة مليسند وأتباع الملك بلدوين على التقسيم الرسمى • وأثارت الملكة مليسند فى اجتماع المحكمة العليا ادعاءات خطيرة قبل أن توافق على هذا التقسيم ، ذلك لأنها أرادت أن تحتفظ لنفسها بالسنيادة العليا على مملكة بيت المقدس والعودة للسيطرة فى أى وقت تريد ، لقــد قالت مليسند أنها تسلم نصف المملكة للملك بلدوين وتحتفظ بالنصف الثانى ، مع أن المملكة تعتبر كلها ملك لها ورثتها عن طريق والدها بلدوين الثانى ، وهكذا تدعى مليسند أن مملكة بيت المقدس حقا خالصا لها ، مع أن ذلك يتعارض مع وصية الملك بلدوين الثانى الذى أقرها فى عام ١١٣١ م والتى أعطت الحق للملك بلدوين الثالث أن يكون شريكا فى الحكم ، وهذا الادعاء من الملكة مليسند لا يجعل البا بمفتوحا بالنسبة لها لاســتعادة السلطة فى أى وقت فقط بل يجعلها تبرر كل تصرفاتها فى الماضى(٦٥) •

وافقت المحكمة العليا على تقسيم المملكة بين الملك بلدوين والملكة مليسند ، على أن يأخذ الملك مدينتى عكا وصور ، وتأخذ مليسند بيت المقدس ونابلس وكانت يافا تعتبر أيضا من الناحية العملية تابعة للملكة لأنها كانت تحت حكم عمورى ، ولقد قرر وليم الصورى بأنه ترك للملك بلدوين لكى يختار القسم الذى يرغب فى حكمه(٦٦) ، ويبــدو أن الملك بلدوين الثالث كان مضطرا لأن يأخذ عكا وصور لأنه كان يتمتع فى تلك المناطق بنفوذ كبير بينما كانت الملكة مليسند تسيطر على بيت المقدس وما حولها من المناطق •

لم يستمر التقسيم الذى أجرته المحكمة العليا فى بيت المقــدس طويلا ، ذلك لأنه كان من المســتحيل على الملك بلدوين أن يرضى بذلك الحل ، وأخذ يستعد لخوض معركة ضد أمه ، وكان تأول خطوة قام بها

---

(65) Mayer. H : op. cit,. p. 166.

(66) William of tyre :op. cit. p 205

— Runciman : op. cit., p. 334.

الملك بعد التقسيم تعيين همفرى صاحب الشقيف كندسطبلا لقيادة جيوش الملك ، وكان همفرى يمتاز بالكفاءة والقدرة الحربية ، وبعد عــدة شهور طلب بلدوين مناقشة التقسيم ، وقد أورد وليم الصورى بأن الملك أصغى لمستشاريه الذين دأبوا على تحريضه ضد أمه ، وبدأ يخلق المتاعب فى المملكة ، فقد اقترح بأن يستولى على الجزء الذى سبق أن أخذته الملكة مليسند طبقا للاتفاق الســابق ، وبذلك يتم ابعاد مليسند تمــاما عن الحكم[٦٧] •

كانت حجة الملك بلدوين بأنه من غير بيت المقدس لا يستطيع الدفاع عن المملكة مع تزايد قوة نور الدين محمود يوما بعد يوم ، وعندما سمعت الملكة بذلك شعرت بأن الملك يريد أن يحرمها من الجزء الباقى فى يدها ، ولذلك تركت مليسند مدينة نابلس التى لم تكن محصنة فى يد بعــض المخلصين من أتباعها ، وأسرعت الى بيت المقدس ، وبدأت الحرب على الفور بين الطرفين ، وجمع الملك بلدوين أكبر عدد من قواته وأسرع الى حصن ميرابيل Mirable لحصار الكندسطبل مانسيه ، واســتطاع بلدوين أن يرغمه على التسليم ومغادرة المملكة ، ثم اتجه الملك بلدوين الى مدينة نابلس ، واستطاع الاستيلاء عليها دون أن يلاقى مقاومة تذكر ، ثم اقتفى الملك أثر مليسند وتتبعها الى بيت المقدس ، وعندما علمت الملكة بذلك انسحبت الى قلعة المدينة ، ولقد تخلى عنها عدد كبير من أتباعها فى بيت المقدس ، ولم يبق حولها الا المخلصين لها ومنهم ابنها عمورى كونت يافا ، وفيليب Philip صاحب نابلس وروهارد Rohard وشخصيات أخرى غير معروف أسماء أصحابها[٦٨] •

---

(67) William of tyre : p. cit., p. 206.

(68) William of tyre : op. cit., p. 206.

— Mayer. H : op. cit., p. 168.
— Runciman : op. cit., p. 334.
— Conder. G : op. cit., p. 113.

تحصنت مليسند فى قلعة بيت المقدس مع أتباعها ، وعندما علم فولشر بطرك بيت المقدس بذلك ، توجه مع مجموعة من رجال الدين الى معسكر الملك وطلب منه أن يكف عن القيام بهذا العمل الخطير ، وأن يلتزم بشروط الاتفاق الذى عقد بينه وبين أمه ، وأن يترك الملكة لتعيش فى سلام ، غير أن بلدوين الثالث لم يلتفت لتحذيرات البطرك فولشر لأنه يعلم بأن الكنيسة تقف الى جانب الملكة مليسند ، واستمر الملك فى تنفيــذ خطته ضد الملكة مليسند ، وهكذا فشلت وساطة الكنيسة ، وعاد فولشر الى المدينة وخاف أهالى بيت المقدس من سخط وانتقام الملك وفتحوا له فى النهاية أبواب المدينة ، ودخل الملك بقواته وضرب الحصار فى الحال حول برج داود الذى تحصنت فيه الملكة ، ونصب آلات الحصار وأخذ يقذف البرج بعنف ، وأخذ أتباع الملكة من داخل البرج يردون على القذف بالمثل ، ولم يترددوا فى أن ينزلوا الخسائر بأعدائهم ، وأن يحدثوا نفس التخريب بهم ، وقد استمر القتال عدة أيام ، يمثل خطرا جسيما على كلا الطرفين ، ولم يحرز الملك تقدما ملموسا لأن الحصن كان حصينا ، وفى نفس الوقت كان كارها للانسحاب ، وأيضا فقد رأت الملكة أن البرج لا يستطيع الدفاع الى ما لا نهاية ، وقد تقدم بعض الأشخاص لاصلاح ذات البين بين الملكة والملك ، وتم الصلح بين الطرفين على أن تأخذ الملكة مليسند مدينة نابلس وملحقاتها ، وقد أقسم الملك بأن لا يتعرض لأمه بسوء ، وهكذا عاد الهدوء مرة أخرى الى المملكة(٦٩) .

انتهى النزاع فى ابريل عام ١١٥٢ م الذى استمر ثمانى سنوات بين الملك بلدوين ومليسند ، وعادت مليسند الى نابلس التى أعطيت لها كصداق لكى تعيش حياة الأفراد العاديين ، ويبدو أن الاتفاق نص على

---

(69) William of tyre : op. cit., pp. 206—207.

— Setton : op. cit., p. 535.
— Mayer. H : op. cit., p. 169.
— La Monte. L : op. cit., p. 18.
— Jean Richard : Le Royaume Latin de jerusalem, p. 65.

عدم اشتراك مليسند فى الشئون السياسية ، كما أن أى عمل تقوم به الملكة فى المستقبل لابد من الحصول على موافقة الملك عليه ، واختفت مليسند ولم تظهر على مسرح الحياة السياسية فى مملكة بيت المقدس الا فى عام ١١٥٧ م عندما قامت بالمساعدة فى ادارة المملكة أثناء انشغال الملك بلدوين بحرب نور الدين محمود(٧٠) .

بعد انتصار الملك بلدوين على أمه مليسند اضطر أن يتدخل فى نفس العام فى شئون امارتى أنطاكية وطرابلس ، فقد دعا الملك لعقد المحكمة العليا فى مدينة طرابلس للنظـر فى زواج كونســتانس أميرة أنطاكية ، وفشلت المحكمة فى اقناع الأميرة للزواج من أحد الأشخاص الذين سبق أن تقدموا لطلب يدها ، وفى أثناء ذلك حـدث خلاف بين ريموند الثانى أمير طرابلس وزوجته ، وحاول بلدوين انهاء ذلك الخلاف، وفى أثناء ذلك تم اغتيال ريموند الثانى أمير طرابلس أمام أبواب المدينة بواسطة جماعة من طائفة الاسماعيلية ، وكان ريموند الثـالث الوريث الشرعى لمدينة طرابلس يبلغ من العمر حينذاك اثنا عشر عاما(٧١) .

أراد الملك بلدوين الثالث أن يوطد سلطته بعد الاضطرابات التى تعرضت لها المملكة بسبب الحروب الأهلية ، ولذلك قام فى يناير عام ١١٥٣ م بحصار مدينة عسقلان فى جنوب بيت المقدس ، منتهزا ضعف الخلافة الفاطمية وموت الأفضل آخر حاكم قوى فى القاهرة . وكان الحصار عى المدينة برا وبحرا ، ويبدو أن مملكة بيت المقدس كانت تمتلك أسطولا صغيرا ، ولم تقدم الجمهوريات الايطالية البندقية وجنوة وبيزا، مساعدات للصليبيين بسبب نشوب نزاع بين البندقية وجنوة ، ولأن بيزا

---

(70) La Monte. L : op. cit., p. 18.
— Mayer. H : op. cit., p. 169

(71) William of tyre : op. cit., p. 212—214.
— Setton : op. cit., p. 535.
— Grousset. R : Histoire des croisades, p. 328.

سبق أن عقدت اتفاقية مع القاهرة ، وحصلت بمقتضاها على حرية التجارة فى الأراضى المصرية ، فى مقابل عدم مهاجمة أملاك الخلافة الفاطمية أو تقديم مساعدة للصليبيين ، ولقد ظل الملك بلدوين محاصرا للمدينة شهرين دون أن يحرزا أى تقدم ، نظرا لحصانتها وكثافة السكان بها ، وأثناء الحصار وصل الى مملكة بيت المقدس عدد كبير من الحجاج وبينهم الفرسان والمشاة من المحاربين ، ولذلك صدرت الأوامر لهؤلاء بعـدم العودة الى بلادهم والتوجه الى عسقلان ، ووصل هذا العدد الكبير من الفرسان والمشاة الى المدينة ، واشترك فى الحصار ، ورغم ذلك لم تسقط المدينة الا فى ٢٢ أغسطس ١١٥٣ م ، أى بعد حوالى سبعة أشهر[٧٢] .

وسقوط مدينة عسقلان فى يد الملك بلدوين لم يكن دليلا على قوة مملكة بيت المقدس ، انما بسبب عجز الفاطميين فى الدفاع عن المدينة التى وقف أمامها الملك بلدوين طويلا ، واستطاع بفضل المساعدة التى قدمها فرسان الغرب أن يستولى عليها ، وأيضا فان سقوط مدينة عسقلان ذات الموقع الاستراتيجى الهام لم يكن نصرا للملك بلدوين ، لأن هذا العمل من جانب ملك بيت المقدس ، جعل نور الدين محمود يعجل فى الاستيلاء على مدينة دمشق ، حتى يعوض تلك الميزة التى حصل عليها الصليبيون ، واستطاع بعد شهور دخول مدينة دمشق ، وكانت تلك أكبر ضربة بعد سقوط مدينة الرها وجهت الى الكيان الصليبى فى بلاد الشام.

وبينما كانت هذه الأحداث تجرى أمام عسقلان، اختارت كونستانس أرملة ريموند دى بواتيه أمير أنطاكية ، والتى رفضت أن تتزوج كثيرا من النبلاء ذوى المكانة المرموقة والسمعة الطيبة ، اختارت سرا ريجنالد

---

(72) William of tyre : op. cit., p. 220—224.

— Anonymous : op. cit., pp. 301—302.
— Conder. C : op. cit., p. 173—177.
— Setton : op. cit., pp. 536—37.
— La Monte : op. cit., p. 78.

دى شاتيلون Renaud de chitilon زوجا لها ، وكان ريجنالد يعمل مع الملك بلدوين الثالث مقابل أجر يحصل عليه ، وقد أخفت ذلك كونستانس حتى حصلت على موافقة الملك بلدوين الثالث ، وعندما أطمأن ريجنالد على موافقة الملك اتجه الى مدينة أنطاكية ، وقد علق وليم الصورى على ذلك بقوله ، أن كثيرا من الناس أصابته الدهشة لقيام امرأة رفيعة الشأن باختيار فارس عادى(٧٣) • ويبدو أن الملك بلدوين اضطر أن يوافق على هذا الزواج بسبب انشغاله فى حصار مدينة عسقلان ، وقد تم الزواج فى ربيع عام ١١٥٣ م(٧٤) • وترتب على وصول ريجنالد الى حكم مدينة أنطاكية نتائج بالغة الخطورة بالنسبة للصليبيين فى بلاد الشام وارتكب بادوين الثالث أكبر خطأ عندما سمح باتمام ذلك الزواج •

أصبح الملك بلدوين الحاكم الأوحد لملكة بيت المقدس ، واستطاع التصرف فى الأملاك الملكية ، ويبدو ذلك واضحا فى الوثائق الملكية التى صدرت والخاصة بالمنح والعطايا فى هذه الفترة حتى الوثائق التى كانت قد صدرت قبل ذلك قام الملك بلدوين بالتصديق عليها(٧٥) • ويبدو أنه بعد أن انتهت الحرب الأهلية صارت العداوة شديدة بين الملك بلدوين ومليسند ، ولو أنه كان يبدو فى الظاهر أن هناك وفاقا تاما فى العائلة الملكية ، ودراسة الوثائق التى صدرت فى مملكة بيت المقدس فى الفترة من ١١٤٤ الى ١١٥٢ م تضيف اضافة جوهرية عن العلاقات بين الأم والابن ، فقد حفظت لنا المصادر التاريخية اثنتى عشرة وثيقة أربعة صدرت بمعرفة بلدوين الثالث ومليسند معا واثنتين بمعرفة مليسند مع موافقة الملك بلدوين ، وأربعة بمعرفة مليسند منفردة واثنتين بمعرفة بلدوين منفردا ، وقد ظهر الكندسطبل مانسيه فى خمس من هذه الوثائق،

(73) William of tyre : op. cit., p. 224.

(74) Anonymous : op. cit., p. 302.

— Setton : op. cit., p. 540.

(٧٥) أنظر الملحق رقم ٥ ورقم ٦ •

وكان ظهوره الأخير فى الوثيقة التى صدرت فى عام ١١٥١م • والوثائق التى صدرت بمعرفة مليسند بمفردها كانت فى تاريخ لاحق لتلك التى صدرت مع الملك ، وكانت آخر وثيقة صدرت لهما معا فى عام ١١٥٠ م ، والأربع وثائق التى صدرت للملكة بمفردها كانت فيما بين السنوات ١١٥٠ و١١٥٢ م • وبعد انتهاء الحرب الأهلية التى وقعت فى ربيع عام ١١٥٢ م أصبح عدد الوثائق التى صدرت أقل مما كان عليه قبل هذه الحرب ، وهناك أربع وثائق فقط بين فترة خلعها وموتها فى سبتمبر عام ١١٦١ م ، ونلاحظ أن مليسند بعد عام ١١٥٢ ، لم تصدر وثائق وحدها دون ذكر الملك بلدوين الثالث[٧٦] •

لم يتشدد الملك بلدوين مع أمه مليسند بعد أن جردها من سلطاتها السياسية ، بل حاول أن يكرمها وسمح لها أن تبدى برأيها أحيانا فى بعض المسائل السياسية ، ففى ٢ نوفمبر ١١٥٦ م عقد الملك بلدوين الثالث اتفاقية مع مدينة بيزا التى سببت للصليبيين فى ذلك الوقت قلقا شديدا ، وكانت تقضى هذه الاتفاقية بمنح البيزيين مؤسسات تجارية وشوارع فى مدينة صور ، فى مقابل أن تمتنع بيزا عن بيع السلاح والمواد الخام الخاصة ببناء السفن لمصر ، ولقد حصل بلدوين على موافقة مليسند على هذه الاتفاقية • وفى العام التالى حصل بلدوين على موافقة مليسند وعمورى على منحة قدمها لهيئة فرسان الاسبتارية ، وكما سبق ورأينا فقد قامت مليسند بتقديم المساعدة لادارة شئون المملكة عند انشغال بلدوين بحرب نور الدين محمود ، وكان من نتائج الحرب الأهلية ما قام به الملك بلدوين من ابعاد السواد الأعظم من أنصار الملكة مليسند وجردهم من مناصبهم ، ويبدو أن الملك بلدوين حرم عمورى من اقطاع يافا لفترة من الزمن عقابا له لوقوفه بجانب مليسند[٧٧] •

---

(76) La Monte : op. cit., pp. 16—17.

(77) Mayer. H : op. cit., p. 173—179.

أضعف الصراع الذى نشب بين الملك بلدوين ومليسند مملكة بيت المقدس ، ولذلك لم يستطع الصليبيون مراقبة نور الدين محمود ومنعه من الاستيلاء على دمشق لانشغالهم بمشاكلهم الداخلية • فقد استطاع الاستيلاء عليها فى عام ١١٥٤ م ، وكان سقوط دمشق فى يد نور الدين نكبة على الصليبيين على حد تعبير وليم الصورى ، فلم تكن دمشق جارا ضعيفا بالنسبة للصليبيين لا حول ولا قوة له ، انما كانت دمشق تدفع جزية سنوية لمملكة بيت المقــدس ، وكان حاكمها يعتبر تابعا للصليبيين فحل محله نور الدين محمود عدو الصليبيين اللدود[٧٨] • وقوى مركز نور الدين الى أبعد الحدود بعد استيلائه على دمشق •

وقد قام نور الدين محمود فى عام ١١٥٧ م بحصار مدينة بانياس ، وعندما اشتد الحصار على المدينة لجأ همفرى كندسطبل المملكة الى قلعة المدينة ، وعندما سمع الملك بلدوين الثالث بحصار بانيــاس هرع الى هناك ، ورغم أن الملك بلدوين استطاع أن يعيد المدينة ، غير أن نور الدين محمود وضع كمينا للقوات الصليبية القادمة من بيت المقدس ، ودارت معركة بين الطرفين تمكن المســلمون من أسر عدد كبير من كبــار قادة الصليبيين ونبلائهم المشهورين ، وكاد الملك بلدوين أن يقع فى الأسر ، وفر الى قلعة صفد بأعجوبة ، وكانت هذه كارثة بالنسبة الصليبيين ، اذ أدت الى تحطيم القوات الصليبية لدرجة أن وليم الصورى وصف وصول ثيورى Thierry كونت فلاندرز الى بيت المقدس مع بعض القوات من غرب أوروبا بعد معركة بانياس بأنه نجــدة من الســماء بالنســبة للصليبيين ، وكانت النجدة على يد هؤلاء الذين أتوا لتكريس جهودهم لسلامة مملكة بيت المقدس ، فقد كان وصوله يشبه وصول رسول أو ملاك من السماء[٧٩] •

---

(78) William of tyre : op. cit., p. 225.

(79) William of tyre : op. cit., p. 258—264.

بدأ الحزب الذى يساند ويعاضد الملك بلدوين يتعجل زواج الملك ، ولذلك فكر النبلاء فى البحث عن زوجة للملك اذ ربما ينجب ولدا يرثه فى المملكة ، ويبدو أن أنصار الملك خشوا وصول عمورى أخو الملك الى العرش فى حالة عدم وجود وريث للملك بلدوين ، وفكر النبلاء فى أن يتزوج الملك من أسرة آل كومنين ، ذلك ليستفيد الصليبيون من قوة الدولة البيزنطية اذ ربما تستطيع الدولة البيزنطية أن تغيث الصليبيين مما هم فيه من خطر وتفكك ، وقد اتضح بجلاء أن المساعدات الأوروبية أصبحت غير كافية ، ولايمكن الاعتماد عليها ، ولذلك ذهبت سفارة فى عام ١١٥٧م الى مدينة القسطنطينية ، وبعد مناقشات استقر الرأى على أن تكون تيودورا ابنة اسحاق أخو الامبراطور مانويل كومنين زوجة للملك بلدوين الثالث ، ومع أنها كانت لاتتجاوز الثالثة عشر من عمرها الا أنها كانت على جانب كبير من الجمال ، وقد قرر الملك بلدوين الثالث أن تكون مدينة عكا وملحقاتها من نصيب زوجته البيزنطية فى حالة وفاته(٨٠) • وهكذا تم زواج بلدوين الثالث على أمل أن يكون هناك تعاون بين الصليبيين والبيزنطيين •

أصبح معروفا للدولة البيزنطية أن مملكة بيت المقدس تعانى من الضعف وأنها فى حاجة الى مساعدة الدولة البيزنطية ، لذلك انتهز الامبراطور مانويل كومنين هذه الفرصة محاولا اعادة النفوذ البيزنطى الى بلاد الشام ، وأخذ يضغط على مدينة أنطاكية ، ولذلك جرد الامبراطور مانويل كومنين حملة فى عام ١١٥٨ م ، وكان السبب المباشر لتلك الحملة تأديب توروس الأرمنى الذى استولى على بعض المدن فى قيليقية ؛ مثل عين ذربة واذنة وطرسوس ، وطرد منها الحكام البيزنطيين ، أما السبب غير المباشر لهذه الحملة ، كان تلقين ريجنالد أمير أنطاكية درسا بسبب ما قام به ضد جزيرة قبرص ، فقد أغار على الجزيرة وقام بالسلب والنهب وأساء معاملة السكان ، وقبض على حاكمها البيزنطى • وكانت

---

(80) William of tyre : op. cit., p. 258—264.

حملة مانويل كومنين على قيليقية مفاجأة بالنسبة لتوروس الأرمنى ، فقد اضطر هذا الأمير أن يهرب الى الجبال المجاورة • وعندما سمع ريجنالد بوصول مانويل فجأة الى قيليقية ، خاف من الامبراطور أن يعاقبه على ما وقع منه فى جزيرة قبرص ، وأسرع الى قيليقية لمقابلة الامبراطور دون أن ينتظر وصول الملك بلدوين الثـالث الذى ربما كانت وسـاطته تساعده فى حل أزمته مع الامبراطور[٨١] •

وبعد أن أجرى ريجنالد عدة اتصالات مع الامبراطور بواسـطة حاشيته ، ظهر أمام الامبراطور مانويل كومنين فى مدينة المصيصة حيث ارتمى تحت قدمى الامبراطور حافى القدمين يرتدى ملابس صـوفية واضعا حبلا حول رقبته مجردا من سيفه ، وظل مرتميا على الأرض ، الأمر الذى أدى الى اشمئزاز جميع الحاضرين ، وقد قال وليم الصورى بأن تصرفات ريجنالد أمام الامبراطور البيزنطى حولت مجد الصليبيين فى بلاد الشام الى عار وفضيحة لم يتعرضوا لها من قبل[٨٢] • ثم جاء الملك بلدوين الى مدينة أنطاكية مع مجموعة من مستشاريه ، وأرسل من هناك الى الامبراطور مانويل طالبا مقابلته ، وقد وافق الامبراطور على لقاء ملك بيت المقدس ، وذهب بلدوين الثالث الى مدينة المصـيصة . واستقبله الامبراطور استقبالا حارا ، وأثناء مراسيم الاحتفال جلس الملك بجوار مانويل كومنين على كرسى أقل ارتفاعا من تلك التى جلس عليها الامبراطور[٨٣] • اشارة الى أن ملك بيت المقدس أقل مقاما من امبراطور الدولة البيزنطية ، ولقد استمرت المحادثات بين الامبراطور البيزنطى والملك بلدوين لمدة عشرة أيام ، ويبدو أنه تم الاتفاق على القيام بعمل مشترك ضد نور الدين محمود ثم دخل مانويل كومنين مدينة أنطاكية فى ١٢ ابريل عام ١١٥٩ م بعد أن اعترف ريجنالد بتبعية أنطاكية

---

(81) William of tyre : op. cit., pp. 276—77.

(82) Ibid : p. 277.

(83) William of tyre : op. cit., p. 277.

للدولة البيزنطية ووافق على تعيين بطرك على كنيسة أنطاكية من رجال الدين البيزنطيين[٨٤] .

استطاع نور الدين محمود أن يعمل على فشل الاتفاق الذي تم بين البيزنطيين والصليبيين في المصيصة ، فقد تفاوض الامبراطور البيزنطي مع نور الدين واكتفى باطلاق سراح عدد من السجناء الصليبيين الذين كانوا في سجون بلاد الشام ، ولم يدخل حربا ضد نور الدين محمود ، وهذا يوضح أن مانويل كومنين كان يرمي الى تحقيق السيادة البيزنطية على قيليقية ومدينة أنطاكة ولم يكن مستعدا ليحارب من أجل الصليبيين وعاد مانويل في عام ١١٥٩ م الى القسطنطينية[٨٥] .

وهذه الأحداث التي وقعت في شمال الشام تدل على ما وصلت اليه المملكة من ضعف وانهيار ، فقد بات واضحا أن الملك بلدوين لم يكن له أية سيطرة أو سيادة على أمير أنطاكية ، فقد ذهب ريجنالد الى مقابلة الامبراطور البيزنطي دون أن يحصل على موافقة ملك بيت المقدس . صحيح أن أراضي أنطاكية لم تكن جزءا من أراضي مملكة بيت المقدس من الناحية القانونية ، ولم يكن أمير أنطاكية فصلا يؤدي ما على الأفصال من واجبات ، الا أنه من الناحية الواقعية كان هناك تحالف بين الدويلات الصليبية ، وكان الملك له السلطة العليا ، وكانت تبعية تلك الامارات تعتبر تبعية شخصية أو بمعنى آخر فان ملك بيت المقدس عندما يكون قويا يستطيع ارغام هؤلاء الأمراء الكبار أن يكونوا أفصالا له ويراقب

---

(84) Ibid : pp. 277—278.

(٨٥) أشار المؤرخ السرياني المجهول بأن سبب عودة الامبراطور مانويل الى القسطنطينية هو قيام ثورة ضده هناك تزعمها أحد النبلاء وهو اندرونيكوس Andronicus ، ولذلك عقد الامبراطور البيزنطي الصلح مع نور الدين الذي قام باطلاق سراح السجناء الصليبيين . انظر :

— Anonymous : pp. cit., pp. 302—303.

تصرفاتهم[٨٦] • وضعف الملك بلدوين الثالث نتيجة للانقسامات الداخلية في مملكة بيت المقدس ، وانشغاله في حل المشاكل الداخلية الخاصة بمملكته جعل ريجنالد حاكم أنطاكية يتصرف تصرفات حمقاء ضد الدولة البيزنطية في قبرص ، اتخذ منها مانويل كومنين ذريعة للتدخل في بلاد الشام ، وأعاد النفوذ البيزنطي بصورة أساءت الى الكيان الصليبي اساءة بالغة •

ومن الأحداث التي تدل على انتهاء هيبة الملكية وتدهورها في بيت المقدس موضوع زواج الامبراطور البيزنطي مانويل كومنين ، فقد أرسل الامبراطور مانويل كومنين سفارة الى الملك بلدوين بعد وفاة زوجته في القسطنطينية ، بأن يختار له عروسا على أن تكون هذه العروس أخت ريموند الثالث أمير طرابلس أو الأخت الصغرى لأمير أنطاكية ، وقد قرر الملك بلدوين اختيار مليسند أخت أمير طرابلس لتكون زوجة للامبراطور البيزنطي ، وأخطر الملك بلدوين السفارة بهذا الاختيار ، وأخذ أمير طرابلس يعد العدة لاتمام هذا الزواج وأعد أسطولا من السفن لنقل أخته الى القسطنطينية ، وأخذ بارونات المملكة يستعدون لهذا الحدث الهام ، وقد تأخر رد الامبراطور مانويل كومنين حوالي عاما كاملا ، وعندما أرسل الملك بلدوين يستفسر عن سبب التأخير في اتمام الزواج رد عليه الامبراطور البيزنطي بأن البلاط الامبراطوري غير راض عن اتمام هذا الزواج ، وثار الملك بلدوين الثالث على ذلك الرد ، واعتبره اهانة له ، وساءت العلاقات بين الطرفين • وانتقم ريموند أمير طرابلس من البيزنطيين بأن وجه السفن التي كانت مستعدة لزفاف أخته لسلب ونهب الشواطئ البيزنطية[٨٧] •

---

(86) La Monte : op. cit., p. 187 — 193.

— Grousset. R : opp. cit., p. 414. t. 2.

(87) William of tyre : op. cit., p. 287—89.

— La Monte : to what extent was the Byzantine empire the suzerain of the crusading states, p. 261.

وبينما كانت تجرى المفاوضات بين مملكة بيت المقدس والإمبراطورية البيزنطية بشأن زواج مانويل كومنين ، تمكن نور الدين محمود من أسر ريجنالد شاتيلون أمير أنطاكية فى نوفمبر ١١٦٠ م وتم وضعه فى أحد السجون ، ويبدو أن مانويل أراد أن ينتهز هذه الفرصة لأن الملك عندما عاد الى مدينة أنطاكية مرة أخرى والتى سبق أن عهد بحكومتها الى البطرك بصفة مؤقتة بعد القبض على ريجنالد وجد السفارة البيزنطية التى كانت مكلفة للتفاوض معه والتى كان من المفروض أن تعود من طرابلس الى القسطنطينية ، تجرى محادثات يومية مع الأميرة كونستانس وبعض البارونات ، بشأن زواج ابنتها مارى من الامبراطور مانويل ، وقال وليم الصورى أن الملك رفض فى البداية أن يتدخل فى هذا الزواج الا أنه فى النهاية قام بدور لاتمام الزواج ، نظرا لصلة القرابة التى تربطه بالأميرة كونستانس[٨٨] ، وقد تم زواج مانويل كومنين من مارى الأنطاكية فى ٢٥ ديسمبر ١١٦١ م ومن المشكوك فيه أن يكون الامبراطور مانويل كومنين استعان بالملك بلدوين فى المفاوضات التى كانت تجرى فى مدينة أنطاكية[٨٩] • ويبدو من سير الأحداث أن الزواج تم دون أن يستطيع الملك بلدوين أن يفعل شيئا ، ذلك لأن كونستانس تصرفت تصرفا فرديا وأجرت مفاوضات مع الدولة البيزنطية دون الرجوع الى ملك بيت المقدس الذى كان يؤخذ رأيه فى الماضى فى مثل هذه الأمور الهامة بالنسبة للصليبيين •

أراد الملك بلدوين عندما كان فى مدينة أنطاكية أن يتناول دواء كان

---

(88) William of tyre : op. cit., pp. 289—90.

— Runciman : op. cit., p. 357.

(89) William of tyre : op. cit., p. 190.

معتادا أن يأخذه قبل حلول فصل الشتاء ، لذلك حصل على بعض حبات دواء من الطبيب السرياني باراك Barak الطبيب الخاص لريموند الثالث أمير طرابلس ، وذكر وليم الصوري بأنه كانت هناك شائعات بأن حبات الدواء كانت مسمومة ، وربما كانت هذه هي الحقيقة لأن باقي هذه الحبات أعطيت لأحد الكلاب كتجربة فمات بعد عدة أيام • وبمجرد أن تناول الملك بلدوين الدواء أصيب بحمى شديدة وعندما أخذت حالته تتدهور ، ترك مدينة أنطاكية الى طرابلس حيث مكث هناك عدة شهور ساءت فيها حالته الصحية ، وعندما شعر بدنو أجله طلب أن يحمل الى بيروت حيث مات هناك فى ١٠ فبراير ١١٦٢ م فى سن الثالثة والثلاثين(٩٠) •

مات الملك بلدوين الثالث بعد موت أمه مليسند بعدة شهور حيث ماتت الملكة فى ١١ سبتمبر ١١٦١ م ، ويبدو أن الملك بلدوين الثالث مات مسموما على يد حزب مليسند الذى كان على رأسه ابنها عمورى ، لأن الملك بلدوين لم يصف حساباته مع كل أنصار مليسند ، وكان الملك يراعى شعور أمه رغم ابعادها عن الحكم ، ولذلك بعد موت مليسند خاف أنصارها من انتقام بلدوين ودبروا موته حيث لم يبق فى الحكم بعدها سوى ستة أشهر فقط ، كما أن وليم الصورى لم يذكر بأن الملك بلدوين الثالث وهو على فراش الموت أوصى بانتخاب أخيه عمورى كما جرت عادة ملوك بيت المقدس ، وهذا دليل على أن العداوة استمرت بين الملك بلدوين وأخيه عمورى الذى كان من أخلص أتباع مليسند حتى اللحظة الأخيرة من حياة الملك بلدوين •

---

(90) William of tyre : op. cit., pp. 292—293.

— La Monte : op. cit., p. 19.

— Runciman : op. cit., pp. 362—63.

الفصل الثالث

تحالف الملك عموري مع الدولة البيزنطية

اشتد النزاع واضطربت الأمور فى مملكة بيت المقدس بعد وفاة الملك بلدوين الثالث مباشرة ، وذلك بسبب الصراع الذى احتـدم بين الحزب الذى كان يساند الملكة مليسند وحزب الملك بلدوين الثالث ، ولقد نجح حزب الملك فى أن جعل الملك لا يوصى بعرش مملكة بيت المقدس الى عمورى لأن عمورى كان أحد أقطاب حزب مليسند ، ويبدو أن حزب الملك بلدوين كان يريد العودة الى نظام الانتخابات ، ولذلك قام بمعارضـة شديدة ضد عمورى ، ولقد ألمح وليم الصورى الى هذه المعارضة التى وقعت ضد ترشيح عمورى لشغل عرش مملكة بيت المقدس ، ووصـفها بأنها كانت انشقاقا خطيرا ومدمرا ، غير أنه من حسن حظ المملكة ، وقف رجال الدين والشعب وقليل من النبلاء الى جانب عمورى ، ونتيجة لذلك أخفقت بسرعة خطط المتمردين والساخطين اخفاقا تاما[1] . الا أن وليم الصورى لم يعط تفاصيل وافية عن هذا الموضوع . كما يلاحظ أن تأييد رجال الدين للملك عمورى يدل دلالة واضحة على استمرار حزب الملكة مليسند بزعامة عمورى الأول .

وكان عمورى قد تزوج من أجنس كورتيناى Agnes ceurtenay فى عام ١١٥٧ م أخت جوسلين الثالث أمـير الرها وأرملة رينـــود Renaud صاحب مرعش الذى قتل فى عام ١١٤٩ م فى الوقت الذى كان هيودى ابلين قد خطبها واعتبر الحزب المعارض أن عمـورى قد

---

(1) William of tyre : op. cit., pp. 295—296.

اغتصب اجنس كورتيناى من خطيبها ، ولذلك رفضوا أن يسمحوا له أن يكون ملكا طالما احتفظ بزوجته ، الا أن عمورى كان سياسيا محنكا وأراد أن يفوت الفرصة على معارضـيه ، وأن عرش بيت المقدس يسـاوى التضحية من أجله بزوجته ، ولذلك اضطر عمورى أن يطلق زوجته لكى تتزوج من خطيبها السابق هيودى ابلين بعد أن حصل على موافقة النبلاء بشرعية طفليـه اللذين أنجبهما من اجنس كورتينـاى وهمـا بلدوين وسبيلا(٢) .

لم يرض الحزب المعارض للملك عمورى بالأمر الواقع فقد قامت حرب فى عام ١١٦٢ م أى فى السنة الأولى من حكم عمورى بينه وبين جيرارد Gerard أمير صيدا ، وكان جيرارد من كبار النبلاء المقربين لدى الملك بلدوين الثالث واشترك مع الملك فى حصار مدينة عسـقلان وكان قائدا للاسطول الذى حاصر المدينة عن طريق البحر(٣) .

وكان سبب الحرب التى نشبت بين الطرفين ، هو أن جيرارد قام بنزع اقطاع أحد أتباعه دون الحصول على موافقة الملك أو المحكمة العليا ، ووقف الملك عمورى بجانب التابع وأرغم جيرارد لاعادته الى أرضه ، وأثيرت القضية فى اجتماع كامل للمحكمة العليا ، ويبدو أنه اقترح فى

---

(2) William of tyre : op. cit., p. 300.
— La mante : op. cit., p. 19.
— Setton : op. cit., p. 549.
— Runciman : op. cit., p. 362.

ذكر وليم الصورى أن عمورى تزوج من أجنس كورتيناى عندما كان الملك بلدوين الثالث على قيد الحياة ، وعندما طالب عمورى بعـرش مملكة بيت المقدس طبقا لحقه فى الوراثة ارغم على أن يطلق زوجته ذلك لأن الكنيسة اعتبرت الزواج مخالفا لقوانينها لوجود صلة قرابة بين عمورى وأجنـس كورتيناى .
أنظـر :
— William of tyre : op. cit., p. 300—302.

(3) Ibid p. 218.

هذا الاجتماع أن تعقد المحكمة اجتماعا يحضره جميع أتبـاع المملكة ، واستطاع الملك عمورى من خلال هذا الاجتماع الذى ضم جميع الأتباع أن يصدر قانون التبعية Assise sur la Ligece ، الذى حرم كبـار النبلاء من سيطرتهم على أقصالهم ، وجعل جميع ملاك الاقطاعات مرتبطين بالملك وأندادا لبعضهم البعض[٤] .

لم يلجأ جيرارد الى الملك عندما قام بنزع اقطاع أحد أتباعه كما تقضى القوانين بذلك ؛ لأنه لم يكن مقتنعا بأن يكون عمورى ملكا على الصليبيين ، ولذلك انتهز الملك عمورى هذه المخالفة القانونية واستصـدر من المحكمة العليا قانون التبعية لكبح جماح كبار النبلاء والقضاء عـلى المعارضة التى كادت أن تطيح به ؛ وهذا القانون كان سلاحا فعالا فى البداية ضد كبار النبلاء وقضى على قوة الحزب المعارض للملك الى حد ما الا أنه تحول على المدى الطويل ضد الملكية وأصبح سلاحا فى يد المحكمة العليا بدلا من الملكية وأدى الى زيادة الصراع الحزبى فى المملكة .

سعى الصليبيون بأنفسهم للقضـاء على دولتهم عنـدما حاولوا الاستيلاء على مصر . فقد أدى ضعف الخلافة الفاطمية وتنافس الوزراء على السلطة الى طمع القوى الصليبية فى الحصول على ثروات مصر لتعويض ما فقدوه من أملاك فى بلاد الشام ، وأيضا لمنع اتحاد يحتمل أن يتم بين مصر وبلاد الشام ، وكان بلدوين الثالث قد هدد فى أواخر أيام حكمه بغزو مصر ، ولذلك فقد حصل على وعد من المصريين بأن تدفع مصر جزية سنوية للصليبيين ، الا أن هذا الوعد لم يخـرج الى حيز التنفيذ ، وعندما جاء عمورى الى العرش تعلل بعدم قيام القاهرة بدفع

---

(4) Livre de jean d, ibelin Assises de jerusalem tame. I p. 214—215.

— La monte. L : op. cit., pp. 21—22.

السياد الباز العرينى : نمو طبقة النبلاء الاقطاعيين ص ٥٤ .

— Setton : op. cit., p. 549.

الجزية التى كانت مقررة أيام الملك بلدوين الثالث ، وعبر فى سبتمبر ١١٦٣ م بجيوشه وضرب الحصار حول مدينة بلبيس ، واستطاع المصريون ارغام الملك عمورى على الانسحاب عندما قاموا بقطع جسور النيل التى حالت دون وصول الصليبيين وهكذا عاد عمورى الى بيت المقدس[٥] .

وفى أثناء ذلك تمكن شاور والى الصعيد العودة الى القاهرة ، واستولى عليها وقتل الوزير رزيك بن طلائع وقلده الخليفة العاضد منصب الوزارة ، غير أن ضرغام قائد الجيوش المصرية وأحد كبار أفراد رزيك ثار على شاور ، واستولى على الوزارة فى نفس العام ، وتمكن شاور من الهرب الى بلاد الشام واستنجد بنور الدين محمود لمساعدته ووعده فى حالة وصوله الى الوزارة ، أن يدفع ثلث أموال مصر ، وأرسل نور الدين أسد الدين شيركوه مع شاور الى مصر فى عام ١١٦٤ م . وعندما علم ضرغام بقدوم أسد الدين شيركوه ، أرسل سفارة الى الملك عمورى يطلب منه المساعدة ، وفى مقابل ذلك وعد الملك بأن يدفع له جزية سنوية أكبر من تلك التى اتفق عليها أيام الملك بلدوين الثالث ، وترك للملك عمورى أن يحدد ذلك المبلغ ، وبينما كانت المفاوضات تجرى بين المصريين والصليبيين وصلت قوات أسد الدين شيركوه الى القاهرة ، وهزم جيش ضرغام وقتل ضرغام فى المعركة عند قبر السيدة نفيسة ، وأعيد شاور الى وزارة العاضد[٦] .

---

(5) William of tyre : op. cit., pp. 302—303.
— Setton : op. cit., pp. 549— 550.
— Runciman : op. cit., p. 365.

(6) William of tyre : op. cit., pp. 304—305.
— Conder : The Latin Kingdom, pp. 119—120.
— Setton : op. cit., p. 550.
— ابو الفدا : المختصر فى أخبار البشر جـ ٣ ص ٤١ .
— موسى بن محمد وآخرين : النجوم الزاهرة فى حلى حضرة القاهرة ص ٩٤ .

لم يف شاور بالوعد الذى قطعه لنور الدين محمود ورفض أن يدفع المبلغ المتفق عليه لأسد الدين شيركوه ، لذلك قام أسد الدين على الفور باحتلال مدينة بلبيس وأتخذ منها مركزا لقواته ، وعندئذ لم ير شاور حرجا فى الاستعانة بالصليبيين فأرسل سفارة عاجلة الى الملك عمورى فى بيت المقدس ، ومنحت هذه السفارة تفويضا كاملا للتنفيذ بصورة عملية وفورية بشروط الاتفاقية السابقة التى تم عقدها مع ضرغام واذا لزم الأمر فللسفارة أن تقدم اغراءات وتنازلات أكثر للصليبيين[٧] .

وبمجرد أن تم التصديق على المعاهدة من الطرفين توجه الملك عمورى فى أواخر عام ١١٦٤ م بكامل قواته الى مصر للمرة الثانية وانضمت قوات شاور الى القوات الصليبية وحاصرت أسد الدين شيركوه فى بلبيس ، وظل شيركوه يقاوم ثلاثة أشهر من أغسطس الى أكتوبر ، وأثناء ذلك تمكن نور الدين محمود من هزيمة القوات الصليبية واستولى على مدينة حارم فى شمال الشام بعد أن أسر بوهيمند الثالث حاكم أنطاكية وريموند الثالث أمير طرابلس وجوسلين أمير الرها سابقا ، وأصبح الطريق أمامه مفتوحا الى أنطاكية ، الا أن نور الدين خشى أن يستدعى الانطاكيين البيزنطيين ، ولذلك فضل حصار مدينة بانياس التى استطاع الاستيلاء عليها ، وقد قام نور الدين بارسال هؤلاء الأسرى الى أسد الدين شيركوه الذى كان محاصرا فى بلبيس من قبل الملك عمورى حيث شاهدهم الصليبيون من على أسوار المدينة ، ولذلك اضطر الملك عمورى أن يراسل شيركوه فى الصلح ، ووجد شيركوه بأن مواد التموين قاربت على النفاد وأنه لا جدوى من المقاومة ، لذلك تم الاتفاق بين الطرفين على خروج شيركوه من بلبيس بقواته ، وهكذا عاد أسد الدين شيركوه الى

---

(7) William of tyre : op. cit., p. 305.

— أبو الفدا : المصدر السابق ص ٤١ .

— موسى بن محمد وآخرين : المصدر السابق ص٩٤ .

بلاد الشـــام بقـــواته سـالما[٨] • وأيضـــا عاد الملك عمورى الى بيت المقدس[٩] •

وبدأ الملك عمورى يتخبط فى سياسته التى قوبلت بالمعارضة من هيئة فرسان الداوية ، عندما رأت حصون وقلاع الصليبيين تتساقط فى الشمال فى أيدى المسلمين ، وكتبوا الى الملك لويس السابع يشرحون تلك السياسة القاتلة ، اذ بينما كان عمورى يحاول فى الجنوب الاستيلاء على مدينة بلبيس ، سقطت مدينة حارم وتم أسر كبار قادة الصليبيين ، ولولا وصول تيرى Thierry كونت فلاندرز حاجا الى بيت المقدس مع بعض الفرسان لضاع شمال الشام ، بل ان عمورى نفسه عندما عاد من مصر فى أواخر عام ١١٦٤ م بعث برسائل الى رئيس هيئة فرســن الاسبتارية بأوروبا والى الملك لويس السابع بفرنسا ، شارحا ما وصلت اليه الأراضى المقدسة من حالة سيئة وتضييق نور الدين الخنــاق على الصليبيين وكيف أن بانياس سقطت فى أيدى المسلمين ، فلم يكن الملك عمورى الذى لم يتجاوز السابعة والعشرين من عمره محبوبا ولا محترما فى مملكته ، وكان متهورا[١٠] •

أسرع الملك عمورى بعد عودته من مصر الى شمال الشام ، وقـــام

---

(8) William of tyre : op. cit., p. 305.

(9) Jacques de vitry : Hist of the jerusalem, p. 94.

— Setton : op. cit., p. 551.

— أبو الفدا : المصدر السابق ص ٤١ •

— المقريزى : المواعظ والاعتبار جـ ٢ ص ١٣٢ •

ذكر المؤرخ وليم الصورى أن الملك عمورى أرغم أسد الدين شيركوه على الخروج من بلبيس ولم يذكر أن ذلك كان بسبب ضغط نور الدين محمود على املاك الصليبيين فى بلاد الشام وأن عمورى وجد أنه مضطر الى العودة • أنظـــر :

— William of tyre : op. cit., p. 305.

(10) Conder : op. cit., pp. 121—122.

بزيارة امارة طرابلس لترتيب وصـايته على المدينة أثناء أسر أمـيرها ريموند ، ثم توجه الى مدينة أنطاكية ، وجرت هناك مفاوضات بينه وبين نور الدين لاطلاق سراح الأسرى الصليبيين ، غير أن نور الدين محمود لم يوافق الا على اطلاق سراح بوهيمند الثالث وتوروس مقابل دفـع فدية مقدارها مائة ألف دينار ، وذلك لأن نور الدين خاف من تدخـل الدولة البيزنطية فى شمال الشام[١١] لأن بوهيمند وتوروس من أتباع الامبراطور البيزنطى ، وفى نفس الوقت رفض اطلاق سراح ريمـوند الثالث أمير طرابلس وريجنالد شاتيلون ، وفى أثناء وجود عمورى فى مدينة أنطاكية ، أرسل اليه مانويل كومنين سفارة تطلب منه توضـيح سبب وصوله وبقائه فى المدينة ، وشعر الملك عمورى بقلق وانزعاج ورد على ذلك بارسال سفارة الى القسـطنطينية على رأسـها هرنسـيوس Hernasius أسقف قيصرية فى صيف عام ١١٦٥ م لطلب يد احـدى أميرات البيت الامبراطورى للزواج منه واقتراح تحالف صليبى بيزنطى لغزو مصر[١٢] .

وهكذا أرغمت الظروف الداخلية التى كانت تعانى منها مملكة بيت المقدس فى هذه السنوات[١٣] ، وسياسة الملك عمورى الخارجية الخرقاء، ارتماء مملكة بيت المقدس مرة أخرى فى أحضان الدولة البيزنطية ، ولقد سبق أن فترت العلاقات بين الدولة البيزنطية ومملكة بيت المقدس فى

---

(١١) ذكر وليم الصورى سببا آخر لاطلاق سراح بوهيمند الثالث حيث قال أن نور الدين خشى فى حالة بقاء بوهيمند مدة طويلة فى الأسر أن يختار اهالى أنطاكية حاكما آخر ونور الدين كان يرى من مصلحته استمرار بوهيمند فى حكم أنطاكية لأنه كان ضعيفا . أنظر :

— William of tyre : op. cit., p. 311.

(12) Ibid : p. 344.
— Runciman : op. cit., p. 370.
— Setton : op. p. 554.

(13) William of tyre : op. cit., 344.

عهد بلدوين الثالث فى الفترة من ١١٦٠ — ١١٦١ م بسبب قيام بلدوين الثالث بالوصاية على مدينة أنطاكية دون استشارة الامبراطور البيزنطى. وذلك عقب سجن ريجنالد شاتيلون ورفض الامبــراطور مانويل زواج مليسند أخت ريموند الثالث والتى رشحها له الملك بلدوين الثالث[١٤] • ونتيجة لذلك فعندما مات بلدوين الثالث ووصل عمورى الى عرش مملكة بيت المقدس فى عام ١١٦٢ م اعتبر الامبراطور البيزنطى عدوا له ؛ ففى خطاب أرسله عمورى الى الملك لويس السابع ملك فرنسا يطلب منــه المساعدة ضد القوتين الاسلامية والبيزنطية اللتين تهددان سيطرته على شمال الشام الذى يعتبر جزءا من مملكته[١٥] •

سار الملك عمورى على درب أخيه بلدوين الثالث بالنسبة لتقاربه مع الدولة البيزنطية ، فقد طلب أن يتزوج من احــدى قريبات الامبراطور البيزنطى ، وطلب تجديد التحالف مع الدولة البيزنطية ؛ ولقــد رحب الامبراطور مانويل كومنين الذى كان له طموح فى الغرب والشرق بطلبات ملك بيت المقدس ، وقد بلغ تأثير الامبراطورية البيزنطية ذروته عــلى الدول الصليبية فى الفترة من ١١٦٧ — ١١٨٠م فقد ارتبطت الامبراطورية مع أنطاكية وبيت المقدس عن طــريق الزواج ؛ وقدمت المســاعدات العسكرية الممكنة للصليبيين ضد المسلمين ، والمنح والعطايا سواء للافراد أو الحكومة ، واستطاع الامبراطور أن يحافظ على نوع من الســيطرة على الامارات الصغيرة[١٦] •

بعد عودة أسد الدين شيركوه الى بلاد الشام بعد حملته الأولى على

---

(١٤) أنظر ماسبق الفصل الثانى ص٣٢ •

(15) La Monte : to what extent was the Byzantine Empire the suzerain of the crusading states, p. 261.

— Conder : op. cit., p. 120.

(16) William of tyre : op. cit., p. 311, 344.

— La monte : op. cit., p. 261.

مصر أخذ يفكر فى العودة الى مصر ثانية وعرض مشروع فتح مصر على نور الدين محمود والخليفة العباسى فى بغـداد ، وقد أقنع الخليفـة للقضاء على الخلافة الفاطمية فى القاهرة ، ووصلت هذه الأخبـار الى شاور فى القاهرة ، وتأكد للوزير شاور أن أسد الدين شيركوه يطمع فى مصر وأنه سوف يسير اليها آجلا أو عاجلا ، لذلك أرسل شاور الى الملك عمورى يطلب منه المجىء الى القاهرة ، ولمـا سـمع ذلك نور الدين وأسد الدين شيركوه ، خافا أن يمتلك الملك عمورى مصر ، لذلك تجهـز شيركوه وسار بحملته الثانية الى مصر ومعه ابن أخيه صـلاح الدين الأيوبى فى أول يناير ١١٦٧[١٧] .

نزل أسد الدين شيركوه على الجـيزة وأقام بها ، ووصـل الملك عمورى الذى استعان به شاور الى بلبيس واجتمع شاور مع الملك ، وقد وضع ثروة الدولة وثروة الخليفة الخاصة تحت تصرف الملك عمـورى ،

---

(17) Setton : op. cit., p. 554.

— William of tyre : op. cit., p. 314.

— ابن شداد : المصدر السابق ص ٣٧ .

لم يذكر وليم الصورى أن شاور أرسل الى الملك عمورى يطلب مساعدته انما قال أن الملك عمورى عندما سمع باستعدادات شيركوه وذهابه الى بغداد لاقناع الخليفة العباسى للقضاء على الخلافة الشيعية فى مصر وأن الخليفة وافق على أن يقوم أسد الدين شيركوه على فتح مصر ، دعا الملك عمورى الى عقد اجتماع عام فى نابلس لاتخاذ الاجراءات اللازمة لاحباط مخططات الخليفة العباسى وشرح للحاضرين الخطر الذى يهدد المملكة اذا تم تنفيذ هذا المخطط وطلب الموافقة على فرض ضريبة على الجميـع للدفاع عن المملكة وعندما وصلت الأخبار بأن شيركوه سار متجها الى مصر ، جمع عمورى على عجل فرسانه وسار متعقبا شيركوه محاولا ايقاف تقدمه الى مصر الا انه لم يجده وعاد الى بيت المقدس ، وهناك دعا الى جمع القوات الصليبية من جميع انحاء المملكة وصارت الى مصر فى ٣٠ يناير ١١٦٧ وكان وصولها الى مدينة بلبيس مفاجأة لشاور الذى أصابه الذعر فى البداية من وصول القـوات الصليبية ، الا أنه عندما علم بوصول قوات أسد الدين شيركوه الى الأراضى المصرية شكر الملك عمورى على اخلاصه ووصوله لمساعدته فى الوقت المناسب .
انظـر :

— William of tyre : op. cit., pp. 314—315.

وكان على أتم الاستعداد لتنفيذ كل رغبات الملك • وتم تجديد الاتفاقية السابقة بين شاور والصليبيين وتقرر دفع مبلغ ٤٠٠ ألف قطعة ذهبية على أن يدفع نصـــف هذا المبلغ فى الحـــال ويؤجل الباقى لوقت آخـــر بالاضافة الى زيادة الجزية السنوية التى كانت مقررة للصليبيين • وكانت الاتفاقية تنص على أن يبقى عمورى بالقاهرة حتى يقضى تماما على قوات شيركوه أو يطردها نهائيا من الأراضى المصرية(١٨) •

سار شاور مع الصليبيين للقاء أسد الدين شـــيركوه عند الجيزة • ووقعت عدة معارك بين الطرفين انسحب على أثرها شيركوه الى الصعيد ووصل الى منية بن خصيب فلحقه هناك الملك عمورى وشاور ووقعت معركة حاسمة كان فى البداية النصر فيها للملك عمورى وشاور ، الا أن شيركوه استطاع أن يوقع بالصيليبيين هزيمة ساحقة وقتل عددا كبيرا من قادة الصليبيين ، وتم أسر هيو Hugh أمير قيسارية وجمـــاعة من أصحابه وقد استولت قوات شيركوه على أمتعـــة وأسلحة الصـــليبيين بسهولة ، وعاد شاور والملك عمورى الى القاهرة مهزومين(١٩) •

سار أســـد الدين شيركوه بجيشـــه سرا الى مدينة الاســـكندرية وتسلمها من الأهالى بدون قتال لأنهم كانوا يكرهون شاور ، واستطاع كل من الملك عمورى وشاور أن يعيدا ترتيب قواتهما من جديد فى القاهرة، وعندما وصل خبر استيلاء شيركوه على مدينة الاسكندرية قرر عمورى بعد اجتماع مشترك مع المصريين السير الى مدينةالاسكندرية وتقرر فرض الحصار عليها برا وبحرا واستمر ذلك الوضع لمدة شـــهر ، حتى قلت الأقوات بالمدينة وانتشرت المجاعة بين الناس ، وخشى أسد الدين شيركوه

---

(18) William of tyre : op. cit., p. 318.

(19) William of tyre : op cit., pp. 332—333.
— أبو شامة : كتاب الروضتين جـ ١ ص ٣٦٤—٣٦٥ •
— موسى بن محمد وآخرين : المصدر السابق ص ٩٤—٩٥ •
— ابن الاثير : الكامل فى التاريخ جـ ١١ ص ٣٢٤—٣٢٦ •

أن تتعرض قواته للمجاعة لذلك قرر أن يخرج بقواته ليلا متجها الى الصعيد بعد أن ترك حوالى مائة فارس تحت قيادة صلاح الدين الأيوبى للدفاع عن المدينة[٢٠] ، وعندما علم عمورى بخروج شيركوه بقواته أخذ يطارده حتى حصن بابليون ثم عاد الى الاسكندرية للضغط على المدينة واجبارها على التسليم[٢١] .

وكان نجاح شيركوه فى الخروج من مدينة الاسكندرية أثناء حصارها يدل على مهارته الحربية فالى جانب عدم تعريض قواته لخطر المجاعة كما ذكر وليم الصورى ، فان شيركوه وهو خارج مدينة الاسكندرية استطاع أن يلعب دورا للضغط على الملك عمورى ، فقد اضطر الملك أن يسحب جزءا من قواته والسير خلفه حتى بابليون ، بل ان الملك عمورى وقع فى حيرة وكان يريد أن يستمر فى تتبع شيركوه الى الصعيد لولا أن مستشاريه أشاروا عليه بخطورة هذا العمل .

شدد الملك عمورى الحصار على المدينة وعملوا برجا لكى يستطيعوا عن طريقه معاينة المدينة من الداخل لتوجيه ضربات المنجنيق ، وعانى سكان المدينة الذين لم يتدربوا على فنون القتال والذين ليس لهم خبرة أو دراية بالحروب ، وانتشر التذمر بين الناس وأعلنوا علنا أن المعاناة التى يتعرضون لها سببها وجود صلاح الدين وقواته بالمدينة ، لذلك أرسل صلاح الدين رسلا الى أسد الدين شيركوه يصف له ما وصلت

---

(٢٠) ذكرت المصادر العربية أن شيركوه ترك مدينة الاسكندرية بعد أن تسلمها تحت قيادة صلاح الدين مع عدد قليل من المدافعين وسار الى الصعيد قبل أن تحاصر المدينة بواسطة الجيوش المصرية والصليبية .

انظر :

— أبو شامة : المصدر السابق ص ٣٦٥—٣٦٦ .

— ابن الأثير : المصدر السابق ص ٣٢٦ .

— أبو الفدا : المصدر السابق ص ٤٣—٤٤ .

(21) William of tyre : op. cit., pp. 334—335.

— Runciman : op. cit., p. 375.

اليه حالة المدينة ، ويطلب منه العمل على ارسال نجدة عسكرية سريعة لتخفيف وطأة الحصار ، لذلك أسرع شيركوه بقواته ونزل على مدينة القاهرة وضرب الحصار حولها وأرسل الملك عموری قوات للدفاع عن القاهرة ، ودارت المفاوضات بين شيركوه والصليبيين ، وتم الاتفاق بين الطرفين بأن يطلق شيركوه سراح هيو أمير قيسارية والأسرى الآخرين ، ويرفع الحصار عن مدينة القاهرة فى مقابل خروج صلاح الدين من مدينة الاسكندرية بكامل قواته وتسليم المدينة للمصريين ، وأن يتسلم شيركوه مبلغ وقدره خمسون ألف دينار وأن يغادر شيركوه والصليبيين مصر ، وقد اتفق الملك عمورى مع شاور على أن يكون للصليبيين حامية بالقاهرة لمنع شيركوه من الوصول اليها ، وأن يدفع شاور جزية سنوية للصليبيين مقدارها مائة ألف دينار(٢٢) .

بعد عودة الملك عمورى بقليل من مصر الى بيت المقدس وصلته الأخبار بعودة السفارة التى سبق أن بعث بها الى القسطنطينية الى مدينة صور وأحضروا معهم ماريا كومنين كزوجة المستقبل للملك عمورى ، وقد أسرع الملك الى صور حيث دعا الى اجتماع من رجال الكنيسة والنبلاء ، وتم زواجه من ماريا البيزنطية فى ٢٩ أغسطس ١١٦٧م ، ونجحت السفارة التى استمرت سنتين فى القسطنطينية فى المهمة التى ذهبت من أجلها(٢٣) .

تم رسم خطة لغزو مصر واقتسامها بين الدولتين الصليبية

---

(22) William of tyre : op. cit., p. 337—343.

— موسى بن محمد واخرين : المصدر السابق ص ٩٥ .

— أبو شامة : المصدر السابق ص ٣٦٦ .

— ابن شداد : المصدر السابق ص ٣٨ .

— Runciman : op. cit., pp. 375—376.

(23) William of tyre : op. cit,. p. 344.

— Setton :op.cit., pp. 554—555.

والبيزنطية ، وأرسل مانويل كومنين بنــاء على المشروع الذى اقترحه عمورى مبعوثين لمناقشة موضوع التحــالف بين الدولتين ، وتبين من الخطاب الذى أرسله الامبراطور الى الملك عمورى تطابق وجهات النظر الصليبية والبيزنطية بالنسبة لمصر ، فقد وصف الامبراطور مصر بأنها غنية جدا وحكامها ضعفاء ، وأنه من المستحيل أن تســتمر طويلا فى حالتها الراهنة ، ويجب أن تؤول أملاكها الى أمم أخرى ، وقد تم صياغة معاهدة للتحالف بين الطرفين ، وبعث عمورى مع الرسولين عند عودتهما سفارة على رأسها وليم الصورى رئيس الشمامسة ، ومنحه تفويضــا للمصادقة على المعاهدة فى حضور الامبراطور مانويل كومنين ، وقد وافق الامبراطور البيزنطى على نصوص الاتفاقية ، وعادت السفارة الى بيت المقدس فى أكتوبر ١١٦٨ م بعــد أن نجحت المهمــة التى ذهبت من أجلهــا(٢٤) .

أخذت المملكة تزداد فى الضعف وأخذت الصراعات والمنازعات تزداد بين الطوائف المختلفة ، وبدأ يظهر بوضوح ضعف الملكية وعدم قدرتها على اتخاذ القرار الحاسم فى الأوقات الحرجة ، حيث أصبح الملك عاجزا أمام الأطماع الشخصية لبعض البارونات ورئيس هيئة فرسان الاسبتارية . ففى الوقت الذى كانت فيه السفارة الصليبية فى طريقها الى بيت المقدس، بعد أن توصلت الى اتفاق لعمل مشترك ضد مصر ، كان الملك عمورى قد بدأ حملته الرابعة على مصر بعد ضغوط شديدة من بعــض البارونات ورئيس هيئة فرسان الاسبتارية فقد قال لهم الملك « الرأى عندى ألا نقصدها فانها طعمة لنا ، وأموالها تساق الينا نتقوى بها على نور الدين ، وان نحن قصــدناها لنملكها فان صــاحبها وعساكره وعامــة أهل بلادها وفلاحيه ، لا يسلمونها الينا ويقاتلوننا دونها ، ويحملهم الخوف منا على

---

(24) William of tyre : op. cit., p. 347—349.

— Setton : op. cit., p. 555.

تسليمها الى نور الدين »[٢٥] • وتجاهل المجلس الذى جمعه الملك عمورى رأيه وضرب به عرض الحائط ، ولم يصغوا الى قوله واتخذ المجلس قرارا بسير حملة ضد مصر[٢٦] •

وكان المحرك الأساسى لهـذه الحملة هو جلبرت دى اسـيللى Gilbert d, Assilly رئيس هيئة فرسان الاسبتارية ، وهذا الرجـل كان قد تورط فى الديون وأراد الاستيلاء على مصر لكى يسـتطيع الحصول على مبالغ كبيرة لتسديد ديونه • وقد عقد الملك عمـورى مع رئيس هيئة الاسبتارية اتفاقية فى ١١ أكتوبر ١١٦٨ م لمساعدته فى حرب ضد مصر ، وقد وعد عمورى هيئة فرسان الاستبارية بأن يعطيهم الأراضى المزروعة وغير المزروعة التى تقع حول مدينة بلبيس وكان دخلها السنوى حوالى ٣٥ ألف دينار بالاضافة الى ٢٠ ألف من المدن المصرية الأخرى مثل القاهرة ودمياط والاسكندرية ، وقد منحوا حق بناء تكية فى كل مدينة للفقـراء

---

(٢٥) أبو شامة : المصدر السابق ص ٣٩٠ •

(26) William of tyre : op. cit., pp. 349—350.

— ابو شامة : المصدر السابق ص ٣٩٠ •

حاول المؤرخان رانسمان وستون ايجاد تبرير لحملة عمورى على مصـر فقد ذكرا أن الملك عمورى لم يجازف بدون سبب للتسلط على مصر وانه يبدو أن المصريين تأخروا فى دفع الجزية السنوية المقررة كما أن الحامية التى تركهـا الصليبيون كانت تتصرف بعجرفة ونتيجة لذلك بدأت مفاوضات بين القاهرة ودمشق ووصلت هذه الشائعات الى بيت المقدس ولذلك فقـد أسرع الملك عمورى الا أن وليم الصورى ذكر صراحة أن الملك عمورى خالف نصـوص المعاهدة التى عقدها مع شاور وأن الشائعات التى بدأت هناك بأن شاور أرسل الى نور الدين محمود سرا لأنه يريد أن يتخلص من نفوذ الصـليبيين وانهاء المعاهدة التى عقدها معهم ، تعتبر اتهامات باطلة ولا أسـاس لها من الصحة وكل هذه كانت حجج لتغطية الغرض الحقيقى من قيام هذه الحملة ضد مصر وهو طمع رئيس هيئة فرسان الاسبتارية وبعض بارونات مملكة بيت المقـدس •

انظر :
— William of tyre : op. cit., pp. 349—350.
— Setton : op. cit., p. 555.
Runciman :op. cit., pp. 379—380.

والمساكين ولهم نصف غنائم المدن التى تم الاستيلاء عليها ، وفى مقابل ذلك تقدم هيئة فرسان الداوية ألف فارس ، وألف من الخيالة الوطنيين الذين كانوا يسمون بالتركوبول Turkopoles تحت قيادة ذوى الخبرة من أفراد هيئة فرسان الاستبارية ، واذا قدموا أكثر من ذلك العـــدد يحصلون على أموال أكثر من ذلك[٢٧] • أما هيئة فرسان الداوية فقـــد رفضت الاشتراك فى هذه الحملة لأنه لا يوجد سبب يبر هذه الحرب ضد من اعتبرتهم حليفا للصليبيين[٢٨] •

بدأ سير الحملة الى مصر من عسقلان فى ٢٠ أكتـــوبر ١١٦٨ م « فبعث اليه شاور يسأله عن سبب مسيره فاعتل بأن الفرنج غلبوه على قصد ديار مصر وأنه يريد ألفى ألف دينار يرضيهم بها »[٢٩] ونزلوا على بلبيس وضربوا الحصار حول المدينة واستطاع الصليبيون الاستيلاء عليها عنوة فى خلال ثلاثة أيام وعاثوا فى المدينة فسادا وأخذوا يقتلون الرجال والشيوخ والأطفال والنساء دون تمييز لسن أو جنس ، والذين نجوا من القتل عانوا من نير الاسترقاق والعبودية ، لقد اندفعت القوات الصليبية فى المدينة بتهور شديد حتى المساكن الخاصة اقتحمها الجنود وأخرجوا منها هؤلاء الذين حاولوا الاختفاء فيها وجروهم بالسلاسل على الأرض

---

(٢٧) لم يكن لدى الملك عمورى قوة كبيرة من الجيش انما القوات الكبيرة كانت فى يد طوائف الفرسان الرهبان ويتضح لنا ذلك من الحديث الذى دار بين الملك عمورى توروس ملك الأرمن عندما عرف أن كل اراضى وقلاع مملكة بيت المقدس فى يد هيئات الفرسان وتسائل كيف يستطيع الملك الحصول على الجند ولم يكن لديه سوى ثلاث قلاع فأجابه عمورى بأنه يستأجر الجند من موارده الخاصة ومما يقترضه من الأموال ولقد شعر توروس بالأسى والاســـف لما وصلت اليه مملكة بيت المقدس من الضعف والانهيار •

انظر السيد الباز العرينى : الاقطاع الحربى عند الصليبيين ص ١٨ ، ١٩ •

(28) William of tyre : op. cit., p. 350.

— Conder : op. cit., pp. 125—126.

— La Monte : op. cit., p. 25.

(٢٩) المقريزى : المواعظ والاعتبار جـ ٢ ص ١٣٢—١٣٣ •

للمشانق ، ولقد تم فى الحال قتل الرجال القادرين على حمل السلاح ، وكانت رغبة الصليبيين عارمة للحصول على المغانم والأسلاب[٣٠] •

وصلت أخبار مذابح بلبيس الى القاهرة وأصيب النـــاس بالذعر والفزع ، وارتبك شاور وأصبح فى حيرة من أمره لا يدرى ماذا يفعل لانقاذ القاهرة من الدمار والخراب الذى ينتظرها ، وهنا أرغمت الظروف شاور والخليفة العاضد على الاستنجاد بنور الدين محمـــود ، وكتب الخليفة العاضد كتبه وفيها شعور نسائه وبناته يطلب من نور الدين انقاذ المسلمين ، وسارت الجيوش الصليبية من بلبيس واستولت على حصـــن بابليون فى ٤ نوفمبر ١١٦٨م وأسر عـــددا كبيرا من المصريين ، وبدأ حصار القاهرة فى ١٣ نوفمبر من نفس العام ، وأمر شاور بحرق مدينة الفسطاط بعد أن غادرها ســـكانها فتركوا أموالهم ونجـــوا بأنفســـهم وأولادهم ، ولقد تأكد الملك عمورى أن المدينة سوف تقاوم الى آخر قطرة دماء حتى لا يحدث لهم ما حدث فى مدينة بلبيس ، وفضل الملك الحصول على الأموال من المصريين ، ولذلك بدأت المساومة بين عمورى وشاور ، واستخدم شاور كل الحيل ، وذكر الملك بمودته ومحبته القديمة ، وأن المسلمين لا يوافقون على تسليم القاهرة للصليبيين ، وتقرر الصلح على أن يدفع شاور مائة ألف دينار كفدية لابنه وابن أخيه ، وقدم الرهائن لدفع مائة ألف أخرى ، ولذلك انسحب الملك عمورى الى المطرية وابتعد عن القاهرة[٣١] •

عسكر الملك عمورى فى المطرية فى انتظار استلام باقى المبـــلغ الذى وعد به شاور ، وأخذت الرسل تتنقل بين الطرفين ، ولجأ شـــاور

---

(30) William of tyre : op. cit., p. 351.

(31) William of tyre : op. cit., p. 352—354.
— Setton : op. cit., p. 556.
— المقريزى : المصدر السابق ص ١٣٢—١٣٣ •
— أبو شامة : المصدر السابق ص ٣٩١ •

الى الحيلة والخديعة لكسب الوقت ، وأرسل الى الملك يخبره بأنه يقوم بجمع المبلغ المطلوب وأن هذا المبلغ يحتاج الى وقت ويطلب من الملك أن يتسلح بالصبر ، ولا يحاول أن يقترب مرة أخرى من القاهرة ، وفى نفس الوقت وصل الأسطول الذى كان الملك قد أمر باعداده لكى يلحق بالحملة على وجه السرعة ، واستطاع الاستيلاء على مدينة تنيس ، ثم حاول الانضمام الى جيش الملك ، الا أن الجيش المصرى سد النيل عن طريق مجموعة من السفن ، ووصلت الملك عمورى شائعات بأن شيركوه يقترب من الحدود المصرية ، لذلك أرغم الصليبيون على تغيير خططهم ، وصدرت الأوامر للاسطول للخروج الى البحر والعودة الى الشام بعد أن فقد احدى سفنه ، ثم جاءت الأخبار الى عمورى بأن شيركوه على وشك أن يدخل الأراضى المصرية بقوات ضخمة ، ولذلك عاد الملك بقواته الى مدينة بلبيس وترك بها بعض القوات لحراستها ، ثم سار لقطع الطريق على أسد الدين شيركوه ، غير أن أسد الدين تمكن من عبور النيل ، وذلك أدى الى احباط جميع تخطيطات الملك عمورى ، وأيقن أنه لا يستطيع مقاومة شيركوه والمصريين معا ، لذلك عادت الجيوش الصليبية الى بيت المقدس فى ٢ يناير ١١٦٩ م ، وهكذا فشلت حملة عمورى على مصر[٣٢] .

وصل أسد الدين شيركوه بجيشه الى القاهرة وعسكر خارج أبواب القاهرة وخرج اليه شاور مسلما عليه ، ولم يظهر شيركوه نواياه الحقيقية تجاه شاور الذى أخذ يخرج يوميا لتحية شيركوه فى معسكره ثم يعود الى مدينة القاهرة ، ووجد شيركوه وصلاح الدين أنه من المستحيل الاستيلاء على مصر مع بقاء شاور الذى خان العهود ، وتم قتل شاور فى ١٨ يناير ١١٦٩ م ، واستقبل الخليفة العاضد شيركوه وقلده منصب الوزارة ، الا أن أسد الدين شيركوه لم يستمر طويلا ، فقد مات فى

---

(32) Wiliam of tyre : op. cit., p. 352—356.
— Setton : op. cit., pp. 555—556.

— ابن شداد : المصدر السابق ص ٣٩ .

أغسطس من نفس العام وخلفه فى منصب الوزارة ابن أخيه صلاح الدين الأيوبى الذى قام بعدة اصلاحات لتوطيد مركزه فى مصر(٣٣) •

وصول صلاح الدين الأيوبى الى حكم مصر أحدث ثورة فى توازن القوى فى الشرق الأدنى ، بل ان ذلك العمل كان النــواة التى عجلت بالكارثة التى سحقت مملكة بيت المقدس فيما بعد ، لقد سعى عمـــورى بنفسه القضاء على دولة الصليبيين عندما حاول الاستيلاء على مصـــر ، ووليم الصورى بكى على ضياع مصر من الصليبيين التى كانوا يستفيدون منها سياسيا واقتصاديا ، لقد كانت جميع مصادر مصر وثروتها الهائلة فى خدمة الصليبيين ، وكانت حدود مملكة بيت المقدس آمنة فى الجنوب، حيث لا يوجد عدو يخشونه ، وكان البحر آمنا يمر فيهـ من يأتى الى الصليبيين بسلام ، ونسب وقوع مصر فى يد صلاح الدين الأيوبى الى طمع وجشع بعض البارونات الذين أعماهم حب المال فضلوا الطــريق المســتقيم ، وفضـــلوا مصـــالحهم الشخصية على المصـــلحة العـــامة للصليبيين(٣٤) •

لقد كان نظام الوراثة وما تسبب عنه من مشاكل هو المسئول الأول عن ذلك ، لقد ورث عمورى تركة مثقلة بصراعات وخلافات حزبية قضت على هيبة الملكية ، بل الذى جاء بالملك عمـــورى الى عرش مملكة بيت المقدس هو نظام الوراثة ، جاء به فى ذلك الوقت الذى تحتاج فيه الدولة الى طراز خاص من الرجال ، لم يكن الملك عمورى من أولئـــك الرجال الذين يستطيعون ادارة دفة الأمور فى أوقات الأزمات الخطيرة ، لم يوافق

---

(33) William of tyre : op. cit., p. 356—358.
— Jacques de vitry : op. cit., p. 94.
— ابن شداد : المصدر السابق ص ٣٩ـــ٤٠ •
— ابن الأثير : المصدر السابق ص ٣٣٥ — ٣٣٩ •

(34) William of tyre : op. cit., p. 357—359.
— La monte : op. cit., p. 25.
— Setton : op. cit., p. 256.

كثير من نبلاء مملكة بيت المقدس على وصول عمورى الى العرش ، لأنهم كانوا يشكون فى كفاءته وقدرته السياسية .

سبق أن رأينا أن الملك عمورى لجأ الى التحالف مع الامبراطورية البيزنطية لتنفيذ مشروعاته الخاصة بمصر ، ولذلك كان الامبراطور البيزنطى متأهبا لتنفيذ المعاهدة فأرسل أسطولا ضخما الى بلاد الشام مكونا من مائة وخمسين سفينة حربية ، وقد كانت هناك سفن أعدت اعدادا خاصا لنقل الخيول بطريقة سهلة وميسرة ، ثم سفن لحمل المؤن والامدادات والآلات الحربية ، وتم اختيار نخبة ممتازة من الضباط لقيادة هذا الأسطول الضخم ودخل ميناء صور فى نهاية سبتمبر ثم تقدم الى عكا حيث رسى هناك فى مكان آمن[٣٥] .

نزلت القوات البيزنطية فى مدينة عكا لتواصل السير مع القوات الصليبية عن طريق البر الى مصر ، وبدأت القوات البيزنطية السير مع الملك عمورى من مدينة عسقلان فى ١٥ أكتوبر ١١٦٩ م متجهة الى مصر. ووصلت الى مدينة الفرما ووجدوا الأسطول قد وصل قبلهم وساورا عن طريق بحيرة المنزلة الى دمياط ، واستطاع الأسطول أن يرسى فى احدى الأماكن القريبة من دمياط وضرب الصليبيون الحصار حول مدينة دمياط برا وبحرا ، غير أن هذا الحصار لم يكن محكما اذ استطاع صلاح الدين الأيوبى أن يرسل تعزيزات عن طريق الجنوب بقيادة أخيه تقى الدين عمر ، وقد أشار وليم الصورى أنه كان فى امكان الجيوش المتحالفة الاستيلاء على دمياط فى حالة قيامها بهجوم سريع ، الا أن تأجيل الهجوم

---

(35) William of tyre : op. cit., p. 361.

- الوصف الذى أورده وليم الصور للاسطول البيزنطى يشبه الى حد كبير الأساطيل الحديثة .

بلا مبرر ، أدى الى وصول امدادات من العتاد والرجال وبذلك استطاعت المدينة أن تقاوم وتصد هجوم الصليبيين[٣٦] •

أضيفت متاعب أخرى الى معسكر الصليبيين ، فقد تعرض الجيش البيزنطى الى نقص فى التموين ، وبدأت القوات الضخمة فى الاسطول البيزنطى تعانى من نقص الطعام ، وعندما نفد طعامهم تماما ، تم تقسيم تموين القوات الصليبية بين القوات البيزنطية والقوات الصليبية ، وأدى ذلك الى زيادة الأزمة ، وزاد الطين بله سقوط الأمطار الغزيرة وهبوب الرياح القوية ، وقد أخذت الأمطار تتساقط على خيامهم وكادت أن تقتلعها المياه • كما تعرض الاسطول الذى كان راسيا بالقرب من المدينة فى مكان يعتبر الى حد ما آمنا الى كارثة ، اذ تمكن المسلمون من اشعال النار فى السفن البيزنطية ، واستطاعوا حرق ست سفن بيزنطية ونجت السفن الباقية بأعجوبة[٣٧] •

أخذت الجيوش المتحالفة تواصل هجماتها من خلال الثغرات التى كانت بأسوار المدينة وذلك لعدة أيام دون الوصول الى نتيجة حاسمة ، خاصة بعد أن وصلت أخبار المجاعة التى انتشرت بين الجيوش المتحالفة الى سكان المدينة ، وكانت قوة المحاصرين بالمدينة فى ازدياد مستمر حيث ظلت تتدفق الامدادات عن طريق البر والبحر ، ونتيجة لذلك لم يمثل الخلفاء مصدر رعب للمدينة بل العكس أصبح المحاصرون داخل المدينة هم الذين يمثلون مصدر رعب كبير لجيوش الحلفاء بالرغم من الحصار المفروض عليهم ، وبدأ التذمر بين جيوش الحلفاء وأصبح الجميع يشعرون بأن وقتهم يضيع سدى ، لا أمل لهم فى احراز نصر قريب أو بعيد ،

---

(36) William of tyre : op. cit., p. 362—365.
— Setton : op. cit., p. 557.
— ابو شامة : المصدر السابق ص ٤٥٩ •

(37) William of tyre : op. cit., pp. 366—367.
— Setton : op. cit., p. 557.

وكانوا أمام خيارين لا ثالث لهما اما العودة الى بلادهم واما البقاء أمـام دمياط ، وفى هذه الحالة سوف يتعرضون للفناء والهلاك بسيوف المسلمين، ولذلك قرر الصليبيون رفع الحصار عن مدينة دمياط بعد أن توصلوا الى اتفاق مع أحد رجال صلاح الدين الأيوبى[٣٨] ، وسمح لهم بدخول المدينة لشراء حاجياتهم من الأسواق استعدادا للعودة الى بلادهم ، وقاموا بفك آلات الحصار وحرقها وبدأ الانسحاب من أمام دمياط ، وقد وصـلت القوات الصـليبية والبيزنطية الى مدينة عسـقلان فى ٢١ ديسـمبر ١١٦٩ م[٣٩] وهكذا فشلت الحملة الصليبية البيزنطية بفضل استبسال الحامية والسكان فى الدفاع عن المدينة •

اعتبر وليم الصورى فشل الحملة الصليبية البيزنطية على دميـاط كارثة بالنسبة للكيان الصـليبى ، ولقد تبادل الصـليبيون والبيزنطون الاتهامات ، ولا شك أن هذه الحملة توفرت لها كل الامكانات ، واشترك فيها عدد كبير من كبار الشخصيات الصـليبية والبيزنطية الذين امتازوا بالكفاءة والمقدرة الحربية ، غير أنه هناك عوامل أدت الى فشلها وأهم تلك العوامل : تعارض وتضارب خطط القادة الصليبيين والبيزنطيين ونقص المواد التموينية ، وعدم ثقة الصليبيين فى البيزنطيين ، كما أن الحملة فقدت عنصر المفاجأة ، بالاضافة الى مهارة صلاح الدين الأيوبى الحربية وشجاعة حامية دمياط •

---

(٣٨) يرجح رانسمان بأن الاتفاقية تضمنت دفع مبلغ من المـال للملك عمورى تعويضا للخسائر التى منيت بها الجيوش الصليبية والبيزنطية الا ان وليم الصورى لم يشر الى ذلك بل اعترف بأن الصليبيين والبيزنطيين هم الذين عجلوا بالرحيل وأن البقاء كان معناه الفناء والهلاك للجيوش الصـليبية والبيزنطية .

انظـر :

— Runciman : p. 387.

(39) William of tyre : op. cit., p. 366—369.

— Setton : op. cit., pp. 557—558.

في الوقت الذى زادت فيه قوة المسلمين زاد تدهور مملكة بيت المقدس وأصبحت المملكة بدون قادة حكماء أو عقلاء على حد تعبير وليم الصورى ، لذلك جمع الملك عمورى جميع نبلاء المملكة فى عام ١١٧١ م للنظر فى كيفية علاج الحالة السيئة التى وصل اليها الصليبيون ، فقد عجزت المملكة فى القيام بأى هجوم ضد أعدائها بل أصبحت لا تستطيع مقاومة أى هجوم يقع ضدها ، ولم يستطع المجتمعون أن يتوصلوا الى شىء سوى الاتفاق على التماس المساعدة من البابوية وملوك وأمراء غرب أوروبا ، وأيضا قرروا الاتصال بالامبراطورية البيزنطية وتجديد التحالف معها ، وقرر الملك عمورى أن يذهب بنفسه على رأس البعثة رغم اعتراض بعض النبلاء ، لأنه رأى أن يعرض حالة المملكة على الامبراطور البيزنطى بنفسه(٤٠) •

غادر الملك عمورى بيت المقدس عن طريق البحر الى القسطنطينية فى مارس ١١٧١ م ومعه عدد كبير من نبلاء المملكة ، وكانت مفاجأة بالنسبة للامبراطور مانويل كومنين ، عندما سمع أن ملك بيت المقدس فى طريقه الى القسطنطينية ، واصابته الدهشة فى البداية لأن ذلك مخالف للعادات والتقاليد ، ملك الأراضى المقدسة ذو الشأن يقوم بهذه الرحلة الصعبة ، ولقد شعر مانويل كومنين فى نفس الوقت بالفخر للزيارة غير العادية ، حيث أنه لم يسبق من قبل أن زار ملك من ملوك بيت المقدس مدينة القسطنطينية ذلك الملك الذى يعتبر حامى القبر المقدس ، ولذلك قوبل الملك عمورى بحفاوة تليق به ، وأعد الملك برنامج خاص لزيارة الكنائس والأماكن الهامة فى القسطنطينية ، وشرح عمورى للامبراطور مانويل السبب الذى جاء من أجله ووضح له احتياجات مملكة بيت المقدس ، وبين له الفوائد التى تعود على الامبراطورية البيزنطية اذا تعهد الامبراطور باخضاع مصر ، وأوضح له أن المشروع ممكن أن يتم

---

(40) William of tyre : op. cit., pp. 377—378.

بسهولة ، وقد اقتنع مانويل كومنين ووعد بأن ينفذ المشروع كاملا ، وعاد الملك عمورى الى فلسطين فى يوليو ١١٧١ م بعد أن تم تجديد التحالف الصليبى البيزنطى[٤١] .

فى الفترة التى حدث فيها التقارب والتحالف بين الدولة البيزنطية ومملكة بيت المقدس فى سنة ١١٦٩ م نقش اسـم الامبراطور مانويل كومنين على لوحة فى كنيسة الميلاد ببيت لحم ، وجاء اسم عمورى بعد اسم مانويل كومنين ، وهذا النقش كتب باللغتين اليونانية واللاتينية ، وجاء فى اللغة اليونانية أن هذه الزخرفة فى الكنيسة تمت فى عهد كل من الامبراطور مانويل كومنين والملك عمورى فى ولاية الاسقف رالف Ralph ، وهذا العمل كان مجرد منحة وهبة من الامبراطور مانويل كومنين القوى الورع الى كنيسة كانت تعتبر من أشهر المقدسات فى العالم المسيحى[٤٢] ، ذلك لأن مانويل كومنين ساعد فى تجديد زخـرفة الكاتدرائية ، وكانت المفاوضات تجرى فى ذلك الوقت للعمل على اتحـاد الكنائس الشرقية والغربية ، وزخرفة كنيسة الميلاد تدل على الصـداقة والتفاهم الذى كان سائدا بين الكنيستين والدولتين[٤٣] .

ورد لأول مرة لفظ تبعية مملكة بيت المقدس للامبراطورية البيزنطية فى وصف الزيارة التى قام بها الملك عمورى الى القسطنطينية فى عـام ١١٧١م وقد استخدم هذه العبارة المؤرخ البيزنطى كيناموس فى الفقرة

---

(41) Ibid : p. 378—382.
— Setton : op. cit., p. 559.

(٤٢) يرى المؤرخ فاسيليف ان نقش عام ١١٦٩ فى كنيسة الميلاد بيت لحم دليل على نوع من السيادة على ملوك بيت المقدس .
— Vasiliev. A. A. History of the Byzantine empire, p. 81. vol 2.
— وانظر ايضا باركر الحروب الصليبية تعريب الدكتور الباز العرينى ص ٩٧ .

(43) La Monte : to what extent was the Byzantine empire suzerain pp. 262—263.

الوحيدة التى خصصها لوصف زيارة الملك عمورى وأيضا ورد هذا اللفظ عند المؤرخ نيقتا كونياتس[٤٤] للتعبير عن التبعية الاقطاعية ، ونفس هذا اللفظ استخدم بمعرفة كيناموس عندما وصف تبعية توروس الأرمنى للامبراطورية البيزنطية فى عام ١١٥٩ م ، ولا تستند هذه العبارة الى أى حق واضح خاص بقبول السيادة البيزنطية بمعرفة ملك بيت المقدس[٤٥] • ووليم الصورى الذى وصف زيارة الملك عمورى الى القسطنطينية بالتفصيل وتتبع الزيارة خطوة بخطوة منذ نزول الملك من السفينة ، لم يذكر أن عمورى أدى قسم الولاء والتبعية ، بل يستخلص من وصفه للزيارة أن عمورى كان حليفا للدولة البيزنطية وقوبل بالترحاب، وأشار وليم الصورى فقط الى أن الملك عمورى جلس على مقعد منخفض قليل عن مقعد الامبراطور مانويل[٤٦] ، وهذه الاجراءات لا تتضمن التبعية كما هو متبع فى غرب أوروبا بالنسبة للتقاليد الاقطاعية • ولا يمكن لمؤرخ مثل وليم الصورى أن يتعمد عدم الاشارة الى قسم الولاء اذا كان قد حدث فعلا حتى اذا كان فى ذلك انتقاص لهيئة ونفوذ صديقه الملك عمورى[٤٧] •

ومهما يكن من أمر فاننا لا نستطيع أن نغفل ما ذكره المؤرخ كيناموس الى أن تكتشف مصادر أخرى تسمح لنا بمقارنة وفحص ما جاء

---

(٤٤) اشار الناشرون لمجموعة مؤرخى الحروب الصليبية فى مقدمة الجزء الثانى الخاص بالمؤرخين البيزنطيين بأن اصطلاح التبعية الخاص ببيت المقدس اقتصر استخدامه على وجه الخصوص بالنسبة للمؤرخين البيزنطيين على كيناموس ونيقتا •

انظر :

— Recueil des Historiens des croisades, Historiens Grecs vol 11. p. 18.

(45) La Monte : op. cit., pp. 262—263.

(46) William of tyre : op. cit., p. 380—382.

(47) La Monte : op. cit., p. 263.

— Setton : op. cit., p. 559.

عن هذا المؤرخ • ونجد المؤرخين المحدثين الذين اهتموا بالدراسات الصليبية لا يرون فى زيارة الملك عمورى فى سنة ١١٧١ م تبعية مملكة بيت المقدس للدولة البيزنطية ، أما المؤرخون الذين اهتموا بالدراسات البيزنطية فيرون فى ذلك تبعية وخضوع مملكة بيت المقدس •

ولقد رأى المؤرخون اللاتين فى اللقاء الذى تم بين الملك عمورى والامبراطور مانويل تجديدا للتحالف بين الدولتين ، ولم ترد عندهم أى اشارة لتأدية قسم الولاء بمعرفة الملك عمورى ، أما المؤرخان كيناموس ونيقتا فقد رأيا فى الزيارة اعتراف الملك عمورى بسيادة الدولة البيزنطية على مملكة بيت المقدس(٤٨) •

ذلك الاختلاف راجع الى أن الدولة البيزنطية كانت لا تزال تحتفظ الى حد ما بفكرة الامبراطورية القديمة ، أما الصليبيون فقد عرفوا العلاقات الاقطاعية فقط ، وادعاءات كيناموس بأن الملك عمورى أصبح فصلا للامبراطور مانويل كومنين ، توضح بأنه استخدم التعبير البيزنطى وليس التعبير الصليبى ، فقد كان الفصل فى المفهوم البيزنطى هو الفصل فى مفهوم روما ، فهو ذلك الأمير الأقل درجة الذى يقبل حمايته وتحالف الامبراطورية العظيمة ، أما الفصل عند الصليبيين فقد كان الفصل الاقطاعى ، فالرجل يرتبط بقسم مقدس مع سيده ويتسلم منه الأرض ويحلف على أن يخدمه باخلاص ، لذلك يظهر الفرق الشاسع فى الاختلاف بين المفهومين فلم يكن الملك عمورى فصلا للامبراطورية البيزنطية(٤٩) ، وانما اعترف لها بنوع من السيطرة الغامضة(٥٠) • وكان ذلك نتيجة

---

(48) La Monte : op. cit., p. 263.

(٤٩) يرجح رانسمان أن الملك عمورى أعترف بطريقة غير واضحة بسيادة الامبراطورية البيزنطية على المسيحيين الوطنيين فى مملكة بيت المقدس أنظر :

— Runciman : p. 391.

(50) La monte : op. cit., p. 264.

لمشكلات الوراثة والنكبات التى تلاحقت على الصليبيين فى بلاد الشام فى هذا القرن •

وعلى الرغم من أن مهمة الملك عمورى الى القسطنطينية كانت ناجحة الا أنها كانت بدون نتيجة مثمرة ، فقد كان الامبراطور مانويل كومنين يعمل لصالح الدولة البيزنطية كأبيه حنا كومنين وجده الكسيوس كومنين بل كان أكثر منهما حذرا ، ولم ينس عـداوة نورمان انطاكيـة للدولة البيزنطية وما حدث أثناء الحملة الصليبية الثانية ، ولذلك لم يستفد منه الصليبيون ولم يقدم شيئا يذكر للحركة الصليبية ببلاد الشام ، ولم يخرج التحالف الذى ذهب عمورى من أجله الى القسطنطينية الى حيز التنفيذ للقضاء على صلاح الدين الأيوبى فى مصر ، بسبب القلاقل التى حدثت فى قونية وقيليقية فى الفترة من ١١٧١ — ١١٧٣م • وقد منعت العلاقات المتوترة بين نور الدين محمود وصلاح الدين القيام بعمل مشترك ضد الصليبيين ، وفكر الملك عمورى مرة ثانية فى طلب المسـاعدة من الغرب الأوربى ، غير أن مساعيه فشلت فى الحصول على أية مساعدة •

وفى نهاية عام ١١٧٣ م تم اطلاق سراح ريموند الثالث أمير طرابلس من الأسر ، بعد أن ساعد الملك عمورى فى دفع فديته التى بلغت ٨٠ ألف قطعة ذهبية ، ومات الملك عمورى لاصابته بمرض الحمى فى ١١ يوليو ١١٧٤ م وبموته انتهى الحلف الصليبى البيزنطى(٥١) •

---

(51) Setton :op. cit., p. 559.

الفصل الرابع

انهيار المملكة اللاتينية الأولى

مات الملك عمورى وترك مملكة بيت المقدس فى حالة من الفوضى والاضطراب ، وتم تتويج ابنه بلدوين الرابع بمعرفة عمورى بطرك بيت المقدس فى ١٥ يوليو ١١٧٤ م ، وكانت تلك الذكرى السنوية لسقوط بيت المقدس فى يد الصليبيين ، ووافق النبلاء ورجال الدين على أن يكون بلدوين الرابع ملكا عليهم ، ولم يتجاوز سن الثالثة عشر حينذاك ، وأصيب بمرض البرص منذ صغره ، ويقول وليم الصورى الذى أشرف على تعليمه أن بلدوين الرابع أرغم على أن يتولى شئون الحكم فى مملكة بيت المقدس[١] • وهذا يوضح لنا نفوذ حزب أمراء البلاط الملكى ، ولا شك أن الحزب الذى كان يساند الملك عمورى كان من مصلحته أن يصل بلدوين الأبرص الى الحكم رغم عجزه حتى يحتفظ هذا الحزب بالسلطان ، ولذلك سنرى أن الصراع على السلطة فى عهد الملك بلدوين الرابع نشب بين حزبين من الأمراء : حزب أمراء البلاط الملكى وحزب أمراء المستوطنين ، أى الذين اتخذوا فلسطين وطنا لهم ، ولم يكن الملك طرفا فى الصراع كما كان فى عهد الملك عمورى •

تولى الوصاية على الملك بلدوين الرابع ميلون دى بلانسى Milon de Plancy ويعتبر من القادمين الجدد فى مملكة بيت المقدس ، وكان صديقا حميما للملك عمورى وسنشال Seneschal المملكة فى عهده وقد تسلم الشوبك كاقطاع من الملك عمورى بعد زواجه

---

(1) William of tyre : op. cit., p. 397—399.
— La monte : op. cit., p. 26.
— عماد الدين الكاتب : الفتح القسى فى الفتح القدسى ص ١٣ .

من استفانة دى مللى Stephanie de Milly ، ويبدو أن الملك عمورى أوصى قبل وفاته بأن يكون ميلون دى بلانسى وصيا على ابنه ، وذلك بعد الحصول على موافقة الحزب الذى كان يسانده الا أنه لم يحصل على موافقة الحزب المناهض له وبالتالى لم يحصل على اجماع المحكمة العليا ، الأمر الذى جعل بعض المؤرخين المحدثين لا يعترفون بتعيين ميلون وصيا رسميا على الملك بلدوين الرابع ، وأن ميلون كان له تأثير استطاع أن يمارسه على الشاب الصغير[٢] • رغم أن وليم الصورى أشار صراحة الى وصاية ميلون دى بلانسى[٣] ولا شك أن وليم الصورى كان يعرف أسرار البلاط الملكى بحكم وظيفته فقد كان مستشار المملكة فى عام ١١٧٤ م •

تعرض ميلون دى بلانسى لمناوأة الحزب المعارض ، ونشأت عداوة خطيرة بين هذا النبيل وبعض بارونات المملكة ، ورفضوا التعاون معه ولم يجتمعوا به وقد احتقره الجميع ، فقد كان متغطرسا مزهوا بنفسه ، ولقد أشار وليم الصورى بأن النبلاء الذين كانوا يساندون الملك بلدوين الرابع كانوا على استعداد لمساعدته والتعاون معه ، الا أن ميلون أدار شئون المملكة دون الرجوع اليهم ، وكانت جميع الأمور تجرى طبقا لرغبته ، رغم أنف الجميع ، ولذلك فقد تآمر البعض سرا للقضاء عليه ، وعندما سمع ذلك لم يهتم كثيرا واستمر فى تصرفاته التى أغضبت الكثيرين وبينما كان يسير فى أحد شوارع عكا طعنه شخص مجهول طعنة أودت بحياته • وقد اختلف الرأى العام فى سبب قتله ، فقد اعتقد البعض بأنه قتل بسبب اخلاصه الشديد للملك ، والبعض الآخر كان على النقيض من

---

(٢) ذكر لامونت أن وليم الصورى وبجنت هما اللذان قررا بأن ميلون دى بلانس كان وصيا على الملك بلدوين الرابع ولم يرد شىء فى المصادر الأخرى أو الوثائق وأيضا ذكر رانسمان بأنه لم يكن هناك وصى قبل وصاية ريموند الثالث • انظر :

— La Monte : op. cit., pp. 26—27.

— Runciman : op. cit., pp. 404—405.

(3) William of tyre : op. cit., p. 400.

ذلك ، حيث قالوا أنه كان يعد العدة سرا للاستيلاء على مملكة بيت المقدس ، وأنه أرسل يطلب المساعدة من فرنسا(٤) •

ومهما يكن من أمر فان وليم الصورى لاذ بالصمت ولم يمدنا بمعلومات تفيد بأنه تم القبض على القاتل وأنه جرت محاكمته ، وما هى الدوافع التى أدت الى ارتكاب هذه الجريمة ؟ ويبدو واضحا أن سبب قتله هو الأسلوب الذى لجأ اليه فى معاملته مع النبلاء ، والحقد والحسد من حاشية الملك نظرا لما تمتع به من مكانة خاصة عند الملك بلدوين الرابع الذى كان لا يرفض له طلبا ، ويبدو أن الحزبين فى مملكة بيت المقدس اتفقا على التخلص منه •

وكان ريموند الثالث أمير طرابلس يطالب فى ذلك الوقت بالوصاية على مملكة بيت المقدس ، والحراسة على الملك بلدوين الرابع ، وكانت قوانين بيت المقدس تقف بجانبه ، لأنه أقرب الناس من جهة الأب بالنسبة للملك الصغير(٥) • وأيضا فان مدينة طرابلس قريبة من بيت المقدس وتقع فى منتصف الطريق بين أنطاكية فى الشمال ، والتى تعتبر مستقلة عمليا عن بيت المقدس •

والاقطاعات التى تقع جنوب نهر الكلب والتى كانت تعتمد مباشرة على بيت المقدس ، وقد أضاف ريموند الثالث سببا آخر علاوة على قرابته الى الملك الصغير ، وهو أنه عندما تم أسره بمعرفة المسلمين أمر أن تؤول

---

(4) William of tyre : op. cit., p. 400—402.

(٥) تزوج بونز أمير طرابلس أرملة تنكريد أمير انطاكية وكانت تسمى سيسل Cecile ابنة فيليب ملك فرنسا وانجب منها ريموند الذى عرف بريموند الثانى وقد تزوج ريموند الثانى من هودرنا Hodierna بنت ملك بيت المقدس بلدوين الثانى والتى انجبت ريموند الثالث .

انظر :

— William of tyre : op. cit., p. 403.

جميع ثروته وممتلكاته الى الملك عمورى الأول[٦] • وكانت حاشية الملك مترددة فى اجابة ريموند الى طلبه، حيث طلبوا منه مهلة لدراسة مطالبه فى وقت قريب عندما يجتمع النبلاء ويتشاورون فى هذا الأمر ، ولذلك غادر ريموند الثالث على الفور بيت المقدس الى امارته ، وكان يقف معه فى مطالبه العادلة كثير من النبلاء ، ومن بين الذين وقفوا الى جانبه همفرى Hamphery صاحب تورون وكندسطبل المملكة وبلدوين Baldwin صاحب رام الله وأخوه باليان Balian ورينود صاحب صيدا وكل الأساقفة كانوا موالين لريموند[٧] •

عاد ريموند الثالث الى بيت المقدس لكى يتلقى الرد على طلباته السابقة بالنسبة للوصاية على بيت المقدس ، والحراسة على الملك القاصر، وبعد مناقشات فى المحكمة العليا استمرت يومين ، أقرت المحكمة وصاية ريموند الثالث كونت طرابلس وذلك فى خريف عام ١١٧٤ فى نفس الوقت الذى تم فيه اغتيال ميلون دى بلانس فى شوارع عكا[٨] • ونلاحظ أن المناطق التى كانت تعارض فى البداية حكم الملك عمورى الأول هى التى

---

(٦) ونلاحظ أن قيام ملك بيت المقدس بالوصـــاية بامارة طرابلس فى حالة وفاة أميرها و اسره ، لا يرجع لوجود علاقات اقطاعية بين امارة طرابلس وبيت المقـــدس ، لأن امارتها لم تكن تابعة مباشرة لملك بيت المقدس ، انما سبب هذه الوصاية على الامارة راجع لوجود صلة القرابة ، وقد قام عمورى الأول بادارة شئون امارة طرابلس عندما تم أسر ريمـــوند الثالث فى عـــام ١١٦٤ م بمعرفة نور الدين محمود ، لأن الملك عمورى بن خالة ريموند الثالث وهى الملكة مليسند ، ولذلك نجد أن الملك بلدوين الأول لم يقم بالوصاية على امارة طرابلس عندما كان بونز قاصرا •

انظـــر :

— Richard : Le comte , de tripoli, pp. 33—34.

(7) William of tyre : op. cit., pp. 400—401.
— La Monte : op. cit., p. 188.

(8) William of tyre : op. cit., p. 402.
— La Monte : op. cit., p. 27.

وقفت تساند وتعاضد ريموند الثالث ولذلك فان وصول ريموند الثالث الى الوصاية يعتبر انتصارا للحزب الذى كان قد كونه الملك بلدوين الثالث لمناهضة أمه مليسند •

وفى الوقت الذى نشب فيه النزاع والخلاف فى مملكة بيت المقدس كان صلاح الدين الأيوبى قد استقر فى مصر بعد أن قضى على الثورات الداخلية بها ولقد ساعدته الظروف اذ مات نور الدين محمود فجأة بينما كان يعد العدة للقيام بحملة لأخذ مصر منه ولما مات نور الدين محمود وصل الى الحكم ابنه الملك الصالح اسماعيل وكان عمره فى ذلك الوقت احدى عشرة سنة واعترف به الأمراء فى دمشق وأقام بها ، وأيضا اعترف به صلاح الدين الأيوبى وبعث يعزيه ويهنئه بالملك ، ولقد تولى تربية الملك الصالح اسماعيل ابن المقدم(٩) •

لم يرض صلاح الدين الأيوبى أن يتولى ابن المقدم تربية الصالح اسماعيل لأنه رأى فى ذلك تفريق لكلمة المسلمين وانفصال مصر عن الشام الأمر الذى يؤدى الى طمع الصليبيين ، ورأى أنه هو أحق من ابن المقدم للقيام بتربية الصالح اسماعيل ، وعندما علم ابن المقدم بنية صلاح الدين أرسل اليه محذرا حتى لا يظن الناس أن صلاح الدين يطمع فى ملك نور الدين محمود ، والواقع أن كل هم صلاح الدين كان العمل على جمع كلمة المسلمين حتى يستطيع طرد القوى الصليبية من بلاد الشام • ولذلك لم يلتفت الى ما قاله ابن المقدم ، ولكن وصول أسطول من جزيرة صقلية الى الاسكندرية أدى الى تأجيل سير صلاح الدين الى دمشق ، وكان هذا الأسطول نتيجة لدعوة الملك عمورى الأول لملوك الغرب لتقديم المساعدة ، الا أن هذا الأسطول لم تسانده جيوش برية من مملكة بيت المقدس طبقا للخطة الموضوعة ، نظرا لموت الملك عمورى • وكان أسطولا ضخما قد تمكن

---

(٩) ابن شداد : المصدر السابق ص ٤٧ •

— ابن الاثير : المصدر السابق ص ٤٠٤—٤٠٥ •

من انزال قواته فى مدينة الاسكندرية ، وكانت هذه القوات ثلاثين ألف مقاتل ، ما بين فارس وراجل • وضربت الحصار على المدينة من جهة الساحل ، ونصبوا المجانيق والآلات الحربية ، وضغطوا على المدافعين حتى وصلوا الى سور المدينة ، غير أن الأهالى وحامية لاسكندرية أظهروا شجاعة نادرة وهزموا الصليبيين وأجبروهم على الفرار[١٠] (ورأى الفرنج من شجاعة أهل الاسكندرية وحسن سلاحهم ما راعهم)[١١] وهكذا فشلت حملة ملك صقلية •

بعد أن تخلص صلاح الدين الأيوبى من الخطر الصليبى والثورات الداخلية واستقرت الأمور فى مصر ، عزم على السير الى بلاد الشام وكان أمراء الشام لا يرغبون فى تدخل صلاح الدين ، وقد اتصل ابن المقدم حاكم دمشق والوصى على الصالح اسماعيل بالصليبيين ، يطلب منهم المساعدة ضد صلاح الدين الأيوبى ، ولكن لم يستطع الصليبيون أن يقدموا المساعدة التى كانوا يقدمونها فى الماضى الى حكام دمشق ، وعندما فشل ابن المقدم فى الحصول على مساعدة الصليبيين لجأ الى سيف الدين حاكم الموصل لانقاذه من صلاح الدين ، ولكن كان سيف الدين مشغولا فى ذلك الوقت فى الجزيرة • ثم ضغط أهل دمشق على ابن المقدم لكى يستدعى صلاح الدين الأيوبى (وخاف بعضهم من بعض فقبض البعض على جماعة منهم وكان ذلك سبب خوف الباقين ممن فعل ذلك وسببا لتغير قلوب الناس نحو الصبى ، فاقتضى الحال أن كاتب ابن المقدم صلاح الدين الأيوبى)[١٢] • وتحرك صلاح الدين الأيوبى فى عام ١١٧٤ م بجيش كبير الى بلاد الشام وفتحت دمشق أبوابها واستقبله سكانها بفرح شديد،

---

(١٠) ابن شداد : المصدر السابق ، ص ٤٨—٤٩ .
— أبو شامة : المصدر السابق ، ص ٥٩٧ — ٥٥٩ .
— William of tyre : op. cit., p. 399.

(١١) ابن الاثير : المصدر السابق ، ص ٤١٢—٤١٣ .

(١٢) ابن شداد : المصدر السابق ، ص ٥٠ .

واستلم قلعة المدينة ، وأعلن بأنه جاء لتربية الصالح اسماعيل وحفظ ماله . ثم توجه بعد ذلك الى حمص وحماة واستولى عليها[١٣] .

أما موقف الصليبيين من صلاح الدين وتحركاته التى كانت أساسا موجهة ضدهم فانهم عجزوا أن يحركوا ساكنا (أما الفرنج خذلهم الله فانا فى هذه السفرة المباركة نزلنا فى بلادهم نزول المتحكم ، وأقمنا بها اقامة الحاضر ، وأدلجنا وعيونهم متناومة وحزنا وأنوفهم راغمة)[١٤] .

وكان الصليبيون منشغلين بموضوع الوصاية على الملك بلدوين الأبرص وما ترتب عليها من صراع الأمر الذى شل حركتهم فى مواجهة خطط صلاح الدين الأيوبى ، ففى الوقت الذى بدأ فيه صلاح الدين الأيوبى يوسع ممتلكاته كانت مملكة بيت المقدس تواجه الأزمات ، فقد مات عمورى وترك الصليبيين دون أن تكون لهم قوة ، فقد كان الوريث بلدوين الأبرص وأخته سبيلا Sbella التى كانت تبلغ من العمر أربعة عشر عاما ، وكانت لا تزال بدون زواج . أما زوجة عمورى الثانية ماريا كومنين فقد رزقت ببنتين احداهما ماتت والأخرى كانت حينذاك تبلغ من العمر سنتين وهى ازابيلا Isabilla وكانت العداوات الشخصية أقوى من الخلافات السياسية ، وكانت المشاجرات العائلية مريرة للغاية ، لقد كانت الزوجتان اللتان تركهما عمورى تكره كل منهما الأخرى ، وانضمت أجنس كورتيناى زوجة عمورى الأولى[١٥] الى حزب البلاط فى حين انضمت ماريا كومنين الزوجة الثانية الى الحزب المعارض .

---

(١٣) أبو شامة : المصدر السابق ، ص ٦٠٤ .
— ابن الاثير : المصدر السابق ، ص ٤١٥—٤١٧ .
— William of tyre : op. cit., p. 404.
— Runciman : op. cit., p. 404.

(١٤) ابو شامة : المصدر السابق ، ص ٦٠٣ .
(75) William of tyre : op. cit., p. 404.
— Runciman : op. cit., pp. 405—406.
— Setton : op. cit., pp. 590—91.

لم يستطع ريموند أن يفعل شيئا كثيرا للصليبيين عندما وصل الى منصب الوصاية على مملكة بيت المقدس فى خريف عام ١١٧٤ م ، وكان ريموند الثالث فى ذلك الوقت يبلغ من العمر أربعة وثلاثين عاما ، امتاز بالحزم والنشاط واليقظة ورباطة الجأش وكان حكيما بعيد النظر ، واستطاع أن يطلع كثيرا أثناء أسره الطويل عند المسلمين كما تعلم اللغة العربية ودرس معاملة المسلمين وعرف الكثير عنهم • ويصف الرحالة ابن جبير عند زيارته لمدينة عكا وصاية ريموند بقوله (وحاجبه وصاحب الحال عوضه خاله القومس وهو صاحب المجبى واليه ترتجع الأموال والمشرف على الجميع بالمكانة والوجاهة وكبر الشأن فى الأفرنجية اللعينة للقمس اللعين صاحب طرابلس وطبرية وهو ذو قدر ومنزلة عند الفرنج وهو المؤهل للملك والمرشح له وهو موصوف بالدهاء)[١٦] •

وكان لريموند أصدقاء يساندون سياسته غير أنه فى نفس الوقت كان له أعداء ، ولقد برز فى هذه الفترة حزبان : الحزب الأول يتكون من البارونات المحليين وهيئة فرسان الاسبتارية ، وهذا الفريق من الصليبيين كان يساند ريموند ، والحزب الثانى يتألف من الصليبيين الجدد القادمين من الغرب وهيئة فرسان الداوية[١٧] •

---

(١٦) ابن جبير : رحلة ابن جبير ، ص ٢٩١—٢٩٢ •

(17) William of tyre : op. cit., pp. 403—404.

— Runciman : op. cit., pp. 405—406.

— Setton : op. cit., pp. 591—92.

أشار المؤرخ مرشال بلدوين بأنه غير معروف أصل وتطور هذين الحربين سوى أن أحدهما يعرف بحزب البارونات المستوطنين والآخر بحزب القادمين الجدد . انظر :

Marchal Baldwin : The decline and fall of the jergsalem, pp. 591—92 in A hist of the crusades vol. I edited by setton.

يرجع أصل تكوين الأحزاب فى مملكة بيت المقدس الى أيام الملك فولك والملكة مليسند ، فقد نشأ حزبان فى ذلك الوقت أحدهما يساند الملك فولك والآخر يساند الملكة مليسند ويرى أحقيتها فى الاشتراك فى الحكم مع الملك فولك ، وكان حزب مليسند يتزعمه أحد أقارب الملك بلدوين الثانى وهكذا انقسم بارونات مملكة بيت المقدس الى حزبين ثم أخذ هذان الحزبان يتطوران • ففى عهد بلدوين الثالث رأت مجموعة كبيرة من بارونات المملكة وجوب نقل السلطة من مليسند ذالوصية الى الملك الشرعى بلدوين الثالث وتزعم الحزب الاخر الذى كان يرى بقاء مليسند فى الحكم ما نسيه كندسطبل المملكة وهو أحد القادمين الجدد • وبطبيعة الحال كان هناك عدد من البارونات الوطنيين مع الملكة مليسند ، وكان عمورى الأول من أكبر أنصار حزب الملكة مليسند ولقد ناصر هذا الحزب عمورى عندما وصل الى عرش المملكة ، بينما ناهضه الحزب الاخر • وعندما مات الملك عمورى سيطر حزبه على الملك بلدوين الرابع واستغل هذا الحزب مرض الملك الجديد لتسخير الحكومة لتحقيق مصالحه الشخصية •

ولعبت أم الملك اجنسى كورتيناى دورا أدى الى سيطرة القادمين الجدد على حزب البلاط الملكى ومن هنا اكتسب اسمه • أما هيئتى فرسان الاسبتارية والداوية فقد وقفتا فى البداية على الحياد وأخذ كل من الحزبين يحول جذبهما اليه بشتى الطرق ولقد وقفت هيئة فرسان الداوية مع الحزب المعارض لريموند الثالث وذلك لوجود خلافات شخصية •

بعد أن استولى صلاح الدين الأيوبى على حمص وحماة توجه الى مدينة حلب غير أن صاحبها أغلق الأبواب خوفا من صلاح الدين ، وأرسل الحلبيون الى طائفة الاسماعيلية يحرضونهم على قتل صلاح الدين الأيوبى ، الا أن محاولة الحشاشين فشلت ، ثم استعان صاحب حلب بالصليبيين • وبعد مناقشات طويلة مع البارونات قرر ريموند الثالث الذهاب على رأس جيش على وجه السرعة الى حمص محاولا بذلك وقف

تقدم صلاح الدين الأيوبى ، وضرب الصليبيون الحصار حول مدينة حمص، وعندما سمع صلاح الدين الأيوبى بذلك رفع الحصار من مدينة حلب وأسرع لانقاذ مدينة حمص من خطر الصليبيين وكان ذلك فى مارس سنة ١١٧٥ م ، غير أن ريموند الثالث لم يبق فى حمص ليقابل صلاح الدين ووصل صلاح الدين الأيوبى الى حمص واستولى على بعلبك • وتحقق غرض الحلبيين برحيل صلاح الدين عن حلب ، واعترافا بفضل الصليبيين قام حاكم حلب باطلاق سراح ريجنالد شاتيون (أرناط) وجوسلين الثالث أمير الرها وبعض الأسرى الصليبيين الآخرين(١٨) •

رأى صلاح الدين الأيوبى أن استعانة أمراء الشام بالصليبين تمثل خطورة على المسلمين وتقف عقبة فى تنفيذ خططه ، لذلك أرسل رسالة للخليفة العباسى يبين له الجهود التى بذلها فى خدمة الخلافة العباسية ، وأنه حارب فى مصر فى جبهتين : أعوان الخلافة الفاطمية فى الداخل ، والصليبيين فى الخارج الذين كانوا يحلمون باخضاع مصر لنفوذهم ، وطلب منه تقليدا عاما على مصر والشام والمغرب واليمن (وكل واحد يتخذ عند الافرنج يدا ويجعلهم لظهره سندا • والمراد هو كل ما يقوى الدولة ويؤكد الدعوة ويجمع الأمة ويحفظ الألفة ويضمن الرأفة ويفتح بقية البلاد)(١٩) •

أثارت انتصارات صلاح الدين حقد سيف الدين صاحب الموصل ، فقد استولى صلاح الدين على معظم بلاد الشام ، لذلك أرسل أمير الموصل جيشا ضخما الى حلب بقيادة أخيه عز الدين مسعود ، وانضم الى جيش الموصل جيش حلب ، وساروا للقاء صلاح الدين ، وحاول

---

(18) William of tyre : op. cit., p. 405.
— Runciman : op. cit., pp. 407—408.

— ابن الاثير : المصدر السابق ، ص ٤١٨ •
— أبو شامة : المصدر السابق ، ص ٦٥٠-٦٥١ •

(١٩) أبو شامة : المصدر السابق ، ص ٦٢٢-٦٢٣ •

صلاح الدين أن يتحاشى القتال وعرض عليهم تسلم حمص وحماة ، على أن يحتفظ بمدينة دمشق كتائب للصالح اسماعيل ، غير أن الحلبيين رفضوا ذلك العرض وطلبوا تسلم جميع البلاد التى استولى عليها صلاح الدين فى بلاد الشام والعودة الى مصر ، لذلك اضطر صلاح الدين الدخول فى معركة ، واستطاع أن ينزل هزيمة ساحقة بجيوش حلب والوصول بالقرب من مدينة حماة ، وسار خلف الجيوش المهزومة الى مدينة حلب حيث ضرب الحصار حولها ، وقطع خطبة الملك الصالح بن نور الدين وحذف اسمه من السكة فى بلاده ، وعندما طال الحصار طلبوا الصلح على أن يكون لصلاح الدين ما بيده من بلاد الشام ورحل ، وبعد أن وصل الى حماة وبعد قليل وصلت الرسل من قبل الخليفة العباسى بالتشريفات والتقليد بالبلاد التى طلبها صلاح الدين الأيوبى(٢٠) •

وكان ريموند الثالث على رأس جيوش مملكة بيت المقدس يعسكر فى السهل الذى يقع حول مدينة حلب على أمل أن يستعين به أحد الطرفين ،وفعلا فقد أرسل الحلبيون يطلبون من الصليبيين المساعدة ضد صلاح الدين الأيوبى فى مقابل مكافأة مناسبة ، أو اطلاق سراح بعض أسرى الصليبيين الذين كانوا لا يزالون فى قلعة حلب ، والذين سلمهم ريموند الثالث الى نور الدين محمود كرهائن لاطلاق سراحه ، وكضمان لمبلغ من المال مقداره ستون ألف قطعة من الذهب ، وكان ريموند يأمل فى تخليص هؤلاء الأسرى •• لذلك أسرع الصليبيون من معسكرهم لتقديم المساعدة الا أن القوات الصليبية عادت الى معسكرها الذى كانت تعسكر فيه لأنهم لم يثقوا فى الوعد الذى قطعته لهم السفارة الحلبية ، وانسحاب بهذه الصورة زاد من غطرسة وعجرفة صلاح الدين الأيوبى على حد تعبير وليم الصورى • ومن حمص أرسل صلاح الدين الأيوبى

---

(٢٠) ابن الاثير : المصدر السابق ، ص ٤٢١—٤٢٢ •

رسالة الى ريموند الثالث أمير طرابلس وقائد القوات الصليبية يطلب منه عدم التدخل فى الحروب الجارية بينه وبين أمراء الشــام ، وقد عرض صلاح الدين فى مقابل ذلك أن يطلق سراح الأسرى الصليبيين الموجودين فى قلعة حمص دون دفع فدية عنهم ، ووافق ريموند على هذا الاقتراح وتسلم الرهائن ، وهكذا فان القوات الصــليبية التى تركت المملكة فى يناير ١١٧٥ عادت الى بيت المقدس فى مايو من نفس العام[٢١] •

واتهم الصليبيون همفرى صاحب الشقيف وكندسطبل الملك والذى كان وسيطا فى تلك المفاوضات بأنه تساهل مع صلاح الدين الأيوبى لوجود علاقة وثيقة بين الاثنين[٢٢] • ويبدو واضحا بأنه كان هناك انقســام بين صفوف الصليبيين وكان هناك فريق يرى مقاومة صلاح الدين الأيوبى حتى لا تزداد قوته ، وفريق آخر كان يرى الصلح طالما أنه لم يقترب من الامارات الصليبية ، وريموند الثالث لم يقرر الذهاب الى داخل بلاد الشام فى يناير عام ١١٧٥ م الا بعد مناقشات طويلة فى المحكمة العليا ببيت المقدس ، وذلك دليل على وجود خلافات بين الصليبيين • ولقد كان الهدف من خروج القوات الصليبية للقاء صــلاح الدين الأيوبى لوقف تقدمه ، الا أن هذه القوات لم تدخل فى معركة مباشرة مع صلاح الدين ، بل ان ريموند الثالث لم يستغل الفرصة للتدخل عندما جاءت الى معسكر الصليبيين سفار من حلب تطلب منهم التدخل بسرعة ضد صلاح الدين الأيوبى ، وبعد أن تحركت القوات الصليبية لمســاعدة حلب عادت الى المعسكر مرة أخرى بحجة أن الصليبيين اكتشفوا بأنهم لا يمكن أن يثقوا بكلام الحلبيين • ولاشك أن حلب كانت جادة فى مقاومة صلاح الدين وكانت لا ترى حرجا فى سبيل ذلك للتعاون مع الصليبيين الا أن تناحر الصليبيين حال دون ذلك ، ويبدو أن الحزب المناهض لوصــاية ريموند

---

(21) William of tyre : op. cit., p. 409—411.

(22) William of tyre : op. cit., p. 409.

الثالث خشى أن يحرز ريموند نصرا يعزز مركزه ، ولذلك كانت الحملة الوحيدة التى قام بها ريموند الثالث الى شمال الشام عديمة الأهمية .

قام سيف الدين حاكم الموصل بتحريض الحلبيين على صلاح الدين الأيوبى لنقض الصلح الذى كان بينه وبينهم ، وسار الى حلب ، وكان مع صلاح الدين عدد قليل من الجيش لأنه كان قد أرسل عساكره الى مصر بعد أن عقد صلحا مع الصليبيين ، وعندما وصله خبر تحركات جيوش الموصل أرسل يستدعى جيوشه من مصر ، وتأخر سيف الدين فى الهجوم على صلاح الدين ، وعندما وصلت الجيوش من مصر سار صلاح الدين الأيوبى الى حلب لقاء سيف الدين ، وتعرضت جيوش الموصل وحلب للهزيمة وفر سيف الدين الى حلب ، وترك معسكره وفيه خزائنه وجواريه وحظاياه وكثير من المغنين والمغنيات وآلات الطرب[٢٣] ولم يبق فى حلب بل ترك فيها أخاه عز الدين مسعود ، وعبر الفرات الى الموصل وحاصرت جيوش صلاح الدين حلب عدة أيام ثم قام صلاح الدين بفتح البلاد التى تقع حول حلب وهى بزاعة ومنبج ، ثم اتجه الى عزاز وضرب حولها الحصار ونصب عليها عدة مجانيق ، وبينما كان صلاح الدين الأيوبى محاصرا لقلعة عزاز دخل عليه فى خيمته أحد أفراد الحشيشية ، ووثب عليه وضربه فى رأسه بسكين وجرح صلاح الدين الأيوبى ونجا من الموت بأعجوبة ، واستولى على قلعة عزاز بعد حصار دام ثمانية وثلاثين يوما[٢٤] .

---

(٢٣) قال ابن الاثير أن العماد الكاتب ذكر فى كتابه البرق الشامى فى تاريخ الدولة الصلاحية بأن جيوش سيف الدين كانت فى هذه المعركة عشرين الف فارس غير أنه فى الحقيقة كان جيش سيف الدين يزيد على ستة آلاف فارس .

انظر ابن الاثير : المصدر السابق ، ص ٤٢٩ .

(٢٤) أبو شامة : المصدر السابق ص ٦٥٢ — ٦٦١ .

— ابن الاثير : المصدر السابق ص ٤٢٧ — ٤٣١ .

بعد أن استولى صلاح الدين على قلعة عزاز سار الى مدينة حلب وضرب حولها الحصار فى الخامس عشر من ذى الحجة سنة احدى وسبعين وخمسمائة (يونية ١١٧٦ م) وقاوم أهالى حلب الحصار مقاومة شديدة ، ومنع صلاح الدين الخروج من المدينة والدخول اليها وقد خاف الحلبيون أن يطول الحصار وتضعف قوتهم ، وأيضا رأى صلاح الدين أنه لا يستطيع اقتحام المدينة ، ولذلك تم الصلح بين الطرفين ودخل فى هذا الصلح أمير الموصل وأعاد صلاح الدين قلعة عزاز الى الملك الصالح اسماعيل اكراما لابنة صغيرة من بنات نور الدين محمود ، وقد أراد صلاح الدين أن ينتقم من طائفة الاسماعيلية التى حاول أحد أفرادها الاعتداء على حياته ، فسار الى بلادهم وقتل منهم أعدادا كبيرة ، ثم عاد صلاح الدين الى القاهرة فى سبتمبر ١١٧٦ م[٢٥] .

وعام ١١٧٦ م الذى عاد فيه صلاح الدين الأيوبى الى مصر يعتبر من الأعوام الحاسمة فى تاريخ الحركة الصليبية ، فقد شهد هذا العام أحداثا كان لها تأثير خطير فى الكيان الصليبى ، ففى هذا العام عاد الى صفوف الصليبيين ريجنالد شاتيلون بعد سنوات طويلة من الأسر فى مدينة حلب حيث أطلق سراحه حاكم المدينة ، وعاد معه جوسلين الثالث أمير الرها سابقا ، وخال الملك بلدوين الرابع ، وفى هذه السنة تعرض مانويل كومنين لكارثة ، فقد أراد أن يمد نفوذه فى آسيا الصغرى ودارت معركة ميروكفاليون Myrokephalion بينه وبين سلطان قونية قلج أرسلان الثانى ، وتعرضت القوات البيزنطية لمذبحة رهيبة قتل فيها معظم الجيش البيزنطى ، ونجا الامبراطور مانويل كومنين بصعوبة بالغة ولم تقم للجيش البيزنطى قائمة بعد هذه المعركة ، وظل مانويل كومنين حزينا حتى وفاته فى عام ١١٨٠ م[٢٦] .

---

(٢٥) أبو شامة : المصدر السابق ، ص ٦٦١—٦٦٨ .
— Settou : op. cit., p. 594.
(26) William of tyre : op. cit., pp. 414—415.
— Runciman : op. cit., p. 412—414.
— Setton : op. cit., p. 594.

أخذ بلدوين الرابع يقترب من أسرة كورتيناى ، وذلك لصلة النسب، فقد جعل خاله جوسلين يشغل وظيفة سنشال المملكة فى عام ١١٧٦ م وقد عادت أمه اجنس كورتيناى الى البلاط الملكى ، وأخذت تلعب دورا مؤثرا فى سياسة المملكة ، وساهمة فى انهيارها فقد كانت امـرأة قد اتصفت حياتها بالخلاعة والمجون ، ولم تسمح لأحد أن يربى ابنها ، فقد كان بلدوين قد ترك لعناية وليم الصورى وسبيلاً الى عمتها وهى أمرأة غاضلة ولكن تدخلت اجنس فى حياة طفليها وسيطرت على سبيلا وانحاز بلدوين الرابع الى أمه[٢٧] •

توقف ريموند الثالث عن الوصاية فى عام ١١٧٦ م لوصول بلدوين الرابع سن الرشد ، بالرغم من أن المملكة كانت فى مسيس الحاجة لخدمات رجل مثل ريموند الثالث ، ذلك لأن الملك بلدوين الرابع اشتد مرضه فى هذه الفترة ، وكانت المملكة معرضة لخطر صلاح الدين الأيوبى ، غير أن الحزب المعارض كان لا يرغب فى استمرار ريموند الثالث ، وعلى رأسه اجنس كورتيناى وجوسلين وريجنالد شاتيلون ، وانضمت اليهم هيئـة فرسان الداوية بسبب خلافات شخصية قديمة بين جيرارد رئيس هذه الهيئة وريموند الثالث ، فقد جاء جيرارد من الغرب الى طرابلس فى عام ١١٧٣ م وخدم كتابع لريموند الثالث ، وقد وعده ريموند بأنه سـوف يزوجه بأول وريثة مناسبة فى امارته ، ولكن عندما مات أحد النبـلاء بعد وصول جيرارد بقليل وترك أراضيه لابنته ، تجاهل ريموند جيرارد وزوجها لأحد البيزيين الأغنياء ، ولقد غضب جيرارد وانضم الى هيئة فرسان الداوية وأصبح عضوا مؤثرا فى هذه الهيئة ، ولم ينس هـذا الموقف لريموند الثالث[٢٨] •

---

(27) Runciman : op. cit., p. 407.

(28) Runciman : op. cit., p. 406.
— La Monte : op. cit., p. 28.

وعندما تدهورت صحة بلدوين الرابع فكر مع باروناته للبحث عن زوج لأخته سبيلا ، وذلك للاحتفاظ بالسلالة الملكية بدلا من اعضاء الفرصة اريموند الثالث أمير طرابلس ، وهو أكفأ من يستطيع أن يشغل منصب الملك فى ذلك الوقت العصيب الذى كانت تتعرض فيه مملكة بيت المقدس لأخطار داخلية وخارجية ، وقد تمخض هذا البحث عن وصول وليم وكنيته لونج سورد Long Sword الابن الأكبر لوليم ماركيز مونتفرات بدعوة من الملك بلدوين الرابع وجميع البارونات وذلك فى أوائل أكتوبر ١١٧٦م ، وبعد وصوله بأربعين يوما تم زواجه من سبيلا أخت الملك بلدوين الرابع ، ومنح وليم مونتفرات مدينتى يافا وعسقلان وملحقاتها ، ولكن وليم مونتفرات مات فى يونية ١١٧٧ م ، وذلك بسبب مرض خطير أصابه وقد ترك زوجته وفى بطنها طفل وهو الذى عرف فيما بعد بلدوين الخامس(٢٩) .

ووصل فى أغسطس من نفس العام فيليب صاحب فلاندرز وقريب الملك بلدوين الرابع ، وكان معه عدد كبير من الفرسان ، ولم يستطع الملك بلدوين الرابع مقابلته عند وصوله لمرضه ، ولذلك أرسل اليه بعض باروناته للترحيب به ، وكان هناك شبه اجماع من بارونات المملكة ورجال الدين وهيئتى فرسان الاسبتارية والداوية بأن يتولى فيليب صاحب فلاندرز الوصاية على مملكة بيت المقدس وتمنح له جميع الصلاحيات لادارة المملكة دون قيد أو تحفظ ، غير أن فيليب بعد أن درس الموضوع مع أتباعه رفض هذا العرض ، وأعلن أنه لم يأت الى الشرق لاستلام السلطة ، انما أتى للحج والعبادة ، وأيضا رفض قيادة حملة كان الصليبيون يخططون للقيام بها ضد مصر بالتعاون مع الأسطول البيزنطى ، وعندما فشل الصليبيون فى اقناع فيليب كونت فلاندرز ، قرر الملك بلدوين

---

(29) William of tyre : op. cit., p. 415

— Setton : op. cit., p. 503.

الرابع تعيين ريجنالد شاتيلون وصيا على مملكة بيت المقدس وقائدا أعلى للجش الصليبى[٣٠] .

حاول الصليبيون اقتناع كونت فلاندرز للقيام بحملة ضد صلاح الدين الأيبوى فى مصر بعد أن وصلت السفارة البيزنطية ، وأبدت استعدادا كاملا باشتراك الأسطول البيزنطى بكل امكاناته تنفيذا للمعاهدة التى عقدت منذ عهد الملك مورى ، غير أن فيليب كونت فلاندرز أخذ ينتحل شتى الأعذار لتأجيل هذه الحملة ، ورفض فى النهاية رفضا قاطعا أن يذهب الى مصر بحجة أنه لا يعرف الأراضى المصرية ، ولذلك فانه لا يستطيع أن يتحمل مثل هذه المسئولية ، وبذلك فاتت فرصة التعاون بين الصليبيين والبيزنطيين لتوجيه ضربة ضد صلاح الدين الأيوبى فى مصر ، وهكذا عادت السفارة البيزنطية بعد أن مكثت حوالى شهر فى بيت المقدس ، وانسحب الأسطول البيزنطى الضخم الذى كان راسيا فى شاطىء عكا[٣١] .

توجه فيليب كونت فلاندرز فى نهاية أكتوبر ١١٧٧م مع مجموعه من فرسان الاسبتارية الى مدينة طرابلس ، ووافق أن يقوم مع ريموند أمير طرابلس وبوهيمند أمير أنطاكية بحملة ضد مدينة حماة منتهزين مرض حاكمها ، غير أن هجوم الصليبيين فشل على مدينة حماة وتقهقرت قواتهم ، ويبدو أن هذا التعاون الذى حدث بين فيليب وريموند الثالث وبوهيمند جعل وليم الصورى يعتقد أن ريموند وبوهيمند عارضا قيام حملة ضد مصر ، ولم يشجعا فيليب كونت فلاندرز للقيام بالحملة ، ثم ذهب فيليب الى أنطاكية واشترك مع بوهيمند وريموند فى ضرب الحصار

---

(30) William of tyre : op. cit., p. 415—418.
— Setton : op. cit., p. 593.

(31) William of tyre : op. cit., p. 421—423.
— Setton : op. cit., p. 595.
— La Monte : op. cit., p. 29.

حول مدينة حارم ، ووافق الصليبيون على رفع الحصار عندما سمعوا بوصول صلاح الدين الأيوبى الى بلاد الشــام ، وعاد فيليب الى بيت المقدس لحضور احتفال رأس السنة ، ثم استعد للعودة الى بلاده وأبحر من مدينة اللاذقية لزيارة القسطنطينية ومنها عاد الى أوروبا(٣٢) • ويتضح من ذلك أن وصول كونت فلاندرز الذى طال انتظاره بالنسبة للصليبيين لم يقدم لهم شيئا يذكر بسبب انقساماتهم الداخلية ، وعجز الملك عن اختيار رجل مناسب لتحقيق آماله ، ويبدو أن فيليب كونت فلاندرز كان يشك فى كفاءة ريجنالد شاتيلون الذى اختاره الملك بلدوين فى ذلك الوقت قائدا للجيش الصليبى •

وبينما كان صلاح الدين يستعد فى مصر لصد الهجوم الذى كانت القوات الصليبية والأسطول البيزنطى تنوى القيام به ضد مصر وصلته الأخبار بانهيار الحلف الصليبى البيزنطى ، وبأن فيليب كونت فلاندرز توجه الى شمال الشام للاســتيلاء على مدينة حـــارم ، ولذلك جمـــع صلاح الدين الأيوبى قواتا ضخمة لغزو الشاطىء الفلسطينى ، ووضع بذلك صلاح الدين الأيوبى الصليبيين أمام خيارين : اما أن يرفعـــوا الحصار عن حارم أو غزو أراضى الصليبيين الخالية من القوات ولقد أضطر الصليبيون الى رفع الحصار عن حارم كما سبق ورأينا • ووصلت قوات صلاح الدين الأيوبى الى مدينة العريش وترك بها أمتعة الجيش الثقيلة وأخذ معهم قوات مسلحة تسليحا خفيفا ، ومر صـــلاح الدين الأيوبى على حصن غزة دون أن يحاول الاشتباك مع فرســـان الداوية التى كانت تتمركز داخل الحصن للدفاع عنه ، واتجهت القوات المصرية مباشرة الى مدينة عسقلان غير أن الملك بلدوين الرابع استطاع أن يدخل المدينة قبل أن يصل اليها صلاح الدين الأيوبى(٣٣) •

---

(32) William of tyre : op. cit., p. 424—426, 435.

— Runciman : op. cit., p. 415—416.

(33) William of tyre : op. cit., pp. 426—427.

— Runciman : op. cit., p. 416.

وتحصن الصليبيون داخل مدينة عسـقلان ورفض الملك أن يدخله فى معركة مباشرة مع صلاح الدين الأيوبى نظرا لتفوق القوات الاسلامية فى العدد والعتاد ، وحدثت بعض المناوشات أمام مدينة عسـقلان ، وانتشرت قوات صلاح الدين فى المناطق المجاورة للمدينة ، ولم يجـد أية مقاومة ثم ترك صلاح الدين بعض القوات تحاصر الملك فى عسقلان، واتجه مع القوات الباقية الى بيت المقدس ، وتقدمت بعض القوات الى رام الله وقد هرب سكان هذه المدينة خوفا من المسلمين ، ثم توجهت هذه لقوات الى مدينة اللد وقد أحاطوا بها من جميع الجهات وأخذوا يرمونها بالسـهام والنبال ولجأ السكان الى كنيسة المدينة للاحتماء بها ، ولقد انتشر الذعر بين الصليبيين ليس فقط فى هذه المنطقة التى أخذت الجيوش الاسلامية تصول وتجول فيها ، بل ان سكان بيت المقدس فكروا فى ترك المدينة[٣٤] •

وبينما كانت هذه الأحداث تجرى فى أراضى الصليبيين وصـلت الأخبار الى الملك بلدوين الذى استطاع أن يخرج بقواته من عسـقلان على عجل ، للدخول فى معركة مع صلاح الدين الأيوبى مشـكوك فى نجاحهـا ، وسارت القوات الصليبية محاذية لشـاطىء البحر خلسـة لمفاجأة قوات صلاح الدين الأيوبى ، ولقد انضمت الى قوات الملك قوات فرسان الداوية التى كانت فى غـزة ، وفاجأ الصليبيون صـلاح الدين الأيوبى فى معسكره ، وحاول صلاح الدين جمع قواته التى كانت منتشرة لجمع الغنائم غير أنه لم يصل اليه الا عدد قليل منها ، وهزمت القوات الاسلامية ، وأخذ الصليبيون فى تعقب فلول القوات المهزومة ، وقد نجا صلاح الدين من الموت بصعوبة وسار الى مصر فى عدد قليل من أتباعه، أما الجنود الذين كانوا قد توغلوا فى داخل بلاد الصليبيين ، فان معظمهم ذهب ما بين قتيل وأسير ، وقد سمت المصادر العربية هذه المعركة بهزيمة الرملة فى ٢٥ نوفمبر ١١٧٧ م (٥٧٣ هـ) •

---

(34) William of tyre : op. cit., p. 428.

وقد عاد الملك بلدوين الرابع الى بيت المقدس منتصرا ، غير أن هذا النصر لم يغير شئيا بالنسبة للقوى الاسلامية ، اذ أن الصليبيين ظلوا بعيدين عن الأمان ، واستطاع صلاح الدين أن يعوض خسائره بسرعة لأن مصر كانت تمتلك قوة بشرية ومادية هائلة(٣٥) .

اشترك فى هذه المعركة مع الملك بلدوين الرابع ريجنالد شاتيلون أمير الشوبك والكرك ، وبلدوين أمير رام الله وأخوه باليان وريند أمير صيدا وجوسلين خال الملك وكندسطبل المملكة ، رئيس هيئة فرسان الداوية ومعه ثمانين من فرسانه ، أما فيليب كونت فلاندرز وريموند الثالث أمير طرابلس وبوهيمند أمير أنطاكية فانهم لم ينالوا شرف الاشتراك فى هذه المعركة على حد تعبير وليم الصورى ، ويبدو أن هذا الانتصار بعث الثقة فى نفس الملك بلدوين الرابع ، لأنه عدل عن اختيار وصى لتصريف شئون المملكة بعد أن رفض فيليب كونت فلاندرز عن القيام بهذا المنصب واحتفظ بلدوين لنفسه بجميع السلطات فى المملكة(٣٦) .

وفى أوائل عام ١١٧٩ م بعد أن أكمل الملك بلدوين الرابع بناء أحد الحصون المنيعة بالقرب من بانياس ، ويسمى ذلك الحصن بمخاضة الأحزان . وصلت الأخبار بأن مجموعة من المسلمين يتجولون بقطعان من ماشيتهم باحثين عن المراعى فى غابة بالقرب من بانياس ويسيرون دون أن يرافقهم رجال مقاتلين أو محاربين لحمايتهم من أى هجوم مفاجىء من قبل الصليبيين ، فاعتقد الصليبيون بأن فى امكانهم الاستيلاء

---

(٣٥) أبو شامة : المصدر السابق ، ص ٧٠٢—٧٠٣ .
— ابن الاثير : المصدر السابق ، ص ٤٤٢—٤٤٣ .
— William of tyre : op. cit., p. 429—433.
— Runciman : op. cit., pp. 417—418
— Setton op. cit., p. 595.
(36) William of tyre : op. cit., pp. 430, 433—434.
— La Monte : op. cit., p. 29.

على تلك المغانم بسهولة ، وقرر الملك بلدوين السـير الى هنـاك وهـم مطمئنون تماما بأنهم سوف لا يجدون مقاومة ، ولذلك ساروا متفرقين ، ووصلوا الى مكان ضيق تحيط به الصخور التى اختبأ فيها المسـلمون فى محاولة منهم لتجنب الصليبيين ، غير أن المسلمين رأوا اندفاع القوات الصيلبية نحوهم ، ومع أنهم كانوا محجمين عن القتال ، الا أنهم اضطروا للدفاع عن حياتهم بشجاعة نادرة وقاتلوا أروع قتال ، وهزم الصليبيون، وقتل همفرى كتدسطبل المملكة الذى أبلى بلاء حسنا فى المعركة وبه كان يضرب المثل فى الشجاعة والرأى فى الحرب ، كما قتل عدد كبير من قادة الصليبيين ، ولقد فر الملك بلدوين من ميدان المعركة بصعوبة بالغة[٣٧] .

استأنف صلاح الدين الجهاد ضد الصليبيين ، فقد تحرك بقـواته وعسكر بالقرب من بانياس ، وأرسل قواته لكى تغير على المناطق التى تقع حول صيدا وبيروت ، وعندما وصلت هذه الأخبار الى الملك بلدوين تحرك الى مدينة طبرية على عجل ، وهناك جمع كل ما يستطيع جمعه من القوات الصيلبية ، وسار بهذه القوات للقاء صـلاح الدين الأيوبى ، وتوجهت القوات الصليبية نحو بانياس ، ونزلت عند مرج عيون ، وهو مكان قريب من معسكر صلاح الدين الأيوبى ، ولذلك فوجىء المسلمون بوصول الصليبيين ، فجمع صلاح الدين قواته بسرعة ، ونشبت معركة بين الطرفين فى ١٠ يونية ١١٧٩ م وانتصر الصليبيون فى بداية المعركة ، غير أن صـلاح الدين اسـتطاع أن يحول الهزيمة الى انتصار ساحق ، حيث انقضت القوات الباقية التى كانت مع صلاح الدين على القوات الصليبية التى انشغلت بجمع الغنائم ، معتقدة أن المعركة قد انتهت ، وقتل وأسر عدد كبير من الصليبيين فى هذه المعركة ، وكان بين الأسرى رئيس هيئة فرسان الداوية وبلدوين صاحب رام الله ، ويعتبر من أقوى رجالات الصليبيين ، وهو صاحب طبرية ابن زوجة ريموند الثالث أمير

---

(37) William of tyre : op. cit., pp. 438—439.
— ابن الاثير : المصدر السابق ، ص ٤٥٣ .

طرابلس وآخرون كثيرون تم أسرهم ، أما الملك بلدوين فقد استطاع أن يهرب مع بعض أتباعه وأيضا ريموند الثالث هرب مع بعض فرسانه ووصل الى مدينة صور[٣٨] .

وصلت مملكة بيت المقدس فى هذه الفترة الى درجـة كبيرة من التدهور والانحطاط على حد تعبير وليم الصورى ، وقد وصل فى هذه الآونة هنرى كونت تروى وبطرس أخو لويس ملك فرنسا ومعهم عـدد كبير من أتباعهم ، وقد خفف وصول هؤلاء الى مملكة بيت المقدس من وقع الكارثة التى تعرض لها الصليبيون على يد جيوش صلاح الدين الأيوبى وقوى من عزيمتهم ، وكان للصليبيين أن يتجنبوا المخاطر فى المستقبل بفضل حماية هذه القوات التى وصلت اليهم من الغرب ، غير أن هذا الأمل لم يتحقق ، ولم تستطع هذه القوة أن تقدم شيئا يذكر للصليبيين ، بل ان صلاح الدين الأيوبى لم يعط الصليبيين فرصة لالتقاط الأنفاس بعد الهزيمة التى تعرضوا لها ، فقد قام بحصار حصن بيت الأحزان الذى بناه الصليبيون حديثا ، وقام الملك بلدوين بجمع قواته ومعه القوات التى أتت من الغرب محاولا انقاذ الحصن ، لكن صلاح الدين الأيوبى استطاع الاستيلاء على هذا الحصن الهام فى ٣٠ أغسطس ١١٧٩ م وذهب من كان بالحصن بين قتيل وأسير[٣٩] .

اشتد مرض الملك بلدوين الرابع ، وانتشر البرص فى جميع أجزاء جسمه وأصبح واضحا أن الملك لا يستطيع القيام بأعباء وظيفته ، وأن

---

(38) William of tyre : op. cit., pp. 442—443.
— ابن الاثير : المصدر السابق ، ص ٤٥٥ .
— Setton : op. cit., pp. 572—573.

ذكر ابن الاثير بأن مقدم هيئة الاستبارية كان من بين الاسرى غير أن وليم الصورى لم يشر الى ذلك ويبدو أن وليم الصورى كان شاهد عيان لهذه المعركة لانه ذكر التفاصيل بأسهاب .

(39) William of tyre : op. cit., pp. 443—444.
— ابن الاثير : المصدر السابق ، ص ٤٥٦—٤٥٧ .

المصلحة العامة للمملكة تقتضى تنحية الملك ، ولذاك شعر حزب البـــلاط الملكى أن انتقال الملكية من بيت بلدوين معناه ضياع مصالحهم الشخصية ، وقررت حاشية الملك الاحتفاظ بالسلطة مهما كانت النتائج ، وكان موجودا بالبلاط الملكى اماليك Amairic الذى وصل من غرب أوروبا وهـــو ابن الكونت لوزجنان ، وكان اماليك محبوب اجنس كورتيناى أم سبيلا ، وكان له أخ أصغر منه يدعى جاى قد تركه فى فرنسا ، وأخذ يقنـــع سبيلا بمساعدة أجنس للزواج منه ، وقد طلبت سبيلا من اماليك احضار أخيه جاى الى الشرق ، وعندما وصل ورأته سبيلا أعجبت بوســـامته ووجاهته ، ووافقت بأن تتخذه زوجا لها ، ويبدو أن الملك بلدوين لم يوافق فى البداية لأن جاى دى لوزجنان ضعيف وأحمق ولا يســـتطيع ادارة شئون مملكة بيت المقدس ، غير أن اجنس واماليك نجحا فى النهـــاية الحصول على موافقة الملك المريض ، وأخذت الاستعدادات تجرى على قدم وساق فى بيت المقدس لزواج سبيلا من جاى دى لوزجنان(٤٠) .

لم يرض عدد كبير من كبار نبلاء مملكة بيت المقـــدس أن تتزوج سبيلا وأخت الملك بلدوين الرابع من جاى لوزجنان ، لأن معنى ذلك أن يكون جاى وصيا على المملكة وربما يصـــبح ملك المستقبل ، وكان يرى هؤلاء النبلاء أن جاى لا يصلح أن يكون ملكا عليهم ، ولا يتمتع بكفاءة تمكنه من ادارة شئون البلاد فى هذه الظروف الصعبة التى تمر بها . وكان هذا الزواج موجها ضد ريموند الثالث ، ولذلك عندما سمع بالزواج دخل مع صديقه بوهيمند الثالث مملكة بيت المقدس بالقـــوة مع قوات من الفرسان ، وسبب ذلك قلقا شديدا للملك بلدوين الرابع لأنه خشى أن يقوم ريموند الثالث وبوهيميند الثالث بثـــورة لتنحيته عن العـــرش والاستيلاء على المملكة ، وكان الملك لا يثق فيهما ، وعندما علم بوصولهما الى بيت المقدس استعجل زفاف أخته ، ذلك أنه ربما وجد عددا كبيرا من

(40) William of tyre : op. cit., p. 446.
— Runciman : op. cit., p. 424.
— Setton : op. cit., p. 596.

النبلاء ليس لديهم مانع أن يتحدوا ويتعاونوا مع من يرون فيه الكفاءة والفائدة لخدمة المملكة ، ولذلك فان الملك من أجل مصلحته الخاصة أمر أن يتم زواج أخته على عكس ما تقضى العادات والتقاليد المتبعة فى أثناء أسبوع عيد الفصح فى ربيع عام ١١٨٠ م • وعاد كل من ريموند الثالث أمير طرابلس وبوهيمند الثالث أمير أنطاكية الى بلديهما(٤١) •

ويبدو أن ريموند الثالث أراد أن يستخدم القوة لمنع زواج سبيلا من جاى لوزجنان ، الا أنه لم يستطع أن يفعل شيئا ، بالرغم من أنه كان يقف الى جانبه مجموعة من كبار النبلاء وصفهم وليم الصورى بأنهم يمتازون بالثراء والحكمة ، ذلك لأن قوانين مملكة بيت المقدس كانت تساند تصرفات الملك الخاطئة ، بالاضافة الى أن نظام الوراثة أصبح راسخا فى المملكة لدرجة أن هذا العدد من النبلاء وقف عاجزا لانقاذ الموقف المتدهور ، وهكذا فاننا نرى فى الوقت الذى كان فيه صلاح الدين الأيوبى يسير بخطوات ثابتة لتوحيد القوى الاسلامية ضد الكيان الصليبى ، كانت مملكة بيت المقدس تعانى من الانقسامات والخلافات الداخلية •

عندما حضر ريموند الثالث وبوهيمند الثالث الى بيت المقدس قاما بزيارة مدينة طبرية وبقيا هناك بعض الوقت ، وقد اعتقد صلاح الدين الأيوبى أن الصليبيين يخططون لهجوم ضد البلدان الاسلامية ولذلك قام صلاح الدين الأيوبى بهجوم خاطف على مدينة طبرية لم يترتب عليه ضرر كبير بالنسبة للصليبين ، ولقد أرسل الملك بلدوين الرابع الى صلاح الدين يطلب منه عقد معاهدة ، ووافق صلاح الدين على الفور على هذا الاقتراح ، ويقول وليم الصورى : وافق صلاح الدين على ذلك لا لأنه يخشى القوات الصليبية ، وانما لأن بلاده تعرضت لقحط شديد ، وكانت الأمطار نادرة وخاصة تلك التى كانت حول مدينة دمشق ، وتم عقد معاهدة

---

(41) William of tyre : op. cit., p. 446.
— Setton : op. cit., p. 597.
— La Monte : op. cit., p. 29.

بين الطرفين فى البر والبحر فى مايو ١١٨٠ م وكانت شروط المعاهدة مهنية الى حد ما بالنسبة للصليبيين ، ولقد اضطر ريموند الثالث أمير طرابلس أن يعقد صلحا مع صلاح الدين الأيوبى فى نفس العام بعد أن تعرضت أراضيه للهجوم من قبل القوات الاسلامية(٤٢) .

كانت اتفاقية عام ١١٨٠م مفيدة بالنسبة للطرفين غير أن فائدتها بالنسبة للصليبيين كانت أكثر وأعظم ، ذلك لأن مملكة بيت المقدس أخذت تسير من سىء الى أسوأ ، وانفجر النزاع بين الملك بلدوين وريموند الثالث أمير طرابلس ، الذى كان يرى فى نفسه أكفأ من يستطيع ادارة المملكة ، وأخذ الملك بلدوين يحيط نفسه بالأنصار والأتباع لمقاومة ريموند الثالث أمير طرابلس ، ففى أواخر عام ١١٨٠ م زوج الملك أخته الصغرى ازابيلا Isabilla والتى لم تتجاوز الثمانية أعوام الى همفرى الثالث صاحب الشقيف ، وقد قام بدور كبير لاتمام ذلك الزواج ريجنالد شاتيون زوج أم همفرى الثالث والعدو اللدود لريموند الثالث أمير طرابلس ، وتدهورت العلاقات بين الملك بلدوين وريموند الثالث فى الفترة من ١١٨٠ الى ١١٨٢ م الى درجة لم يسبق لها مثيل ونشبت عداوة علنية بين الطرفين ، وفى هذه الفترة أو بالتحديد فى ابريل عام ١١٨١ م نجحت حاشية الملك بلدوين الرابع وعلى رأسها اجنس كورتيناى وبطرك بيت المقدس هرقليوس Heraclius فى ابعاد المؤرخ وليم الصورى معلم الملك بلدوين ومن أخلص مستشاريه لأنهم شعروا بأنه خطر عليهم(٤٣) .

لم يتدخل ريموند الثالث أمير طرابلس فى الشئون السياسية لبيت المقدس وظل سجينا فى امارته ، وكانت آخر زيادة قام بها الى بيت

---

(42) William of tyre : op. cit., p. 146—149.

— Setton : op. cit., p. 595.
— La Monte : op. cit., p. 29.

(43) William of tyre : op. cit., p. 459
— Runciman : op. cit., p. 425.

المقدس فى عام ١١٨٠ م ، غير أنه فى عام ١١٨٢ م حتمت عليه المسئولية التى يتحملها تجاه مدينة طبرية التى كانت تعتبر من أملاك زوجته أن يذهب الى هناك ، وبعد أن أعد كل امكانياته توجه الى مدينة جبيل ، ويقول وليم الصورى : استطاعت الحاشية الحاقدة على أمير طرابلس أن تضلل الملك الساذج الذى يصدق كل شىء بأن يعتقد أن الكونت ريموند أتى وهو يخطط من أجل أن يحل محل الملك بالقوة ، ولذلك أصدر الملك بلدوين أوامره بمنع دخول ريموند الثالث مملكة بيت المقدس ،وعاد ريموند الى طرابلس ساخطا بعد أن أنفق كثيرا من المال والجهد(٤٤) .

قام الملك بلدوين بهذه التصرفات المعيبة بتحريض من أمه اجنس كورتيناى وأخيها جوسلين كندسطبل المملكة واتباعهما ، وهؤلاء كانوا يرون فى ريموند أمير طرابلس خطرا عليهم يهدد مصالحهم الخاصة ، لأنهم أرادوا أن يديروا شئون المملكة بأنفسهم مستغلين ضعف وعجز الملك بلدوين ، وعندما سمع ذلك بارونات المملكة انزعجوا كثيرا ، لأن حرمان مملكة بيت المقدس من خدمات رجل كفء وشهير مثل ريموند يعرضها للخطر ، فى الوقت الذى صار فيه مرض بلدوين يزداد لدرجة أنه لا يستطيع النهوض من فراشه ، لذلك تدخل هؤلاء البارونات على الفور وبذلوا كل ما فى وسعهم لاستدعاء ريموند ثانية محاولين تخفيف غضبه ؛ وعلى الرغم من أن الملك لم يكن راضيا عن ذلك المسعى الا أنه أرغم بأن يسمح بعودة ريموند مرة ثانية الى مملكة بيت المقدس ، كما أن ريموند تغاضى عن الاهانة التى لحقت به وتم الصلح بين الملك بلدوين وريموند الثالث(٤٥) .

كانت هناك تطورات خارجية لم تكن أيضا فى صالح مملكة بيت المقدس ، فقد مات مانويل كومنين فى عام ١١٨٠ م وظل مانويل كومنين

---

(44) William of tyre : op. cit., pp. 459—460.
— La Monte : op. cit., p. 29.
(45) William of tyre : op. cit., p. 460.

يقدم المساعدات لمملكة بيت المقدس حتى آخر لحظة من حياته وخاصة المشروعات الخاصة بغــزو مصر ، وكانت مملكة بيت المقدس تحــاول الاستعانة بالقســطنطينية من وقت لآخر ، وكان جوســلين خال الملك وكندسطبل المملكة قد أرسل الى القسطنطينية بمعرفة الملك بلدوين الرابع فى مهمة خاصة بمملكة بيت المقدس ، وكان هناك أيضا بلدوين صاحب رام الله يلتمس من الامبراطور مساعدة مالية لدفع الفدية الخاصة باطلاق سراحه ، وفى أثناء اقامتهما المؤقتة فى مدينة القسطنطينية مات مانويل كومنين • وفقد الصليبيون بذلك صديقا هاما طالمــا حاول الصــليبيون الاعتماد عليه فى أوقات الشدة بل ان القسطنطينية بعد موت الكسيوس ابن مانويل الذى حكم فترة قصيرة انتهجت سياسة عدائية ضد الصليبيين عامة[٤٦] •

كانت الظروف الراهنة تحتم على مملكة بيت المقدس أن تحافظ على معاهدة ١١٨٠ م ، غير أن ضعف الملك وعدم سيطرته على افصاله أدى الى عدم احترام نصوص هذه المعاهدة من جانب الصليبيين ، فقد نصت الاتفاقية على مرور تجار الدولتين بسلام فى أراضى الدولتين ، ولكن ريجنالد شاتيلون استولى فى عام ١١٨١ م على احدى القــوافل التى كانت متجهة الى مكة ، وقدم صلاح الدين شكوى الى الملك بلدوين وطالب بتعويضات ، وقد اعترف الملك بلدوين الرابع بعدالة طلبات صلاح الدين الأيوبى ، وبالرغم من احتجاجات الملك بلدوين فقد رفض ريجنالد العدول عن موقفه ، وقد ساند ريجنالد أنصاره فى المحكمة وعجز الملك بلدوين أن يكبح رغبات ريجنالد • وبعد شهور قليلة كانت هناك سفينة قادمة من غرب أوروبا تحمل بعض الحجاج اضطرتها الرياح أن ترسو بالقرب من دمياط ، وكانت هذه فرصة مواتية بالنسبة لصلاح الدين فقد قبض على

---

(46) William of tyre : op. cit., p. 449—461.
— Ibid pp. 467—468.
— Runciman : op. cit., p. 431.

ركاب هذه السفينة وألقى بهم فى السجون ، ولقد عرض صـــلاح الدين على الملك بلدوين أن يطلق سراح هؤلاء الحجاج فى مقابل أن يعيـــد ريجنالد شاتيلون التجار الذين سبق حجزهم ، غير أن ريجنالد رفض مرة ثانية أن يعيـــد أى شيء ، ومن العجيب أن وليم الصورى أشـــار بأن صلاح الدين خرق نصوص الاتفاقية لأنه ألقى بهؤلاء الحجاج فى السجون وأنه أرسل الى الملك يطلب طلبات يستحيل تنفيذها ، وكأن ريجنـــالد شاتيلون الذى سجن تجار المسلمين لم يكن تابعا من أتباع الملك بلدوين ، ولقد أشار المؤرخون المسلمون صراحة بأن الصليبيين نقضوا الاتفاقية فى البـــر والبحر ، لأن الملك بلدوين مســـئول عن تصرفات ريجنـــالد شـــاتيلون(٤٧) .

كان صلاح الدين الأيوبى قد عاد الى مصر فى عام ١١٨٠ م بعد أن عقد الاتفاقية مع الصليبيين ، وعندما وصلت الأخبار بوفاة الملك الصـــالح اسماعيل عزم أن يعود الى بلاد الشام خوفا من أن يطمع الصليبيون فى البلاد ، وتحرك صلاح الدين بالجيوش فى مايو عام ١١٨٢ م ، وقد حرض ريجنالد شاتيلون وأصدقاؤه الملك بلدوين بأن يجمع القوات الصـــليبية ويقبض على صلاح الدين الأيوبى عند عبوره من مصر الى بلاد الشام ، غـــير أن ريمـــوند الثالث وعائلة ابلين نصـــحوا الملك بعدم التعـــرض لصلاح الدين عند عبوره ، وعلى الرغم من ذلك خرج الملك على الفـــور بقواته ، واستطاع صلاح الدين أن يعبر الصحراء بصعوبة ، وفشـــل الصليبيون فى اعاقته ووصل الى دمشق دون أن يحتك به الصليبيون(٤٨) .

---

(47) William of tyre : op. cit., pp. 467—468.
— Runciman : op. cit., pp. à31—432.
— ابن الاثير : المصدر السابق ، ص ٤٨٢ .
— ابن كثير : البداية والنهاية فى التاريخ ، ص ٣١٠ .

(48) William of tyre : op. cit., pp. 468—69.
— Runciman : op. cit., pp. 431—32.
— ابن شداد : المصدر السابق ، ص ٥٦ .
— ابن الاثير : المصدر السابق ، ص ٤٧٨—٤٧٩ .

وقد أظهرت الأحداث بأن ريموند الثالث كان على حق عندما نصح الملك بعدم الخروج والتعرض لصلاح الدين الأيوبى ، لأن ذلك أدى الى جمع قوات مملكة بيت المقدس من فارس وراجل لحشدهم ضد صلاح الدين ، الأمر الذى أدى الى ترك المملكة بدون دفاع ، وعندما علم عز الدين فخروشاه والى الشام أن بلاد الصليبيين خالية ، جمع قواته ودخل مملكة بيت المقدس ، ونهب وسلب القرى وقتل الكثير من الرجال وسبى النساء ، واستطاع أن يستولى على حصن هام من حصون الصليبيين يقع على بعد ١٦ ميلا من طبرية وهو حصن شقيف ، واعتبر وليم الصورى سقوط هذا الحصن كارثة بالنسبة لمملكة بيت المقدس(٤٩) •

وعندما سمع ريجنالد شاتيلون بأن صلاح الدين الأيوبى غادر مصر الى بلاد الشام بدأ مشروعه فى خريف عام ١١٨٢ م ، والذى كان يفكر فيه منذ وقت بعيد ، فقد أراد السيطرة على البحر الأحمر للحصول على ثرواته والسطو على القوافل التى تتجه الى مكة ، بل فكر ريجنالد فى الاستيلاء على مكة نفسها ، وقد استطاع العادل أخو صلاح الدين الأيوبى أن يتصدى له بأن أرسل له أسطولا فى البحر الأحمر وأخذ يطارده •

لم يكن هناك مفر من وقور الحرب بين صلاح الدين الأيوبى والصليبيين ، بعد أن انتهك ريجنالد نصوص اتفاقية عام ١١٨٠ م ولكن صلاح الدين كان يركز على توحيد الجبهة الاسلامية ضد الصليبيين ، ولذلك بدأ يحاول الضغط على شمال الشام ، فبعد أن قام بهجوم خاطف على مدينة بيروت فى البر والبحر ، رفع الحصار عن المدينة بمجرد أن شعر بتحرك الصليبيين نحوها وعاد الى دمشق ، وعندما بلغه أن حاكم الموصل أرسل الرسل الى الصليبيين يحثهم على قتال المسلمين ، سار صلاح الدين الى حلب فى أواخر عام ١١٨٢ م وتركها بعد ثلاثة أيام وعبر الفرات واستولى على مدينة الرها ، والرقة ، ونصيبين ، ثم اتجه

---

(49) William of tyre : op. cit., pp. 470—471.

— ابن الاثير : المصدر السابق ، ص ٤٧٩ •

الى الموصل وضرب الحصار عليها ووجد أنه لا يمكن الاستيلاء عليها نظرا لحصانتها ، ولذلك قرر رفع الحصار عنها وسار الى سنجار حيث استطاع الاستيلاء عليها بعد حصار دام ثمانية عشر يوما[٥٠] .

عاد صلاح الدين الأيوبى الى شمال الشام واستولى على تل خالد وهو من أعمال حلب ، ثم ضرب الحصار على مدينة حلب فى ٢١ مايو ١١٨٣ م ودار قتال شديد بين الجانبين ، وقد رأى حاكمها عماد الدين زنكى بن مودود أنه لا جدوى من القتال ، وأشــار عليه بعض أتباعه بتسليم حلب الى صلاح الدين الأيوبى ، وتم الصلح بين الطرفين على أن يأخذ عماد الدين بدلا من حلب سنجار ونصيبين والخابور والرقــة وسروج ، وتعتبر هذه البلاد التى حصل عليها عماد الدين قرى ومزارع لا تساوى شيئا بالنسبة لمدينة حلب ، ولقد أصابت الدهشة أهالى حلب ازاء تصرفات حاكمها وقد أنكروا عليه هذا التصرف واتهموه بالجبــن والعجز ، وكان استيلاء صلاح الدين على مدينة حلب نقطة تحول أدت الى توطيد نفوذه وتقوية مركزه السياسى والحربى[٥١] .

وبينما كان صلاح الدين الأيوبى يواصل انتصاراته ويحاول الضغط على الصليبيين ، كان الملك بلدوين الرابع يعانى من مرض حمى شــديد فاجأه ، وعندما شعر الملك أنه غير قادر على مباشرة مهام الحكم دعا الى عقد مجلس من النبلاء حضرته أمه وبطرك بيت المقدس ، وتقرر فى هذا الاجتماع بناء على رغبة الملك بلدوين تعيين جاى لوزجنان كونت يافا وزوج سبيلا أخت الملك وصيا على المملكة ، واحتفظ الملك بلقب الملكية ومدينة بيت المقدس ومعاش مقداره عشرة آلاف بيزنت وتولى جاى لوزجنان

---

(٥٠) ابن شداد : المصدر السابق ، ص ٥٦—٥٧ .
ابن الاثير : المصدر السابق ، ص ٤٨٢—٤٨٨ .

(٥١) ابن شداد : المصدر السابق ، ص ٥٩ .
— ابن الاثير : المصدر السابق ، ص ٤٩٥—٤٩٧ .

ادارة بقية المملكة وطلب الملك من باروناته أن يكونوا أتباعا لجاى لوزجنان وأن يقسموا له ، وقد أقسم جاى بأنه لايعتلى عرش المملكة طالما بلدوين الرابع على قيد الحياة أو يحوله الى آخرين ، وأنه لا يستولى على أية مدينة أو حصن فى حوزة الملك ، وأدى جاى هذا القسم أمام جميع بارونات المملكة[٥٢] •

اختلف الرأى العام فى مملكة بيت المقدس بسبب هذا التغيير الذى أقدم عليه الملك بلدوين الرابع ، ويقول وليم الصورى أن هنـاك أناسا أساءهم هذا التغيير ، وأعلنوا صراحة أن الكونت غير كفء لكى يحمـل هذه المسئولية الكبيرة ، وليس مؤهلا لادارة المملكة ، والبعض دافع عن هذا التغيير ذلك لأنهم كانوا يأملون ن يحققوا مصالح خاصة من ترقيـة جاى لوزجنان للعرش[٥٣] • ويبدو واضحا أن حزب البلاط وعلى رأسهم اجنس كورتيناى،وأخوها جوسلين وريجنالد شاتيلون وهرقليوس بطرك بيت المقدس هم الذين أثروا على الملك لكى يختار جاى لوزجنان مفضلين مصـلحتهم الشخصية عن الصالح العام أما الحزب الاخـر وهو حزب العقلاء ، فكان يرى أن ريموند الثالث هو الشخصية الوحيدة القادرة على ادارة المملكة فى هذه الظروف •

وبينما كانت هذه الأحداث تجرى فى مملكة بيت المقدس • وفى الوقت الذى اجتمعت فيه قوات كبيرة من الجيش الصليبى فى صفورية ، جمع صلاح الدين الأيوبى قواته وعبر منطقة شرق الأردن ودخل مدينة بيسان ، ورغم أن هذه المدينة كانت محصنة الا أن السكان تركوها وهربوا الى مدينة طبرية خوفا من قوات صلاح الدين الضخمة ، واسـتولى المسلمون على ما فيها من الأسلحة والأطعمة ، ثم سار صـلاح الدين

---

(52) William of tyre : pp. 492—493.

— La Monte : op. cit., p. 30.

(53) William of tyre : op. cit., p. 493.

الأيوبى بقواته حتى وصل عين جالوت ، حيث عسكر بها ، وأرسل صلاح الدين طلائع من قواته لكشف مواقع الصليبيين ، واتفق أن صادفوا قواتا صليبية قادمة من الكرك والشوبك نجدة لقوات مملكة بيت المقدس ، واستطاعت طلائع القوات الاسلامية أن تقتل وتأسر عددا كبيرا من هذه القوات ، وعندما وصل خبر تجمع الصليبيين فى صفورية الى صلاح الدين الأيوبى ، تحرك بقواته من عين جالوت الى الفولة ، وذلك بقصد الاشتباك مع الصليبيين فى معركة فاصلة ، ووقعت مناوشات بين الطرفين ، لم تخرج القوات الصليبية للقتال ، ولذلك قسم صلاح الدين الأيوبى قواته الى مجموعات صغيرة أخذت تشن الغارات على المدن والقرى المجاورة ، وتنهب وتسلب دون أن يتعرض لها أحد • وعندما رأى المسلمون أن الصليبيين لا يخرجون أشاروا على صلاح الدين بالعودة لنفاد الطعام ، لذلك عاد صلاح الدين الى دمشق منتصرا(٥٤) •

كانت القوات اصليبية التى تجمعت فى صفورية قوات ضخمة لم يسبق لها مثيل ، فقد بلغ عددها ١٣٠٠ من الفرسان و١٥ ألف من المشاة، ويرى وليم الصورى أن هذا العدد كان كفيلاً بتحطيم قوة صلاح الدين الأيوبى ، وخاصة كان على رأس هذه القوات خيرة قادة الصليبيين منهم ريموند أمير طرابلس ، وهنرى دوق لوفيان Louvain وأحد القواد البارزين من مملكة التيتون ور الفدى مليون Ralph de Mauleon من اكيتانيا وقد كانا فى زيارة لبيت المقدس فى ذلك الوقت بالاضافة الى جى لوزجنان الذى كان وصيا على المملكة وريجنالد شاتيلون وبلدوين صاحب رام الله وغيرهم من كبار قادة الصليبيين •

وقد اختلف الرأى العام الصليبى فى تقييم هذه الحملة ، البعض قال أن الحملة فشلت بسبب قيادة جاى لوزجنان الذى كان مكروها من بارونات المملكة ، لأنه كان شخصا خاملا متهورا ، ولذلك فان البارونات

---

(54) William of tyre : op. cit., p. 493—498.
— ابن شداد : المصدر السابق ، ص ٦١—٦٣ •

لم يتعاونوا معه وسمحوا لقوات صلاح الدين وهى لا تبعد أكثر من ميل عن قواتهم تنهب وتحطم فى المدن الصليبية دون أن تنال العقـاب أو الجزاء عن تلك الأفعال ، وكان ذلك شيئا مخزيا ومهينا بالنسبة لملكة بيت المقدس حيث أنه لم يحدث فى تاريخها ، وان المعارضين لجـاى اختلقوا الأعذار حتى لا يخرجوا للقاء صلاح الدين ، لأن انتصارهم على القوات الاسلامية سوف ينسب الى جاى قائد القوات الصليبية(٥٥) .

والبعض الآخر قال ان صلاح الدين خندق قواته فى مكان محاط بالصخور ، وكان من المستحيل على القوات الصليبية أن تقترب منه دون تعرض نفسها لخسارة فادحة ، وان حملة ١١٨٣ قد نجحت لأنها آجبرت صلاح الدين على الانسحاب ، وان الاستراتيجية الصليبية كانت صائبة لأنها تجنبت معركة غير مأمونة العواقب(٥٦) .

ومهما يكن من أمر فان صلاح الدين كان مستعدا للمعركة بقـوات ضخمة جمعها من جميع أنحاء البلدان التابعة له ، وقد قام بعدة تحركات لاجبار الصليبيين فى الدخول فى معركة ، وليس لدينا معلومات عن عدد القوات التى كانت مع صلاح الدين ، ولكن ليس هناك شك أنها كانت أكبر من القوات الصليبية التى ذكرها وليم الصورى ، والتى كان يعتقد بأنها فى امكانها القضاء على القوات الاسلامية ، والصليبيون لم يخرجوا فى معركة فاصلة لأن المسلمين كانوا فى كثرة عظيمة .

زادت مملكة بيت المقدس تحت وصاية جاى لوزجنان ضعفا وأثبتت الأحداث بأنه لا يتمتع بالشجاعة والبسالة ، واكتشف الملك أنه لا يصـلح

(55) William of tyre : op. cit., p. 496—498.

(56) Ibid : op. cit., p. 498.

— Setton : op. cit., p. 600.

— ابن شداد : المصدر السابق ، ص ٦٢ .

للوصاية ، ولذلك تقرر عزله من الوصاية ، وقيل أ نهناك أسبابا أخرى وراء عزل جاى عن الوصاية ، فقد سبق أن اشـــترط الملك بلدوين بأن يستولى على دخل بيت المقدس ، الا أنه عاد فيما بعد وأراد أن يستبدل بيت المقدس بمدينة صور ، لأن صور أصبحت من أخصب بلدان المملكة ، غير أن جاى كان غير راض لاحداث مثل هذا التبادل ، لذلك جرد الملك بلدوين جاى من الوصاية ، وازداد نشاط الحزب المعارض بقيادة ريموند الثالث وبليان دى ابلين ورينود أمير صيدا ، وقررت المحكمة العليا فى مارس ١١٨٣ م تتويج بلدوين الخامس الذى كان لا يتجاوز سن الخامسة حينذاك ملكا على بيت المقدس ، وهو ابن سبيلا من زوجها الأول ، وذلك لحرمان جاى لوزجنان من وراثة عرش بيت المقدس ، وقد أدى جميـــع بارونات المملكة قسم الولاء والاخلاص للطفل ما عدا جاى لوزجنـــان كونت يافا ، لأنه لم يطلب منه أن يؤدى قسم الولاء ، وكان ذلك دليـــلا على الكراهية الواضحة بين الملك وجاى لوزجنان[٥٧] .

وقد كان تتويج بلدوين الخامس بدلا من أمه سبيلا مخالفا لقوانين الوراثة ، ويبدو أن الرأى العام فى مملكة بيت المقدس لم يكن راضيا عن ذلك ، غير أن المحكمة العليا أصرت على ذلك مستخدمة حقها فى انتخاب الملك ، لكى لا تعطى جاى لوزجنان أى أمل فى وراثة عرش مملكة بيت المقدس كزوج للاميرة سبيلا ، وواضح أن البارونات اتخذوا اجراءات مخالفة للعادات والتقاليد ، ومن المحتمل أن الرجال فى الجيل الثـــانى للصليبيين فضلوا عن النساء ، وأن ابن الأخت كان مفضلا على الأخت ، لأن الوراثة تأثرت بالقرابة من آخر شخص استولى على الاقطاعية ، وبدون شك فان البارونات فى هذه اللحظة لم يفكروا كثيرا فى الشـــكل الدستورى أو احترام نظام الوراثة ، فقد كانوا يشعرون بالقلق ويريدون

---

(57) William of tyre : op. cit., pp. 501—502.

— Runciman : op. cit., p. 439.

أن يتخلصوا من الوصى غير المحبوب ، ولقد رأوا فى تتويج الأمير الصغير طريقة سهلة لحرمان جاى لوزجنان من الوصاية[٥٨] .

اختلف الرأى العام الصليبى بسبب حدوث هذه التغييرات الكبيرة ، البعض رأى أن ارتقاء الطفل الى العرش لا يقدم شيئا للمملكة ، وليس هناك فائدة تعود على الصالح العام ، لأن كلا الملكين عاق وعرقل تقــدم المملكة ، أحدهما بلدوين الرابع لا يستطيع الحركة دون أن يساعده أحد ، وأنه لا يستطيع أن يوقع اسمه ، والثانى طفل لا حول له ولا قوة . وآخرون شعروا أن هذا التغيير لا قيمة له ولا أثر ، طالما بقى جاى لوزجنان زوجا للاميرة سبيلا ، لأنه سوف يصبح مصدرا للخــلافات والنزاعات ، باعثا على الخطر والتحريض على الفتنــة والعصيان . ويقــول وليم الصورى أنه كان من الأفضل الأخذ بالنصيحة التى قدمها رجال عقــلاء حكماء ، وهى أنه يجب أن تسند شئون المملكة الى شخص قوى فى الحرب حكيم فى السلم[٥٩] .

أصبحت الحاجة ماسة لتعيين وصى يدير أعمال الدولة ، وخاصة لقيادة الجيش ضد المسلمين الذين أصبحوا يهددون الصليبيين أكثر من أى وقت مضى ، وكان الشعور العام يتجه بالاجماع نحو شخصية ريموند كونت طرابلس ، لأنه الرجل الوحيد القادر على النهوض بهذا العمل فى هذه الظروف الحاسمة ، وقد تم اختيار ريموند الثالث أمــير طرابلس بالاجماع وصيا على مملكة بيت المقدس فى نوفمبر ١١٨٣ م . ويبدو أن معارضى ريموند الثالث لم يكونوا حاضرين هذا الاجتماع الذى تم فــه اختياره وصيا على مملكة بيت المقدس ، وتفاءل الناس عنــدما انتقلت الوصاية من جاى لوزجنان الى ريموند أمير طرابلس[٦٠] .

---

(58) La Monte : op. cit., p. 32.

(59) William of tyre : op. cit., p. 502.

(60) Ibid : pp. 505,507.

ساءت العلاقات فى أوائل عام ١١٨٤ م بين الملك بلدوين الرابع وجاى لوزجنان ، وفكر الملك أن يفصل أخته سبيلا عن زوجها جاى لوزجنان ، وأعلن ذلك صراحة أمام البطرك وقدم له شكوى مبينا فيها أسباب طلب الطلاق ، وقد وافق بطرك بيت المقدس على بطلان زواج سبيلا من جاى لوزجنان ، وعندما سمع جاى بتلك الأخبار توجه فورا الى عسقلان ، وأرسل يحذر زوجته التى كانت فى بيت المقدس لكى تترك هذه المدينة وتتوجه الى مدينة عسقلان ، وقد أرسل الملك بلدوين الرابع الى جاى رسولا يدعوه الى المثول أمامه ، ولقد قاوم جاى ذلك واعتذر عن المثول أمام الملك مدعيا المرض ، ولقد كرر بلدوين الدعوة الى جاى لوزجنان ، الا أن جاى أهمل هذه الدعوة[٦١] • لذلك قرر بلدوين أن يذهب بنفسه الى جاى ، غير أنه عندما وصل الملك الى مدينة عسقلان وجد البوابة مغلقة ورفض أهالى عسقلان فتح البوابة له واضطر الملك أن يتقهقر ويتوجه مباشرة من عسقلان الى يافا ، وفتحت له أبواب المدينة ودخلها دون أن يلاقى أية صعوبات ، وبعد أن عين حكومة فى مدينة يافا لادارة شئونها ذهب الملك بلدوين الى مدينة عكا ، حيث دعا هناك الى عقد اجتماع حضره جميع نبلاء المملكة ، وجاء الى هذا الاجتماع بطرك بيت المقدس يسانده رئيس هيئة فرسان الداوية ورئيس هيئة فرسان الاسبتارية ، وتوسط لتسوية الخلاف بين الملك وجاى لوزجنان ، وطلب من الملك أن يعيد جاى الى رعايته وعطفه ، غير أن الملك رفض وساطة البطرك ، ولذلك انسحب البطرك ومؤيدوه من الاجتماع وهم فى سخط شديد ، ولم يتركوا الاجتماع فقط بل تركوا مدينة عكا أيضا[٦٢] • ويبدو واضحا أن مساندة الحزب المناصر لجاى لوزجنان بزعامة البطرك هرقليوس ، جعلته يتمادى فى تحدى الملك الذى كان يسانده حزب النبلاء المحليين ، والذى لعب دورا بارزا فى طرد جاى من الوصاية •

(61) William of tyre : op. cit., pp. 507—508.
(62) William of tyre · op. cit., p. 508.

وعندما سمع جاى لوزجنان أن الملك لم يتنازل لعقد الصلح معه ، تحدى الملك علانية فى خريف عام ١١٨٤ م ، فمنذ أن استولى الصليبيون على عسقلان سمحوا للبدو فى هذه المنطقة أن يتنقلوا بحرية فى مقابل أن يدفعوا اتاوة سنوية لملك بيت المقدس ، ولقد تضايق جاى لوزجنان من ذلك ، لأن الملك بلدوين الرابع يحصل على هذه الاتاوة لنفسه وقام بهجوم مفاجىء على بدو هذه المنطقة ، واستولى على قطعان الأغنام وأسر وقتل عددا كبيرا منهم وعاد الى مدينة عسقلان ، وعندما وصلت أخبار هذه الغارة الى الملك بلدوين ، استدعى باروناته مرة أخرى وهو طريح الفراش ، وسلم ادارة المملكة الى ريموند أمير طرابلس الذى كان يثق فى حكمته وشهامته ، وقد جاء هذا القرار محققا رغبة جميع الناس والسواد الأعظم من النبلاء ، لأنه كان واضحا للجميع أن الأمان الوحيد للصليبيين أن تؤول شئون المملكة الى كونت طرابلس(٦٣) .

تولى ريموند الثالث الوصاية على مملكة بيت المقدس لحين بلوغ بلدوين الخامس سن الرشد ، ورفض أن يتولى الحراسة على الطفل بلدوين الخامس ، وتولى جوسلين الثالث كندسطبل المملكة وخال بلدوين الرابع الحراسة الشخصية على بلدوين الخامس ، وأعطيت قلاع الملك لهيئة فرسان الداوية لحراستها ، كما أعطيت مدينة بيروت الى ريموند الثالث مقابل قيامه بالوصاية ، وكان هناك شرط قدمه ريموند ، وهو أنه فى حالة وفاة بلدوين الخامس قبل بلوغه سن العاشرة فان الوصاية تستمر الى أن يختار خليفة للملك بلدوين الخامس بمعرفة هيئة انتخابية تتكون من البابا وامبراطور ألمانيا وملك فرنسا وملك انجلترا ، وعلى اللجنة أن تختار بين سبيلا وازابيلا بنتا الملك عمورى(٦٤) .

---

(63) William of tyre : op. cit., p. 509.

(64) L. Estoire d'Eracles Empereur, tome II, pp. 7—8.
— Setton : op. cit., p. 607.

وهذا الشرط الذى طلبه ريموند الثالث وهو أن يستمر فى الوصاية الى أن تختار هيئة انتخابية خارجية خليفة للملك بلدوين الخامس ، والذى وافق عليه النبلاء ، يعتبر فى غاية الأهمية ودليلا قاطعا على أن نظـرية الملكية الانتخابية لم يعد لها وجود ، وأنهم أقروا وسلموا بمبدأ الوراثة ، وتنازلوا عن حقهم فى انتخاب خليفة للملك بلدوين الخامس ، ولقـد اعتبرت المحكمة العليا نفسها غير مختصة للبت فى الموضوع ، وفوضت هيئة خارجية لاختيار وريث للمملكة[٦٥] .

مات الملك بلدوين الرابع فى ١٦ مارس ١١٨٥ م متأثرا من مرض الجذام الذى عانى منه طويلا ، وقبل أن يموت الملك تم تتويج بلدوين الخامس وأدى له جميع البارونات قسم الولاء ، كما أدى هؤلاء قسـم الولاء لريموند الثالث كوصى للمملكة ، وقد مات بلدوين وهو يعرف بأنه ترك المملكة لرجـل يعتبر من أقدر المحـاربين الصـليبيين فى الشرق الأدنى[٦٦] .

وعندما استقرت الأمور ريموند الثالث جمع نبلاء المملكة ورئيـس هيئة فرســان الداوية ورئيس هيئة فرسان الاسبتارية وطلب منهم أن يتدارسوا الموقف،ولقد اقترح ريموند الثالث عقد معاهدة مع صلاح الدين الأيوبى ، ذلك لأن ريموند رأى أن الحالة الاقتصادية والسياسية لمملكه بيت اقدس لا تمكنها من أن تقف فى وجه صلاح الدين الأيوبى ، الذى يمتلك امكانات بشرية ومادية هائلة بعد أن وحد بين مصر وبلاد الشام ، ولقد شعر الرأى العام فى مملكة بيت اقدس بأنه فى حاجة ماسـة للسلام ، وان عصر الفتوحات بالنسبة لهم قد ولى وانتهى ، ولقد حرص ريموند الثالث كل الحرص للحصول على تفويض من بارونات المملكة ، ومن رئيس هيئة فرسان الداوية والاسبتارية لاجراء المفاوضات مـع

(65) La Monte : op. cit., p. 33.

(66) L, Estoire d' Eracles : op. cit., p. 9.

— La Monte :op. cit., p. 33.

المسلمين ، وكانت ظروف صلاح الدين أيضا تقضى بعــدم الدخول فى حروب مع الصليبيين ، لذلك تمت الموافقة على عقد معاهدة بين الطرفين فى عام ١١٨٥ م مدتها أربع سنوات(٦٧) .

لم يستمر السلام كثيرا بين المسلمين والصليبيين ، ذلك الســلام الذى دعمه ريموند الثالث الوصى على مملكة بيت المقدس ، فقد وقعت أحداث مفاجئة فى مملكة بيت المقدس فى عام ١١٨٦ م أدت الى انهيار السياسة التى رسمها ريموند الثالث للتعامل مع المسلمين ، فبينما كان بلدوين الخامس فى مدينة عكا أصابه مرض شديد ومات فى ســبتمبر ١١٨٦ م(٦٨) ، وقد حضره على فراش المــوت الوصى ريموند الثــالث وجوسلين الثالث سنشال المملكة والحارس على الطفل بلدوين(٦٩) .

واستطاع جوسلين الثالث أن يخدع ريموند الثالث عندما تظاهر بصداقة ريموند ، وطلب منه أن يذهب الى طبرية للاجتماع بالبارونات لتنفيذ وصية بلدوين الرابع ، وتعهد جوسلين بأنه سيبقى بجوار الجثة

---

(67) Estoire d'Eracles : op. cit., pp. 12—13.

— Grousset : Histoire des croisades et du Royoume France. t. II, pp. 760—761.

— Runciman : op. cit., p. 444.

(٦٨) ذكر رانسمان أن بلدوين الخامس مات فى نهاية اغســـطس ١١٨٦ م .
انظــر :

— Runciman : op. cit., p. 446.

(٦٩) ذكر بعض المؤرخين أن موت بلدوين الخامس فى ســبتمبر من عام ١١٨٦ م كان بسبب السم الذى وضع له فى الطعام ، ولقد اتهم هؤلاء المؤرخون ريموند الثالث أمير طرابلس ، لكى يتخلص من بلدوين الخامس ويصبح ملكا على الصليبيين فى مملكة بيت المقدس ، غير أن هذا الاتهام لم يرد عند المؤرخين العرب ، وأيضا لم يذكره الكتاب المسيحيون المعاصرون لهذه الأحداث .

انظــر :

— Estoire d'Eracles : op. cit., p. 25 Note 6.

لحين عودته من طبرية ، ووثق ريموند الثالث فى كلام جوسلين ونوجه على الفور الى مدينة طبرية(٧٠) .

عندما تأكد جوسلين أن ريموند الثالث ترك مدينة عكا استولى عليها بواسطة قواته ، وحملت جثة الملك بلدوين الى بيت المقدس فى حراسة هيئة فرسان الداوية ، ثم ذهب الى مدينة بيروت التى كانت تابعة لأمير طرابلس ريموند الثالث واستوى عليها عن طريق الخيانة وتركها فى حراسة فرسانه ، وأرسل الى سبيلا وزوجها جاى لوزجنان يطلب منهما الحضور الى بيت المقدس ، وعندما سمع بذلك ريموند الثالث اكتشف أنه وقع فى فخ جوسلين ، ولذلك استدعى ريموند الثالث بصفته الوصى الشرعى جميع بارونات المملكة للمثول أمامه فى مدينة نابلس ، كما حضرت سبيلا ومعها زوجها الى بيت المقدس ولحق بهما ريجنالد شاتيلون أمير الكرك(٧١) .

أرسل المجتمعون فى نابلس الى البطرك فى بيت المقدس يطلبون منه عدم تتويج سبيلا وأنه يجب أن يستمر ريموند الثالث فى الوصاية الى أن تقرر الهيئة المكونة من البابا والامبراطور وملك فرنسا وملك انجلترا اختيار الوريث الشرعى للمملكة ، وذلك طبقا للاتفاقية التى تمت قبل موت الملك بلدوين الرابع ، ولقد كان السواد الأعظم من البارونات وخاصة عائلة ابلين والموالين لهم فى جانب ريموند الثالث ، وفى نفس الوقت وقف فى بيت المقدس ريجنالد شاتيلون وجيرارد رئيس هيئة الداوية والبطرك هرقليوس وجوسلين ، الى جانب سبيلا وزوجها جاى لوزجنان ، وأرسل البطرك ورئيس هيئة الداوية وريجنالد شاتيلون الى المجتمعين فى نابلس بأنهم لا يعترفون بالاتفاقية سابقة الذكر ، كما دعتهم سبيلا لحضور تتويجها ، لكنهم رفضوا هذه الدعوة ، لذلك قام

---

(70) Ibid : p. 25.
— Runciman : op. cit., pp. 446—447.
(71) Estoire d'Eracles · op. cit., pp. 25—26.

رئيس هيئة الداوية وريجنالد وهرقليوس بغلق بوابة بيت المقدس لمنع البارونات فى نابلس من القيام بأى هجوم مفاجىء على المدينة[٧٢] .

عندما ذهبت سبيلا الى القبر المقـدس لتتويجها ، دعى الى ذلك الحفل رئيس هيئة الداوية ، وهو العدو القديم لريموند الثالث وريجنالد شانيلون ، أما رئيس هيئة الاسبتارية فقد رفض أن يشـترك فى حفل التتويج احتراما للقسم الذى أداه للملك بلدوين الرابع ، وعنـدما بدأ البطرك هرقليوس مراسيم التتويج ، وقف ريجنالد شاتيلون على ربوة مرتفعة يخاطب الحاضرين هذا الحفل قائلاً « أيها السادة انكم تعلمون جيدا أن بلدوين المجذوم وابن أخته اللذين توجا ملكين قد ماتا ، وأصبحت المملكة بدون وارث وبدون حكومة ، وبحمد الله فقد توجنا سبيلا بنت عمورى وأخت بلدوين المجذوم ، لأنها أقرب المستحقين لوراثة عـرش المملكة »[٧٣] ، وقد أعد تاجان ، وضع البطرك أحدهما على رأس سبيلا وقال لها البطرك لابد أن يكون هناك ملك لكى يحكم معها ، واختـارت سبيلا زوجها لكى يضع البطرك على رأسه تاج عرش المملكة[٧٤] .

عندما وصلت الأخبار الى نابلس قرر البارونات المجتمعون تتويج ايزابيلا البنت الصغرى للملك عمورى من زوجته الثانية ، لكى يصـبح زوجها همفرى الرابع دى تورون Humphrey de Toron ملكا على بيت المقدس ، وخاصة أن سبيلا لم يكن معها من الأمراء الا ريجنـالد

(72) Estoire d'Eracles : op. cit., p. 27.
— La Monte : op. cit., p. 34.
— Lane — poole. S. : Saladin and the fall of the Kingdom of jerusalem, p. 200.

(73) Estoire d'Eracles : op. cit., p. 28.

(74) Ibid : p. 26.
— La Monte : op. cit., p. 34.
— عماد الدين الكاتب الفتح القسى فى الفتح القدسى ص ١٤ .
— ابن الاثير : المصدر السابق ، ص ٥٢٧ .

شاتيلون ، وأن هيئة الاسبتارية تقف مع الأمراء المحليين ، كما أن هؤلاء يمكنهم التحالف مع المسلمين[٧٥] .

وفى الواقع فان هذه الخطوة التى أقدم عليها البارونات فى نابلس تتعارض مع قوانين بيت المقدس ، التى تعطى الحق فى الوراثة للطفل الذى جاء من الزواج الأول ، مفضلة له عن الذين جاءوا من الزواج الثانى ، ولكن البارونات رجعوا الى الوراء الى قاعدة دستورية أقوى ، وهى حق المحكمة العليا فى اختيار الحاكم ، وحتى فى هذا المجال فانهم لم يحاولوا أكثر من اختيار أحد أعضاء البيت المالك وتفضيله ، ولم يحاول البارونات أن يعينوا أحدا من الخارج ، حتى ريموند الثالث الذى كانت له صلة قرابة بالأسرة المالكة ، لم يقدم للترشيح لعرش المملكة ، مع أنه أقوى بارون فى المملكة والقائد المعترف به من البارونات ضد جاى لوزجنان[٧٦] .

كان الاختيار يبدو حسنا وكانت غرصة النجاح قوية مع أن جاى لوزجنان وسبيلا قد استوليا على معظم المدن الهامة فى المملكة ، غير أن مجموع الاقطاعات الذى كان لدى البارونات كان مؤثرا ، لكن همفرى زوج ايزابيلا لم يسمح للخطة التى رسمها الأمراء أن ترى النور ، فلم يتمتع همفرى بشخصية قوية ، ولم يكن طموحا ، ولم تكن لديه رغبة ليصبح ملكا على الصليبيين ، فعندما سمع بقرار النبلاء تسلل خفية من مدينة نابلس ، وذهب الى بيت المقدس حيث ألقى بنفسه بين يدى جاى وسبيلا طالبا منهما الرحمة والعفو ، وأدى لهما قسم الولاء والتبعية ، وهذه الحركة المفاجئة السريعة من مرشح البارونات أوقفت تماما خطط

---

(75) Estoire d'Eracles · op. cit., p. 30.

Lane — Poole : op. cit., p. 200.

(76) La Monte : op. cit., p. 36.

البارونات ، وطلبوا من ريموند الثالث أن يعفيهم من القسم الذى أدوه لهمفرى[٧٨] .

وافق ريموند الثالث على ذهاب الأمراء الى بيت المقدس لتأدية قسم الولاء للملك جاى لوزجنان ، أما ريموند الثالث فقد رفض الدهاب الى بيت المقدس لتأدية قسم الولاء لجاى لوزجنان ، وفضل الذهاب الى مدينة طبرية ، ولقد رفض بلدوين صاحب رام الله أن يؤدى قسم الولاء للملك ، واكتفى بأن حياة تحية رسمية ، وتنازل عن اقطاعيته لابنه ، وطلب الاذن له بالذهاب الى مدينة أنطاكية ، وقد رحب به هناك بوهيمند الثالث أمير أنطاكية ، وقد منحه اقطاعية تتناسب مع مركزه المرموق[٧٨] .

وهكذا نجحت جهود حزب البلاط فى مساندة جاى لوزجنان ليصل الى عرش مملكة بيت المقدس ، وبذلك سيطر هذا الحزب على شئون المملكة ، وفشل الحزب الذى يساند رموند الثالث ، لأن المحكمة العليا فى مملكة بيت المقدس والتى اجتمعت فى مدينة نابلس عجزت فى اللحظات الحاسمة أن تستخدم حقها فى الانتخاب ، ولم تستطع ترشيح ريموند الثالث ملكا على الصليبيين ، ذلك بسبب نظام الوراثة الذى كان قد توطد وثبت فى تلك الآونة ، ولقد عارض ريموند بكل قوة حكومة جاى لوزجنان ، وكانت سياسة ريموند الثالث مبنية على التقارب مع صلاح الدين الأيوبى ، حيث عقد معه صداقة شخصية ، وكان ريموند الثالث يرى أن السلام بين الصليبيين والمسلمين فى هذه الفترة ضرورة حتمية بالنسبة لمملكة بيت المقدس ، لأنها كانت تمر بمرحلة من أخطر المراحل فى تاريخها .

وافق الملك جاى لوزجنان على استمرار الاتفاقية التى سبق أن تم ابرامها بين صلاح الدين الأيوبى والصليبيين أثناء وصاية ريموند ، والتى

---

(77) Estoire d'Eracles : op. cit., p. 31.
— La Monte : op. cit., pp. 36—37.

(7) Estoire d'Eracles : op. cit., p. 32—34.
— Runciman : op. cit., p. 449.

كانت تنص على حرية مرور القوافل بين القاهرة ودمشـــق فى أراضى الصليبيين ، وحتى ذلك الوقت كان ريجنالد شاتيلون حاكم الكرك من خلال زوجته استفن دى ميللى الوارثة الشرعية لهذا الحصن يحتـــرم الاتفاقية ، غير أنه فى نهاية عام ١١٨٦ كانت هناك قافلة ضخمة رحلت من القاهرة الى دمشق ، وكان معها عدد قليل من الجنود لحراستها من البدو ، وعند مرورها بالكرك استولى عليها ريجنالد فجأة ، وحمل الجنود والتجار وما معهم من متاع الى قلعة الكرك(٧٩) • وكان صـــلاح الدين الأيوبى لا يريد الحرب ويرغب فى الحفاظ على السلام ، لذلك أرســـل صلاح الدين الى ريجنـــالد يطلب منه اطـــلاق سراح الســـجناء ودفع التعويضات اللازمة ، غير أن ريجنالد رفض ذلك الطلب فبعث صلاح الدين الى الملك جاى للتدخل ، لأن ريجنالد خرق نصوص الاتفاقية ، ولقد طلب الملك جاى من ريجنالد أن يعيد الأسرى وأموال القافلة لصـــلاح الدين الأيوبى الا أن ريجنالد رفض تنفيذ أوامر الملك وقال أنه لا يرتبط باتفاقية مع صلاح الدين الأيوبى(٨٠) •

لم يستطع الملك جاى أن يجبر ريجنالد شاتيلون على اعادة الأسرى المسلمين وأموالهم كطلب صلاح الدين ، ذلك لأن ريجنالد كان من الأعضاء

---

(٧٩) جاء فى تاريخ هرقل بأن أخت صلاح الدين الأيوبى كانت ضـــمن أفراد القافلة التى استولى عليها ريجنالد شاتيلون ، غير أن أخت صلاح الدين لم تكن ضمن هذه القافلة ، انما كانت ضمن أفراد قافلة أخرى عائدة من مكة بعد تأدية فريضة الحج وقد وصلت سالمة كما أورد أبو شامة • انظر :

— Estoire d'Eracles : p. 34.

— أبو شامة : كتاب الروضتين فى أخبار الدولتين ، ص ٧٥ ، جـ ٢ •

— Grousset : op. cit., p. 777 Note I.

(80) Estoire d'Eracles : op. cit., p. 34.

— ابن الاثير : المصدر السابق ، ص ٥٢٧ •

— ابو شامة : المصدر السابق ، ص ٧٥ •

— Runciman : op. cit., p. 450.

— Groussit : op. cit., pp. 776—777.

— المختصر فى أخبار البشر ، ص ٧١ ، جـ ٣ •

البارزين فى حزب البلاط الذى كان له الفضل فى وصول جاى للعرش ، وظهر لأول مرة أن فصلا من أفصال الملك يتصرف وكأنه مستقل ، فلم يحدث فى عهد ملوك بيت المقدس أن رفض فصل أوامر الملك التى صدرت اليه ، وكان رفض ريجنالد بداية النهاية بالنسبة لملكة بيت المقدس ، وكان المسئول الأول عن ذلك نظام الوراثة ، لأنه هو الذى جاء بالملك جاى ، وهو الذى جاء بالأمير ريجنالد الأحمق المتهور ، لكى يصبح حاكما على حصن من أهم الحصون الصليبية ، وفى الوقت الذى أصبحت الحرب فه بين صلاح الدين الأيوبى والصليبيين لا محالة واقعة ، حيث أخذ صلاح الدين الأيوبى يستعد للحرب ، وأسرع بوهيمند الثالث لتجديد المعاهدة مع صلاح الدين ، لاحت بوادر الحرب الأهلية بين صفوف الصليبيين ، فقد نصح رئيس هيئة الداوية الملك جاى لوزجنان أن يستولى على مدينة طبرية ، لأنها تابعة للتاج الملكى ولأن ريموند الثالث رفض أن يؤدى قسم الولاء للملك الجديد ، وعندما سمع ريموند الثالث بذلك تحالف مع صلاح الدين الأيوبى ، وطلب مساعدته ضد جاى لوزجنان (وفوضت الملك اليه فصار يطلب حسان البلاد من القمص فوقع الاختلاف بينهم ، لذلك لجأ القمص الى ظل السلطان وصار له من حملة الأتباع فقبله السلطان وقواه وشد عضده)[٨١] ، وعندما تجمعت قوات جاى لوزجنان لحصار مدينة طبرية تدخل باليان دى ابلين Balian d'ybelin ومنع الحرب الأهلية[٨٢] .

دعا الملك جاى لوزجنان فى ٢٩ مارس ١١٨٧ م الى اجمتاع فى بيت المقدس يحضره جميع بارونات المملكة ورجال الدين ، وقد أخبر جاى المجتمعين بأن صلاح الدين الأيوبى يستعد للحرب ، ويجب على الصليبيين أن يستعدوا أيضا للحرب ، غير أن البارونات قالوا أنهم لا يستطيعون

---

(٨١) ابو شامة : المصدر السابق ، ص ٧٤ .

— ابن الاثير : المصدر السابق ، ص ٥٢٦—٥٢٧ .

(82) Estoire d'Eracles : p. 35.

الاشتراك فى الحرب ضد المسلمين بدون أن يكون معهم ريموند الثالث الذى يمتلك قوات ضخمة بجانب خبرته الحربية ، لذلك استقر الرأى أن تم الصلح بين ريموند الثالث وجاى لوزجنان ، وتشكلت سفارة للذهاب الى ريموند الثالث وتتكون هذه السفارة من رئيس هيئة الداوية جيرارد دى ريدفورت Girart de Ridefort ورئيس هيئة الاسبتارية روجر دى ملين Roger de Moling وباليان دى ابلين ورينود صاحب صيد Renaut ، وجوس Joce أسقف صور ، توجهت هذه السفارة فى ٢٩ ابريل الى طبرية لمقابلة ريموند الثالث[83] .

وبينما كانت السفارة الصليبية فى طريقها الى طبرية كان ريموند الثالث قد استقبل سفارة وصلت من قبل صلاح الدين الأيوبى يطلب منه أن يسمح للقوات الاسلامية بالمرور فى أراضيه للاغارة على بعض حصون الداوية ، وقد وافق ريموند على ذلك حتى لا يفقد مساندة صلاح الدين الأيوبى ، وكانت له شروط منها ألا تدخل قوات صلاح الدين أراضى المملكة قبل غروب الشمس ، وأن تخرج هذه القوات من أراضى الصليبيين قبل غروب الشمس ، وقد أغلق ريموند الثالث أبواب مدينة طبرية ، كما أمر أتباعه أن يكونوا داخل الحصون ، وأخذ ريموند يراقب القوات الاسلامية ، ولقد استطاعت هذه القوات أن تنزل هزيمة ساحقة بقوات هيئة فرسان الداوية وحطمت حصونهم وذلك فى أول مايو ١١٨٧ م[84] .

---

(83) Estoire d'Eracles : pp. 36—37.
— Grousset : op. cit., pp. 780—781.

(84) Estoire d'Eracles : op. cit., p. 38—44.

— ابن الاثير : المصدر السابق ، ص ٥٢٧ .

— Grousset : op. cit., p. 784—786.
— Runciman : op. cit.
— Setton : op. cit., p. 607.
— Lane — Poole : op. cit., pp. 200—201.

شعر ريموند بفداحة الخسائر التى تعرض لها الصليبيون بسبب الغارة التى قامت بها جيوش صلاح الدين الأيوبى ، لذلك استجاب لنداء الصلح بينه وبين الملك جاى وطرد السفارة التى أرسلها اليه صلاح الدين الأيوبى ، واستصحب السفارة الصليبية الى أحد حصون الاسبتارية ، حيث كان الملك جاى فى انتظارهم ، ولقد فرح جاى بهذا الصلح لأن منافسه القديم ريموند تخلى عن معارضته وأدى له قسم الولاء وانتهى الخلاف بين الملك جاى لوزجنان وريموند الثالث(٨٥) .

وفى الوقت الذى سادت فيه الانقسامات والخلافات بين صفوف الصليبيين كان صلاح الدين الأيوبى قد قطع شوطا كبيرا فى توحيد القوى الاسلامية ، وكلل الله محاولاته العديدة بالاستيلاء على الموصل ، ففى أوائل عام ١١٨٦ م عاد صلاح الدين الأيوبى الى الموصل واستولى على البلاد المحيطة به وضرب الحصار حول المدينة ، وترددت الرسل بين صلاح الدين الأيوبى وعز الدين صاحب الموصل ، وبينما كانت الرسل تتردد بين الطرفين مرض صلاح الدين مرضا شديدا وفى أثناء ذلك تقرر الصلح بين الطرفين وذلك فى ٣ مارس ١١٨٦ م وكان من أهم شروطه أن يحكم عز الدين الموصل باسم صلاح الدين وأن يخطب له على منابر بلاده ويضرب اسمه على السكة ، وبذلك اكتملت قوة صلاح الدين وزالت العوائق(٨٦) .

وكان صلاح الدين الأيوبى قد استعد فى أوائل عام ١١٨٧ م للجهاد ضد الصليبيين ، وذلك بعد هجوم ريجنالد شاتيلون على القافلة ، وبعد أن تم الصلح فى صيف عام ١١٨٧ م بين ريموند الثالث وجاى لوزجنان ،

---

(85) Estoire d'Eracles : op. cit., p. 45.
— ابن الاثير : المصدر السابق ، ص ٥٣٢ .
— Setton : op. cit., p. 608.
Grousset : op. cit., p. 786.
(86) Conder : the latin Kingdom of jerusalem, p. 146.
— ابن الاثير : المصدر السابق ، ص ٥١٦-٥١٧ .
— أبو شامة : المصدر السابق ، ص ٦٤ .

وصلت الى الصليبيين أخبار مؤكدة بأن صـــلاح الدين الأيوبى قد جمـــع قواته للحرب ، لذلك طلب الملك جاى بأن تتحرك القوات الصليبية من مدينة عكا الى صفورية حيث عسكرت هناك ، وبناء على نصيحة ريموند الثالث فقد طلب جاى مساعدة وعون من بوهيمند الثالث أمير أنطاكية(٨٧) .

عبر صلاح الدين بقواته الأردن فى أواخر يونية ١١٨٧ م وعسكر بها عند ثغر الأقحوانة ، ثم رحل عنها بعد أن مكث بها خمسة أيام وسار الى طبرية وأحاط بها وصعدت الجنود جبلها ، وعندما رأى صلاح الدين الأيوبى أن الصليبيين لم يتزحزحوا عن مكانهم الممتاز الذى يقفون فيه ، لجأ الى خطة اثارتهم لكى يتحركوا من مرج صفورية ، فأمر فريقا من قواته بالهجوم على مدينة طبرية ، واستطاعت قوات صلاح الدين الأيوبى أن تستولى على المدينة وقامت بحرقها ولجأ من بها الى القلعة ، وكان بهذه القلعة زوجة ريموند الثالث أمير طرابلس وأولادها(٨٨) .

أرسلت أميرة طبرية رسالة الى بيت المقـــدس تخبر الصـــليبيين بأن صلاح الدين الأيوبى دخل أراضى المملكة وحاصر مدينة طبـــرية ، وبمجرد أن وصل الخبر الى الملك جاى لوزجنان ، عقد اجتماعا للمحكمة العليا للتشاور ، وطلب أن يدلى كل نبيل برأيه ، وكان أول المتحـــدثين رئيس هيئة الداوية وريجنالد شاتلون ، وقال : ان صلاح الدين الأيوبى

---

(87) Estoire d'Eramles : op. cit., p. 45.

— ابن الاثير : المصدر السابق ، ص ٥٣٢ .
— أبو شامة : المصدر السابق ، ص ٧٦ .
— ابن شداد : المصدر السابق ، ص ٧٠ .
— Setton : op. cit., pp. 608—609.

(88) Estoire d'Eracles : op. cit., p. 48.

— ابن الاثير : المصدر السابق ، ص ٥٣٢ .
— ابن شداد : المصدر السابق ، ص ٧٦ .
— أبو شامة : المصدر السابق ، ص ٧٦ .
— Setton : op. cit., pp. 609—610.

اذا أخذ طبرية فانه سوف يستولى على جميع المملكة ، ويجب ألا يتــرك صلاح الدين بدون عقاب ، ولابد من السير الى طبرية ، ثم تحدث ريموند الثالث أمير طرابلس وطلب من الصليبيين عدم التحرك الى طبــرية ، ونصحهم بتحصين المدن الصليبية وشحنها بالسلاح والرجال والمــواد التموينية ، وأن تراقب القوات الصليبية تحركات صلاح الدين فقط ، وقال ريموند أن طبرية له ولزوجته وأنه مستعد أن يضحى بزوجته وأولاده فى سبيل الصالح العام[٨٩] •

اتهم كل من جيرارد رئيس هيئة الداوية وريجنالد شاتيلون ريموند الثالث بميله للمسلمين ، ولذلك فهو يخوف الصليبيين منهم ويبـــالغ فى قوتهم ، ولقد اقتنع جاى لوزجنان والنبلاء بوجهة نظر ريموند الثـــالث وتمت الموافقة على أن ترابط القوات ، غ يرأن جيرارد تسلل أثناء الليل الى خيمة جاى لوزجنان وأقنعه بعدم اتباع نصيحة ريموند الثالث لأن الصليبيين يشكون فى اخلاصه • وأصدر الملك جاى لوزجنـــان أوامره للجيش بالتحرك الى مدينة طبرية فى فجر ٣ يوليو سنة ١١٨٧ م للدخول فى معركة مع المسلمين ، ولقد دهش البارونات بهذا التغير المفـــاجىء وحاولوا التفاهم مع الملك ، ولكن دون جدوى وهكذا حقق جاى ما كان يريده صلاح الدين ، وعندما سمع صلاح الدين بتحـــرك الصليبيين من صفورية عاد من طبرية الى معسكره بعد أن ترك بعض القوات بها وذلك لكى يتمكن من قتال الصليبيين[٩٠] •

تعرض الجيش الصليبى للعطش أثناء عبوره من صـــفورية الى طبرية ، لأن هذه المنطقة خالية من المياه والنبات ، وعندما وصــلوا الى

---

(89) Estoire d'Eracles : op. cit., pp. 48—49.

— ابن الاثير : المصدر السابق ، ص ٥٣٣ •

(90) Estoire d'Eracles : op. cit., p. 49—53.

— ابن الاثير : المصدر السابق ، ص ٥٣٣ •

— ابن شداد : المصدر السابق ، ص ٧٦ •

— Lane — Poole : op. cit., p. 208.

التلال القريبة عن طبرية ، حاولوا الوصول الى المياه التى كان يسيطر عليها المسلمون وفشلوا فى ذلك ، وباتت الجيوش الصلبية تعانى من العطش ، وفى صباح السبت ٤ يوليو ١١٨٧ م (٢٤ ربيع الآخر ٥٨٣ هـ) ألتقى الجمعان عند حطين واستمات الفريقان فى القتال ، غير أن المسلمين كانوا أكثر حماسة لأنهم يدافعون عن أرضهم ، وعندما انهزم ريموند الثالث وجماعته ورأى أنه لا جدوى من القتال انسحب من المعركة بعد أن أبلى فيها بلاء حسنا ، وتعرض الصلبيون لهزيمة ساحقة(٩١) .

والأعداد التى نجت من القتل فى معركة حطين سلمت نفسها لصلاح الدين الأيوبى ، وكان من بين هؤلاء الأسرى الملك جاى لوزجنان وأخوه عمورى ، وهمفرى أمير الشقيف وريجنالد شاتيلون ورئيس هيئة الداوية ورئيس هيئة الاسبتارة ، وجلس صلاح الدين الأيوبى فى خيمته حيث استقبل الملك جاى لوزجنان وأخاه عمورى كندسطبل المملكة وريجنالد شاتيلون ، ورفض صلاح الدين أن يعطى أمانا للامير ريجنالد ، لأنه كان قد نذر أنه فى حالة أسره أن يقتله ، وذلك بسبب ما قام به ضد القافلة التى كانت تعبر من مصر الى دمشق ومحاولته غزو بلاد الحجاز ، وقد قام صلاح الدن الأيوبى وقتل ريجنالد بنفسه(٩٢) .

ولا شك أن جاى لوزجنان وجيرارد ريدفورت وريجنالد شاتيلون هم المسئولون عن كارثة حطين ، لقد كان ريموند الثالث مخلصا لبنى جنسه

---

(91) Estoire d'Eracles : op. cit., p. 62—65.
— ابن الاثير : المصدر السابق ، ص ٥٣٤—٥٣٨ .
— ابن شداد : المصدر السابق ، ص ٧٧ .
— Conder : op. cit., pp. 150—151.
— Lane — Poole : op. cit., p. 210—213.

(٩٢) ابن الاثير : المصدر السابق ، ص ٥٣٦—٥٣٧ .
— أبو شامة : المصدر السابق ، ص ٧٩—٨٠ .
— ابن شداد : المصدر السابق ، ص ٧٧—٧٩ .
— Estoire d'Eracles : op. cit., pp. 66—67.

عندما نصحهم بالبقاء فى صفورية وعدم السير الى حطين ، ودلت الأحداث أن اتهامات جيرارد ريدفورت لا أساس لها من الصحة ، لقد تحالف ريموند الثالث مع صلاح الدين الأيوبى من أجل بقاء الدولة الصليبية وليس حبا للمسلمين ، فقد كان ريموند بعيد النظر ورأى أن أحوال الصليبيين فى الشرق الأدنى تحتم عليهم العيش فى سلام مع المسلمين ، ولقد مات ريموند الثالث غيظا وحنقا بعد وصوله بقليل الى طرابلس ، ذلك لأنه تأكد بأن مملكة اللاتين قد أنهارت تماما .

بعد انتصار المسلمين فى حطين انهارت القوة العسكرية الصليبية ولم يترك الصليبيون قوات للدفاع عن المدن لأنهم حشدوا جميع قواتهم فى معركة حطين ، والتى قدرت بحوالى خمسين ألف راجل وفارس(٩٣) ، وهذه القوات ذهبت بين قتيل وأسير فى هذه المعركة ، لذلك سقطت المدن والحصون فى يد المسلمين فى فترة وجيزة ، فبعد أن انتهى صلاح الدين من حطين اتجه الى مدينة طبرية ، ولقد أرسلت اليه زوجة ريموند صاحبة القلعة تطلب الأمان لها ولأولادها ومالها ، وقد وافق صلاح الدين الأيوبى على طلبها ، وتسلم القلعة بدون قتال ، ثم أرسل الملك جاى مع بعض الأسرى الى مدينة دمشق(٩٤) .

وتوجه صلاح الدين بعد فتح طبرية الى مدينة عكا وكان يتولى شئونها فى ذلك الوقت جوسلين الثالث سنشال المملكة ولقد رأى جوسلين أنه لا يستطيع المقاومة ولذلك أرسل الى صلاح الدين مندوبا يخبره بأنه مستعد أن يسلم المدينة مقابل خروج من بها من الصليبيين سالمين .

---

(٩٣) تقدر بعض المؤرخين عدد القوات الصليبية التى اشتركت فى حطين بثلاثة وستون الفا ، والبعض تقدرها بخمسين الف وآخرون تقدروها بخمسة واربعين الفا ، انظر ابو شامة : المصدر السابق ، ص ٨٢ .

(94) Ertoire d'Eracles : op. cit., p. 68.

— ابن الاثير : المصدر السابق ، ص ٥٣٨ .
— ابن شداد : المصدر السابق ، ص ٧٩ .

ولقد وافق صلاح الدين الأيوبى على ذلك ، وخرج الصليبيون من عكا وهم يحملون كل ما استطاعوا حمله من الأمتعة والأموال ، ثم استولى المسلمون على نابلس بعد أن أعطوا أميرها باليان دى ابلين الأمان ، وكان صلاح الدين قد كتب الى أخيه العادل ، وقد وصل العادل الى بلاد الشام وهو فى طريقه استطاع فتح مدينة يافا عنوة وتم أسر من كان بها من الصليبيين ، ثم سار صلاح الدين الى تبنين واستولى عليها عنوة بعد قتال عنيف ، ثم نزل على صيدا وتسلمها بالأمان ، واستسلمت بيروت أيضا بعد حصار دام ثمانية أيام[٩٥] .

سار صلاح الدين بقواته الى مدينة عسقلان وضرب الحصار حولها وقاومت المدينة الحصار ، وكان صلاح الدين قد أحضر معه الملك جاى لوزجنان ورئيس هيئة الداوية ، وقد تعهد باطلاق سراحهما اذا استولى على البلاد الباقية ، وعندما اشتد القتال بين المسلمين والمحاصرين ، راسلهم الملك جاى وطلب منهم التسليم ، ودارت المفاوضات بين الطرفين ووافق صلاح الدين الأيوبى على خروج الصليبيين من عسقلان بأموالهم سالمين ، وتسلم صلاح الدين حصون الداوية فى غزة والنطرون وبيت جبريل بعد أن أمرهم رئيس الداوية الأسير بعدم المقاومة ، ولذلك أطلق صلاح الدين سراحه[٩٦] .

نزل صلاح الدين الأيوبى على بيت المقدس فى ٢٠ سبتمبر ١١٨٧ م (١٥ رجب ٥٨٣ هـ) وعسكر بالجانب الغربى من المدينة وبعد

---

(٩٥) عماد الدين الكاتب : المصدر السابق ، ص ٢٣—٢٤ .

— ابن الاثير : المصدر السابق ، ص ٥٣٩—٥٤١ .

— L, Estoire d'Eracles : op. cit., pp. 468—469.

— Runciman : op. cit., pp. 460—461.

(٩٦) أبو شامة : المصدر السابق ، ص ٩١ .

— العماد الكاتب : المصدر السابق ، ص ٣٤—٣٧ .

— Estoire d'Eracles : pp. 78—79.

خمسة أيام انتقل الى الجانب الشمالى لأنه كان أضعف من الجانب الآخر ونصب عليها المجانيق، وبلغ عدد المحاصرين فى المدينة من الصليبيين حوالى ستون ألف ما بين رجل وامرأة وطفل ، وكان باليان دى ابلين ضمن الصليبيين الذين لجئوا الى صور ، وعندما استولى صلاح الدين على مدينة نابلس ، ذهبت زوجته مع أولادها الى بيته المقدس ، لذلك أرسل باليان الى صلاح الدين يطلب منه الاذن بالذهاب الى بيت المقدس لاحضار زوجته ، وقد سمح له صلاح الدين بشرط ألا يكون حاملا للسلاح وألا يبقى فى المدينة سوى ليلة واحدة ، غير أن الصليبيين فى بيت المقدس ضغطوا على باليان وخاصة البطرك لكى يبقى للدفاع عن المدينة ، لذلك أرسل باليان يعتذر لصلاح الدين عن عجزه فى تنفيذ ما وعد به ، ولقد كان صلاح الدين الأيوبى كريما مع أعدائه فقد قبل عذر باليان وأكثر من ذلك سمح لزوجته وأولاده بالمرور الى مدينة صور(٩٧) .

تولى باليان دى ابلين قيادة الصليبيين فى بيت المقدس وأخذ يعد العدة للدفاع عن المدينة ضد الهجوم الاسلامى المرتقب ، ولم يكن هناك عدد كاف من المحاربين ، لذلك قام باليان بتدريب كل شاب ينتمى الى أصل نبيل وتجاوز ستة عشر عاما ورفعه الى رتبة فارس ، وقام بتخزين كل ما يستطيع من مواد تموينية ، ووزع السلاح على كل رجل يستطيع حمله(٩٨) .

اشتد ضغط المسلمين والتصقوا بسور المدينة ونقبوه وتهدمت أجزاؤه ، وعندئذ وجد الصليبيون أنه لا جدوى من المقاومة فأرسلوا وفدا يطلب الأمان من صلاح الدين الأيوبى ، ورفض صلاح الدين

---

(٩٧) ابو شامة : المصدر السابق ، ص ٩٤ .
— ابن شداد : المصدر السابق ، ص ٨١ .
— L, Estoire d'Eracles : op. cit., pp. 81—82.
— Runciman : op. cit., p. 463.
— L'Estoire d'Eracles : op. cit., pp. 70—71.
(98) Runciman : op. cit., p. 464.

الأيوبى فى البداية أن يعطى الصليبيين أمانا ، وأراد أن يستولى على المدينة عنوة وأن يفعل بالصليبيين ما فعلوه بالمسلمين عندما استولوا على المدينة فى أواخر القرن الحادى عشر ، غير أن صلاح الدين وجد أن ذلك سيؤدى الى تدمير المدينة وتخريب الأماكن المقدسة ، لذلك وافق على اعطاء الأمان بشرط أن يكون جميع من بالمدينة أسرى حرب ، ودارت المفاوضات بين الطرفين على هذا الأساس وتقرر أن يدفع كل رجل عشرة دنانير ، وكل امرأة خمسة دنانير وكل طفل دينارا واحدا ، وكل من يعجز عن دفع هذا المبلغ يصير أسيرا ، وبعد توقيع الاتفاق أمر باليان الصليبيين بالقاء السلاح ودخل المسلمون بيت المقدس فى ٢ أكتوبر ١١٨٧ م (٢٧ رجب ٥٨٣ هـ) بدون اراقة دماء ودون حدوث سلب أو نهب فى المدينة ، ولقد أمر صلاح الدين بدوريات حراسة فى الشوارع لمنع أى هجوم أو اعتداء على المسيحيين[٩٩] .

ثم أغلق أبواب المدينة وأوقف على كل باب أميرا لتحصيل الفدية بحيث لا يسمح لأى فرد بالخروج الا بعد دفع المبلغ المقرر عليه ، وقد قام باليان دى ابلين بدفع ثلاثين ألفا نيابة عن الفقراء ، وقد تسامح صلاح الدين مع الصليبيين الى أبعد الحدود وأمر باطلاق سراح المسنين وأزواجهم دون مقابل ، وقد جمع صلاح الدين الأيوبى من الجزية حوالى مائتى ألف دينار ، وسار المهاجرون من الصليبيين الى الشاطىء فى صفوف طويلة دون أن يتعرضوا للمضايقة أو الازعاج من قبل المسلمين[١٠٠] .

---

(٩٩) ابو شامة : المصدر السابق ، ص ٩٤—٩٥ .

— ابن شداد : المصدر السابق ، ص ٨٢ .

— L'Estoire d'Eracles : op. cit., p. 84—93, 94—95.

— Runciman : op. cit., p. 465.

(١٠٠) ابن شداد : المصدر السابق ، ص ٨٢ .

— ابو شامة : المصدر السابق ، ص ٩٥ .

— L'Estoire d'Eracles : op. cit., p. 96—99.

— Runciman : op. cit., pp. 466—467.

لم يبق الا مدينة صور وكان صلاح الدين قد تركها نظرا لحصانتها ، وقد ذهب الى هذه المدينة جميع الصليبيين الذين أعطاهم صلاح الدين الأمان ولذلك كثر الجمع فى مدينة صور ، غير أن هذه الحشود لم تجد قيادة تنتظم الصفوف لقتال صلاح الدين ، ولذلك عزم الصليبيون الذين كانوا فى صور على مراسلة صلاح الدين الأيوبى لتسليم البلد له ، ولكن وقعت مفاجأة غيرت مجرى الأحداث وهى وصول كونراد مونتفرات Conrad Montferat وكان كونراد قد وصل الى مدينة القسطنطينية فى عام ١١٨٥ م والتحق بخدمة الامبراطور اسحاق الثانى انجلوس ، وعندما سمع بأن مملكة بيت المقدس تعرضت لتهديد الغزو حصل على اذن من الامبراطور للذهاب الى فلسطين ، وقد وصلت سفينته الى مدينة عكا وكان صلاح الدين قد استولى عليها ، ومن حسن حظ الصليبيين أن اكتشف كونراد ذلك قبل أن ترسو السفينة فى الميناء ، وأسرع الى ميناء صور وقد وجد المدينة تستعد للتسليم ، غير أن وصوله رفع من الروح المعنوية لدى الصليبيين ، ورفضوا شروط الصلح التى عرضها صلاح الدين(١٠١) .

تولى كونراد القيادة ووافق الصليبيون على أن يعطوه مدينة صور فى مقابل الدفاع عنها ، ولقد أظهر كونراد شجاعة نادرة وقام بتحصين المدينة وجدد حفر خنادقها وترميم أسوارها ، واستخدم صلاح الدين الأسطول للضغط على المدينة ، وفى نفس الوقت شدد الهجوم على أسوار المدينة ، غير أن كونراد استطاع أن يصد الهجوم البرى البحرى

---

(101) Estoire d'Eracles : op. cit., p. 73—75.

— ابن شداد : المصدر السابق ، ص ٨٣ .

— ابن الاثير : المصدر السابق ، ص ٥٤٣—٥٤٤ .

— Runciman : op. cit., pp. 471—472.

— Setton : op. cit., p. 46 V. 2.

الذى قام به صلاح الدين الأيوبى ، وقد عقد صلاح الدين الأيوبى مجلسا مع كبار مستشاريه الذين أشاروا عليه بضرورة حصول القوات على فترة راحة ، لأنها أجهدت نتيجة للحروب المستمرة . ولذلك قرر صلاح الدين الانسحاب من أمام مدينة صور فى أوائل سنة ١١٨٨ م .

وهكذا أنقذت جرأة وشجاعة كونراد مدينة صور من السقوط فى يد المسلمين[١٠٢] .

---

(102) Estoires d'Eracles : op. cit., p. 76—78.

ـ ابن الاثير : المصدر السابق ، ص ٥٤٤ .

— Runciman : op. cit., p. 472.

— Lane — Poole : op. cit., p. 241.



مَلاحِقُ الكِتابْ

ملحـق رقم (١)

حجة بلدوين الثانى ملك اللاتين بخصوص مزرعة كفر ملك في منطقة نابلس[1] (١١٢٨ م)

غير أى مطالبة من قبل ورثتى وخلفائى أو أى انسان آخر • وقد أهديت

ذبسم الثالوث الأقدس الواحد الأب والابن والروح القدس ••
آمـين ••

أنا بلدوين الثانى بعونه تعالى ملك اللاتين فى القـدس لحسـن اعتقادى بأن خطايا النفوس المؤمنة يمكن أن تمحى بالصلوات الخاشعة ومنح الصدقات ، ومن راحة نفس سلفى الملك بلدوين طيب الذكر وزوجتى الملـكة ووالـدى ، منحت كنيسة القبـر الأقدس المقدسـة وفيلثيلم Willelmus رئيس الكنيسة ، والكهنة الآخرين الخادمين فيها الله تعالى بانتظام فى الحاضر والمستقبل منحتهم مزرعة كائنة فى منطقة نابلس تسمى كفر ملك مع ما يتبعها من حقول وفلاحين ، ما عدا فلاحى نفس المزرعة الذين نقلهم رومانوس دى بويه Romanus de Poolio الى مزرعة بيتيفلور Bethaflor وقد تمت منحتى هذه مطابقة لامتيازى الآخر الموجود عند الكهنة أنفسهم موثقا بالختم الملكى بحيث يملك الكهنـة المذكورون وكنيسة القبر الأقدس ، يملكون ويحوزون على المزرعة المذكورة بحـق أبدى من غير أى مطالبة من قبل ورثتى وخلفائى أو أى انسان آخر • وقد

---

(1) Assises de jerusalem Recueil des cuvrage de Jurisprudeca dans les Royoumes de jerusalem et e chypre, tome II publee par. M. le comte Beugnot, paris 1869 (p. 489).

أهديت هذه المزرعة لأن الكهنة أعفونى من دفع مائتى نقد بيزنطى Bizancii كانت مدخرة لهم فى نابلس ، وقد منحت ووهبت أيضا القبـــر الأقدس ورئيسه بطرس والكهنة الآخرين الفلاحين الذين سبق واستثنيتهم مع جميع أولادهم وورثتهم • وذلك بالاضافة الى المزرعة المذكورة وتوابعها وذلك أمـــام الكونت اندجافنســـيس Andegavensis وابنتى مليســـند وبموافقتهما بدافع الصدفة ، وبناء على طلب الكهنة أنفسهم ، فاذا تجرأ أحد وحاول أن يعترض على هبتى الشرعية هذه أو يبطلها بشـــكل من الأشكال يلعنه الله ان لم يندم ، ويمكث كمجرم تحت سلطتنا الملكية مع بقاء هبتنا هذه قائمة لا تزول •

وقد أمرت كاتبى اميلينوس Amelinos أن يسجل تأكيـــدى هذا على هذه الهبة وما أضيف اليها من فلاحين ويوثقه بالختـــم الملكى والرصاص بحضور السيد فيلهلم بطرك القدس المكرم وأمام شهود آخرين سجلوا أسماءهم كما يلى(٢) :

بطرس كاهنى الخاص Petrus, capellanus meus

رادلفوس خادمى Radulfus Camerarius meus

مارتينوس من النـــاصرة Martinus de nazareth

انسكاتينوس نائب كونت القدس
Anscatinus, Vicecomes Hierusalem

اولريكوس نائب كونت نابلس
Olricus, Vicecomes Neapolim

وآخرون كثيرون •

---

(2) Assises de jerusalem : op. cit., p. 490.

ملحـــق رقم (٢)

حجة فولك الخاصة بمنازل فى مدينة القدس(١)

بسم الثالوث الأقدس الواحد الأب والابن والروح القدس آمين •

منعا لأى أدعاء أو مطالبة أو أى نوع من الازعاج من قبل المذكرين أنا فولك الملك الثالث للاتين فى القدس بموافقة مليسند الملكة زوجتى وبلدوين ولدى ، قررت أن أسجل تأكيدى وأعلن حاضرا ومستقبلا أنى بمحض ارادتى وبدافع الدين لاغير ، أمنح لكنيسة القبر الأقدس ورئيسها وجميع مجلس الأخوة المقيمين فيها فى خدمة الله المنتظمة الحاضرين منهم والآتين فيما بعد ، أمنحهم هذه المنازل الآتى ذكرها الكائنة داخل أسوار القدس وهى : منزل الكاهن بطرس برناردوس Bernardus والـــكاهن ايفرادوس Evradi وكذلك منـــزل الكاهن ايراردوس Erradi ومنزل مايناردوس Meinardi ومنزل جارســـيونوس Garsionis ومنزل جالتيريوس لينترونيور Galterii Lentronior ومنزل برناردوس بورساريوس Brnardi Bursarii ومنزل هرلوين Herluini ومنزل روجيريوس Rogorii ومنزل مابيليا Mabiliae وهو أخو الكهنة المذكورين وكذلك مقرجويلليلم باستاردوس •

والقطعة التى كان يملكها جويلليلم Guillelmi لموائد الصـــيارفة وذلك لراحة نفوس أسلافنا الملوك ونفوسنا نحن ووالدينا وجميع الموتى المؤمنين لا سيما الذين سفكوا دماءهم لحيازة الأراضى المقدسة ، ثم اننى أنا فولك أمنح هذه المنازل خالصة ومستوفاة الحقوق وأثبت ملكيتهـــا وحيازة أملاكها بحق أبدى للكنيسة المذكورة وكهنتها معفاة من أى ضرائب ما عدا العدالة الملكية التى تقضى ببذل الصدقة التى يهبها الملك للكنيسة

---

(1) Assises de jerusalem : op. cit., p. 493.

المقدسة ، ولكى تبقى هذه المنحة ثابتة ومستقرة الى الأبد ، أحببت أن أرفق هذه الوثيقة بختمى الملكى وتأكيدها بتوقيع الشهود ذوى الشهادة الصادقة واسماؤهم كما يلى[٢] :

جويلليلموس بطريرك القدس	Guillemus
روبرتوس المنتخب فى الناصرة	Robertus
جاوفريدوس انبا المعبد	Gaufridus
جويلليلموس دى بوريس	Guillemus de Buris
رانيريوس برونى	Rainerius
بارى سانوتى	Bari Sanute
بلدوين رامنسيس	Balduinus Ramensis
راوردوس نائب كونت القدس	Roardus
انسيلموس دى بريبا	Anselmus de Bria
جرفاثيوس بورجنديسيس	Gervasius Burgundiensis
اولريكوس نائب كونت القدس	Ulricus
برناردوس فاسرس	Bernardus Vacers
يوحنــا الخادم	Joannes Camerarius
مارينادوس دى بورتا	Meinardus de Porta
نيقــولا	Nichola

(2) Assises de jerusalem : op. cit., pp. 493—494.

ملحـــق رقم (٣)

حجة للملك فولك خاصة بتبديل مزرعة تيكوا (١١٣٨ م)[١]

بسم الثالوث الأقدس الواحد الأب والابن والروح القدس آمين

ان عدالة الجلالة الملكية والنزاهة تقضى من الذين استحقوا أن يمثلوا بعونه تعالى العرش الملكى أن يهتمو ببناء الكنائس وتنشيط شئون الدين والعبادة كلما استطاعوا الى ذلك سبيلا . تنشيطا للدين هذا أنا فولك بنعمته تعالى الملك الثالث للاتين فى القدس وبناء على رغبة الملكة مليسند زوجتى ولراحة نفس والدها بلدوين الملك سلفى ونفس بلدوين الأول طيب الذكر ملك اللاتين فى القدس وأخيه القائد جودفرى ولخلاص نفوسنا ونفوس ورثتنا وأسلافنا وأهلنا ، أنا وزوجتى الملكة مليســند منحنا بعد توسلات ملحة للسيد بطريرك كرسى القدس فيلليلم Willelmus وبطرس رئيس قبر الأب ، وجميع مجلس اخوته وهم روبير Roberto رئيس الشمامسة وانسيلوموس Anselmo رئيس المرنمين وجودفرى Godefri أمين الصندوق واولجرين Ulgrino المشرف وبطرس برناردووس Bernardi وجـــيربرتوس Girberto وجوازبيرتوس Goisberto وابيرتوس Oberto وروبيرتوس Roberto ويطـــرس جامع التبرعات وبطـــرس الخـــادم الخاص ولاميرتوس Lamberto واينمريكوس Aimerico وبطرس وجيرالدوس Gilards وانشريكوس Ancherico وايفيراردوس Everardo وبرخاردوس Burchardo وفيلليلم Willelmo من بوديو Podiensi وفيلليلم من بيتوريكا Bituricens وباقى أعضاء المجلس منحنا كنيسة القديس العازر الكائنة فى بيت عنيا وذلك كما سبق

---

(1) Assises de jerusalem : op. cit., p. 494.

وقلنا لتقوم هذه الكنيسة بخدمة رجال الدين من رهبان وراهبات بمزيد من الخشوع عما سبق وتحت اشرافنا وتبقى ثابتة مستقرة بلا انقطاع فى الأمانة والطاعة وبمزيد من الحرية عن زميلاتها الكائنات فى أبرشـــية القدس • وكل من دخل شرعيا كنيسة القديس العازر هذه لخدمة الدين المقدس لا ينقصه الغذاء المادى وبتأييد السيد فيلليلم البطريرك وهبته يمنحهم بطرس رئيس القبر المذكور وكهنته والأخوة ما يحتاجون لمعيشتهم من مبان وأرزاق ومنازل أى أملاك هذه الكنيسة الكائنة فى مدينة القدس أو خارجها مع فلاحيها وبدوها أعنى المزارع التابعة للكنيسة نفسها وهى : بنو هنيا وبنو هابيت ورجيه ورمحه ، انهم يهبون هذه كلها بتوابعها كاملة خالصة على ما كانت فى كامل حوزتهم معفاة من أى دية أو عشور ، ويعدون أن يتصدوا بالطريقة الشرعية لكل مدع ضدها وكبديل لهذا كله وبرغبتنا وموافقتنا أنا فولك ملك القدس وأنا مليسند الملكة وبموافقة ابننا بلدوين وكذلك بموافقة الآنف الذكر فيلليلم ، وأيضا بموافقة وتشـــجيع رجال الدين الحاضرين وبتشجيع وتأييد الأمراء ، نهب الكنيسة الأم وقيامة الرب المجيدة وللكهنة والذين يمارسون أو سيمارسون فيها الخدمة الكهنوتية الآن وفيما بعد • المزرعة المدعوة تيكوا Theche وجميع توابعهـــا من حقول وفلاحين وبدو ، وجميع ورثتها أى جميع أسياد هذه المزرعة الذين تصرفوا أو سيتصرفون بشىء من موارد أملاكها والمراعى المحيطة بها منذ حصار أنطاكية الى يومنا هذا • نمنحها خالصة كاملة الحقـــوق بنفس حرية التصرف المعهودة لنا فى حيازتنا لها ونتعهد بموجب المبادلة أن ندافع عنها الآن وفى المستقبل ضد أى ادعاء عارض • وضمانا للتصرف الحر بمبادلتنا هذه نقضى بسخائنا الملكى أن يسمح لسكان تيـــكوا أن يجمعوا فى البحر الميت القار المسمى عند العامة (القطرونة) كما عهدوا ذلك فى أيامنا ، وأن يستخرجوا أيضا الملح من الأماكن المجاورة •

ولكى تبقى هذه المبادلة وشروطها ثابتة مستقرة ، نقر الصـــفحة المحرر فيها صيغة الأمور المذكورة بقرار مشترك وتستمر مؤيدة بتوقيع

ختمنا البطريركي والملكي ، ومدعمة بالشهادة الصـــادقة لرجال شرعيين نذكر اسماءهم فيما يلى بحيث تبقى الى الأبـــد مصونة بعـــد أن نتركها للخلف ليحافظوا عليها • وقد حضر وأبدى موافقته على كل هذا وشهد عليه(٢) :

جاودنيوس رئيس مطارنة قيصرية	Gaudentius
روجيريوس مطران رام الله	Rogerius
أنسلموس مطران بيت لحم	Anselmus
رانيريوس مطران سبسطة	Reinerius
برناردوس مطران صيدا	Bernardus
روبرتوس المنتخب فى الناصرة	Robertus
جاوفريدوس رئيس رهبان معبد الرب	Gaufridus
ارماندوس رئيس جبل صهيون	Armandus
فيلليلموس رئيس رهبان جبل الطور	Willelmus
الياس رئيس رهبان تدمر	Helyas
هاربرتوس رئيس شمامسة طبرية	Harbartus
جيرالدوس رئيس وادى يوشافاط	Giraldus
فيليب سيد قيصرية	Philippus
برناردوس وارنولفوس الكاهنان فى بيتلحم	Bernardus et Arnulphus
بطرس الكاهن الخاص	Petrus
بارثولموس الكاهن	Bartholomeus
امليوس وهنريكوس شماسى البطريرك	Amelius et Henricus
بلدوين كاتب البطريرك	Balduinus
رادولفوس الكاهن فى جبل صهيون	Radulfus
بطرس الكاهن فى سبسطه	Petrus

وآخرون كثيرون •

(2) Assises de jerusalem : op. cit., p. 494—496.

ملحـــق رقم (٤)

تنازل الملكة مليسند عن حقها فى فلاحى بيت سوريان دى كالاندريه[1]

بسم الثالوث المقدس الواحد الأب والابن والروح القدس آمين .

هناك قاعدة أقرها القدماء منذ زمن بعيد جديرة بالاعتبار وهناك تقليد عريق أتبعه الآباء القديسون أنفسهم كما أوصونا نحن خلفـــاؤهم باتباع أمثالهم الصالحة ، وهو أن تكتب الأمور بالنقاط والحروف ، وتحفظ فى الصفحات تخليدا لذكراها وتسجيل أى حادثة من الحوادث كى لا يمحى ذكرها من أذهان الناس مع مر الزمان وتوالى الأعوام ، ولحفظ حيثيتها بدقة وتوطيد قيمتها وحجتها . انى أنا مليسند بكرم من الله ورحمتـــه ملكة القدس رغبة منى فى اقتفاء آثارهم جميعا بحذافيرها ، أعلن وأسجل تأكيدى لجميع الناس حاضرا ومستقبلا أنى أتنازل راضية بلا اكراه عن حقى الذى طلبته من كنيسة القبر الأقدس وكهنتها بايعاز من بعـــض الناس بخصوص عمال بيت سوريك وهم :

سلمان بن معدى ، وعبد الرحمن، سليم وحسن ، نعسان Nasen ومكرليم Mekerlem ، وســليمان وصـــادق ، وابراهيم ، ورايمث Raimet ، ونازر ، وأريز Ariz ، ومحمود وظافر ، ودنسيس Densis ، ورسلم Resselem ،وتامح Tameh ، وروسك Rosec وساهى Sahe ، وسالم بن صادق وآخرين مع حقول مزرعتهم ، وذلك برضاى وموافقة ولدى الملك بلدوين وعمورى كونت يافا ، وأيضــا بنصيحة وتشجيع رجال صالحين ، بحيث يصبح العمال المذكورون المتنازع عليهم مع جميع أتباعهم ، وكذلك الحقول المذكورة فى حــوزة وتصرف ، وملكية الكهنة الى الأبد بلا منازعة أو مطالبة من طرفى أو طرف أحـــد ورثتى ، وذلك منحة وتنازل منى وبرضاى وبلا اكـــراه ، كما حاوزها

---

(1) Assises de jerusalem : op. cit., p. 513.

وتصرف فيها وملكوها من أيام القائد العظيم جودفرى بكل الرضا وبلا أى اكراه •

ونضيف الى هذا التنازل سريان كالاندريه Calandria وهم : كوزماس Cosmas وسناحين Sennahian وصموئيل ويوحنا ومفرج Mefferreg وجرجس الذين سبق ومنحنا (الكهنة) من عندهم مقابلهم المركز الذى كان فى حوزة فيللهلم باستارد Willelms Bastardi وسهمهم فى مائدتى الصيارفة ، وذلك لفتح طريق جديد فى القدس •

ونضيف على ذلك العمال السريان فى راميته وهم : أبو الفرج ويعقوب وابراهيم واسحق الذين سبق أن كانوا موضوع نزاع الكهنة المذكورين ، ونضيف أيضا الكرم الذى منحته لهؤلاء السيدة جيسليا Gislia حرم السيد روهارد Rohardi لراحة نفسها قبيل رحيلها عن هذا العالم • ونقر حيازتهم وتصرفهم وملكيتهم للسريان المذكورين مع جميع أولادهم وأتباعهم والكرم المذكور كما يليق والى الأبد •

وحرصا منا على ملكية هذه الأشياء كلها كما سبق وذكرنا هى ثابتة لازمة مستقرة لكنيسة قبر الرب ، من غير أى تدخل أو ادعاء من قبل أى انسان رجل دين كان أو علمانيا قررنا توثيق نص هذه الحجة لصالح الكهنة المذكورين بتذييلها بختمنا ، وهناك شهود عن ذلك وهم التالية أسماؤهم :[٢]

روهاردوس وحفيده رادولفت	Rohardus et Radulphus
يوحنا دى فالنتينوس	Johannes de Valentiennes
بابينوس	Babinus
فولك	Fulco

(2) Assises de jerusalem : op. cit., pp. 513—514.

ســالم	Salem
بنكلينوس	Bencelinus
ثوزيتوس	Thosetus

فهؤلاء جميعا حضروا الى الأرض الواقع عليها النزاع مع غيرهم وهم :

روكس الناصرى	Roches de Nazarth
ارمنادوس	Ermenaudus
الياس اخـــوه	Helias Frater ejus
نيكولاوس الحاجب	Nicolaus Camerarius
اودو دى توركارين	Odo de Turcarine
رادولف ليفانشتفريس	Radulfus Li Fanchevirs
هربرت دى رجيتست	Herbertus de Regiteste

الذين حضروا تنازلنا هذا لسنة ١١٥٢ للتجسد الربانى ، الحقبــة الخامسة عشر •

ملحـــق رقم (٥)

بشأن مبادلة النبيل يوحنا ســنة ١١٥٥ م[1]

بسم الثالوث الواحد المقدس الأب والابن والروح القدس آمين

ليعلم الجميع حاضرا ومستقبلاً انى أنا بلدوين بنعمته تعالى الملك اللاتينى الرابع لمدينة القدس بموافقة الملكة مليسند والدتى وبايعـــاز من أخى عمورى كونت عسقلان أوافق على المبادلة التى تمت فى أيام السيد فولك والدى ملك مدينة القدس المعظم ، بين النبيل يوحنا وكهنة القبر المقدس فى خصوص مزرعتين وهما : فى مجينة Magina ومزيرا Mazera وكل توابعهما ، مقابل مزرعتين آخريين للقبـــر المقدس فى كفر ملك وانكوينا Anquina وتوابعهما وقد سمح بهذه المبادلة بابينوس الذى كان قد نال منه يوحنا المذكور اقطاعيته وأقرها بحضورنا وحضور الملكة مليسند كما سمح بهذه المبادلة نسيبه بيتروزوس Petrosus كذلك وافق عليها أيضا برونا Bruna زوجة يوحنا وولداه توماس Thomes وأوستاكيوس بشرط واحد أنه اذا ما حصلت فى المستقبل أية منازعة بخصوص مبادلة هذه المزارع فان يوحنا نفســـه صاحب هذه المبادلة وورثته ، وكل من صار اليه الورث من بعده مسئول عن ذلك أمام كنيسة القبر المقدس • وأى ضرر قد يمس كهنة الكنيســـة المذكورة بسبب ما قد ينشب من منازعات عليهم تعويضه تعويضا كاملا للكنيسة وكهنتها حسب ما يقدره رجال نزهاء • ولما كانت هذه المبـــادلة قد تجددت فى أيام الملك فولك والدى لكنهـــا لم تتم كما يليق ويتفـــق ورغبات كهنة كنيسة القبر الربانى المذكورة بسبب اعتراضات تقدم بها المذكور يوحنا جئت أنا المضطلع على هذه القضية فى كل جوانبها بنظرة حيادية ، ولكونى كنت حاضرا فى أثناء عقد المبادلة وسمعت المذكورين سابقا يسمحون بها فيما بعد ويقبلونها ، جئت أقرها وأويدها بكل تواى

(1) Assises de jerusalem : op. cit., p. 514.

كما أثبت هذه الوثيقة المتضمنة المبادلة وحيثيتها وأذيلها بختمى لخلاص نفسى ونفوس ذوى من أحياء وأموات فلا يتجرأ أحد أو يعترض على هذه المبادلة ، واقرارها بحيث تتم الملكية لكنيسة القبر المقدس السالفة الذكر عن طريق مساعى أنا فترفع الصلوات من أجلى الى الله القدير على كل شيء من أجلى كما يليق بعد اقرارى هذه المبادلة السابقة الذكر • وقد تم هذا كله سنة ١١٥٥ م للتجسيد الربانى فى الحقبة الثالثة ، وشهود ذلك هم(٢) :

اندرياس من مونتى بارو المشرف على المعبد	Andreus
هومفريدوس نائب قائد الجيش	Humfradus
فيليبوس من نابلس	Philippus
جويد واخوه الفرنسى	Guido
هوجـــو	Hugo
اودو	Odo
اسحاق المشرف على قلعة داود	Isaac
جويلليلم دى بارى	Guillemus de Barra
جالفـــان	Galvannus
روبيرتوس ازيتوس	Robertus
توماس	Thomas

(2) Assises de jerusalem : op. cit., p. 514—516.

ملحــق رقم (٦)

بشأن تنازل الملكة مليســند عن عمال بيت سوريان

ســنة ١١٥٥ م[1]

بسم الثالوث الواحد المقدس الأب والابن والروح القدس آمين

أنا بلدوين بنعمته تعالى الملك الرابع للاتين فى القــدس ، أعلن للجميع حاضرا ومستقبلا أن التنازع الذى تقدمت به الملكة مليســند والدتى بايعاز من بعض الناس ضد كنيسة القبر المقدس وكهنتها بخصوص بيت سوريان وأراضيها وعمالها وهم سلمان ومهدى وعبد الرحمن وسليم وهاشم ونعسان ومكرلن Makerlen وسليمان وصادق وابراهيم ورايمت Raimet وناصر وحارث ومحمود وظافر ودنسيس Densis ورسلم Resselem وتامح Tamieh ورزق وساهى Sahe وسالم بن صادق والباقين جميعهم ، أعلن أنى أتنازل نهائيا برضـاى ومن غير اكراه لصالح الكنيسة المذكورة وكهنتها بموافقة ورضا الملكة أمى السابقة الذكر وعمورى أخى كونت عسقلان وبايعاز وتأييد أناس صالحين، وبالتالى فلن كهنة كنيسة القبر المقدس الخادمين حاليا والذين سيخدمون فى المستقبل لهم حيازة وحق التصرف الى الأبد وملكية العمال المذكورين الذين نشب بسببهم التنازع مع جميع أتباعهم والأراضى المذكورة بمنحة وتأييد منى مع حرية التصرف ومن غير مانع أو عائق فى المستقبل كما سبق وحازوهم بمطلق الحرية والايمان • وقد أضاف الكهنة المذكورون على منحتى وعطائى السوريان الذين فى كالاندريه وهم كوزماس وسناحين وصموئيل ويوحنا ومفرج وجرجس ، فقد منح الكهنــة مقابل هــؤلاء أمى القطعة التى كانت سابقا لجوليلم باستازدوس Bastardus السهمين اللذين كانوا يملكونهما فى مائدة الصــيارفة

---

(1) Assises de jérusalem : op. cit., p. 515.

لفتح طريق فى مدينة القدس ، ثم انى أضيف على ذلك السوريان الذين فى رامينا وهم أبو الفرج ويعقوب وابراهيم واسحق ، وكان قد حدث نزاع فى شأنهم بين الملكة والكهنة ، وأضيف كذلك الكرم الذى وهبته السيدة جيسليا Gislia زوجة روهارد للكهنة قبيل رحيلها من هذا العالم لخلاص نفسها • وانى أعود وأقر أن يحتفظوا الى الأبد ويحوزوا ويمتلكوا جميع السوريان المذكورين مع جميع أتباعهم الذين من جنسهم ، وكذلك الكرم المذكور وفقا لما ذكر • وحرصا منا على أن تبقى هذه الأشياء كلها التى ذكرناها وعلى ما حددنا لازمة ولاصقة بكنيسة قبر الرب على مدى الأيام مع رفض أى ادعاء أو تأويل أو تدخل من قبل أى شخصية علمانية كانت أم كنسية • قررنا ن نخط لكهنة الكنيسة المذكورة هذه الوثيقة وتذييلها بختمنا منعا لكل المنازعات وقد تم ذلك فى سنة ١١٥٥ م فى الحقبة الثالثة • وشهد على ذلك(٢) :

جاوفريدوس راعى كنيسة هيكل الرب	Gaufridus
انجرانوس رئيس جبل صهيون	Engerannus
اندرياس من مونتى بارو قائد حرس الهيكل	Andreas
هانفريدوس مساعد السائس	Hanfredus
فيليبوس نيابوليتانوس	Philippus Neapolitanus
هوجو أحد سادة قيصرة	Hugo
هوجو دى هيبلينو	Hugo de Hybelino
جويد و فرانكيجين	Guido Francigena
اودو دى سانكتو اماندو	Odo de Sancto Amando
جويليلموس دى بارا	Guillemus de Barra

(2) Assises de jerusalem : pp. 515—516.

يوحنا دى فالنتينيان	Johannes de Valentiennes
اسحاق حارس قلعة داود	Isaac
بابينوس	Babinus

تحرر فى مدينة القدس بخط الكاتب رادولفوس فى الثامن والعشرين من شهر يونية •

ملحـــق رقم (٧)

امتياز الكونت عمورى بخصوص وقف جكاديا Gekadia وتأكيد ملكيته جميع العقارات الخاصة بكنيسة القيامة فى بلاده سـنة ١١٦٠ م[1]

بسم الثالوث الواحد الأقدس الأب والابن والروح القدس آمين

ليعلم الجميع فى الحاضر والمستقبل أنى أنا عمورى بنعمته تعـــالى كونت عسقلان ، وبموافقة سيدى وأخى بلدوين ملك القدس ورضاه ، وكذلك بتشجيع من السيدة الملكة مليسند أمى ، أعطى وأمنح وأقف لكهنة القبر المقدس ولزملائى الخادمين فيه وللكهنة الذين سيخدمون المزرعة المدعوة GeKadia وستة عشر فدانا من الأرض وقفا مؤبدا لخلاص نفسى ونفوس جميع أقاربى الأحياء منهم والأموات تعويضا عن التكاليف والحملة التى قاموا بها لاحتلال مدينة عسقلان ، وذلك وفقا للاجراءات التى أتمها رجالى فى وقفها وتقسيمها ، وتعيينها وتحديدها بالخطـــوط والحدود • كما أمنح واقف لنفس الكهنة وزملائى هؤلاء أحد المنازل فى عســــقلان وفدانين فى الأرض فى المزرعة المدعـــوة بين البـــــدران Baineolbedran عوضا عن مسجد منحوه فى عسقلان عند سقوطها، وقد منحنى الكهنة المذكورون وأهدونى وأعطونى أنا ومن يخلفنى ذلك المسجد كبديل لهذين الفدانين والبيت المذكور ، وذلك بموافقـــة كامل مجلسهم ، وهذا المسجد يسميه المسلمون الخضراء وباللاتينية Virids ، كما أنى أقف لزملائى أكثر من مرة الأربعة فدادين وتخومها وبستانا واحدا قبل يافا ، والكرم المجاور له ، بالاضـــافة الى الكرم الذى وهبتهم اياه للصدقة ، انى أقف لهم كل ما يمتلكونه عدلا وشرعا وما يحوزونه آمنين بلا منازع فى عسقلان وضواحيها وكذلك فى يافا وضواحيها • وتوثيقا لملكية زملائى واخوتى الكهنة المذكورين ملكا مؤبدا وآمنا ومستقرا لهذه

(1) Assises de jerusalem : op. cit., p. 522.

الأشياء كلها ومعفيا من أى ضريبة أو عبء ، ذيلت هذه الوثيقة بختمى وبتوقيع الشهود صار فى سنة التجسيد ١١٦٠ م الحقبة التاسعة وكان الشهود على ذلك(٢) :

جونتريوس رئيس دير جبل صهيون	Gunterius
ايمريكوس رئيس جبل الزيتون	Aimericus
راينريوس الكاتب	Rainerius
رادولفوس رئيس شمامسة القدس	Radulfus
سيمون دى هوزدن	Simon de Hosdene
جوسلينوس دى ساموزاك	Jocelinus de Jamusac
برترام السائس	Bertram, Marescaldus
روهاردوس اليافى واخوه باريزانوس	Rohardus
رايناالدوس اليافى	Rainaldus de Joppe
جربرنوس والبرتوس ولامبرتوس وبيلاتوس	Gerbertus, Albertus, Lambertus, Pilatus
جويلليلموس روفس	Guillemus Rufus
جيللبرتوس الحاجب	Gillebertus

صـــادر فى يافا على يد رادولفوس Radulfi الـكاتب الأول من ديسمبر .

(2) Assises de jerusalem : op. cit., p. 522.

ملحــق رقم (٨)

امتياز عمورى ملك اللاتين الخامس
بخصوص وقف القبر المقدس وحرية تصرفه سنة ١١٦٤ م[1]

بسم الثالوث الواحد الأقدس الأب والابن والروح القدس آمين

ليعلم الجميع حاضرا ومستقبلا أنى أنا عمورى بنعمته تعالى ملك اللاتين الخامس فى مدينة القدس رغبة مني فى اقتفاء آثار أســلافى الطيبين الذكر أعنى القائد جودفرى وأخويه بلدوين ملك القدس الأول والملك بلدوين الثانى وفولك والدى وبلدوين أخى طيب الذكر الملك الرابع لنفس المدينة ، أقف وأهب لكنيســة قبر الرب وللكهنة الخادمين فيهــا حاضرا ومستقبلا لخلاص نفسى وخلاص ذوى الأحياء منهم والأموات ، كل ما حازوه شرعا وعدلا عن طريق الهبة أو المنحة أو التعويض أو الشراء ضمن حدود مملكتى منذ أيام القائد جودفرى الى يومنا هذا .

صادر فى سنة التجسيد ١١٦٤ م الحقبة الثانية عشرة وكان الشهود على ذلك :

يوحنــا	Johnnes
ريكادوس	Ricardus
رادلفوس رئيس سبسطة	Radulfus
جالتريوس سيد الجليل	Calterus
همفرى سيد الشقيف والكندسطبل	Humfredus
جيرارد من صــيدا	Girardus

(1) Assises de jerusalem : op. cit., p. 524.

فيليب سيد نابلس	Philippus
هيـــو سيد قيصرية	Hugo
جويدو فرنسجنا	Guido Francigena
فولك من طبـــرية	Fulco
وجورمندوس من طبرية	Gormundus
هنريكوس بافالوس	Henricus Bufalus
اودو دى سانكتو اماندو	Odo de Sancto Amando
فيلليلم السـائس	Willelmus
روردوس سيد نابلس	Roardus
انسلموس دى بارى	Anselmus
روردوس من يافا	Roardus
باجانوس دى فو	Poganus de Voh
جوسلين باسللوس	Jocelinus Pesellus

صادر فى عسقلان على يد رانولفوس مطران بيت لحم وكاتب الملك ١٣ يوليـــة .

ملحق رقم (٩)

شراء مزرعة القديس ايجيديوس سنة ١١٧٥ م

باسم ربنا يسوع المسيح آمين ..

ليعلم جميع المؤمنين بالمسيح حاضرا ومستقبلا ، أننى أنا بلدوين بنعمته تعالى صاحب مزرعة القديس ايجيديوس وبحضور السيد روأردوس Roardus الحاجب فى القدس وغيره من الرجال الصالحين ذكرت أسماءهم آنفا ، وافقت أنا وزوجتى استفانيا Stephania على شراء جميع المبانى والكروم وملحقاتها كلها من قبل السيد بطرس رئيس القبر المقدس وكهنته ، وكانت سابقا ملكا لرئيس جبل الطور ورهبانه اما عن طريق الهبة من قبل أسلافى واما عن طريق شراء المزرعة المذكورة وحيازتها والشهود على ذلك هم[1] :

روأردوس حاجب القدس	Roardus
انسلموس دى برى	Anselmus de Brie
سيمون دى بثلم	Simon de Bethleem
اندراوس الحيفى وهو من الجنود	Andreas de Gayfa
جاوفريدوس من الشقيف	Gaufridus
روبرتوس دى بينكجنى	Robertus de Pinkegni
يوحنا رايمندى	Joannes Raimundi

---

(1) Assises de jerusalem : p. 531.

المعـلم W. Patronus

رادولفوس اخو رئيس أساقفة صور Redulfus

برناردوس برويت من مواطنى القدس Arnulfus de Mahom

ارنولفوس دى ماهوم

جوارينوس من نابلس من المعبد حاجب الملكة ماريا Guarinus

تم ذلك سنة ١١٧٥ م للتجسد الحقبة السادسة ١٥ يناير •

المصادر والمراجع

أولا : المصادر غير العربية :

1 — Anna comnene :

The Alexiad, London 1967.

2 — Anonymous : Syriac chronicle :

The first and second crusades (Tran. by Tretton. S. with notes by Gibb. H. R. R) in journal of Royal Asiatique Society. London 1933.

3 — Bar Hebreaus : Gregory Abulfaraj :

The chronography, vol. I, political History (ed. with english trans, by A. Wallis Budge) Oxford 1932.

4 — Chronique de Michel le syrien patriarch d'Antioche 1166—1199 (traduite par chabot) Paris 1905.

5 — Chronigue de Zimmern :

(ed par, H. Hagnemeyer) dans Archives de L, orient latin. t. 2, Paris 1884.

6 — Chronique de gregoire le pretre in R. H. C. Doc Arm, t. I, Paris, 1869 — 1906.

7 — Cinnamos. J. :

Epitome Historiarum in corpus scriptorum Historiae Eyzantinae, Bonn 1836.

8 — Documents relatifs à a regence, Assises de jerusalem t. II, Paris 1841 — 1843.

9 — De vitry jacques :

The History of jerusalem vol. XI. Tran, from the original latin by Aubrey stewart, London 1896.

10 — Fabri felix :
The Book of wandering, 2 vals, 4, parts, tran. by Aubrey stewart. London, 1893.

11 — Fetellus :

in palestine pilgrims text society 13 vols and indx, London 1896 — 1897.

12 — Fulcher of charters :

A History of the Expedition to jerusalem 1095 — 1127 (edited by Harold, S. Fink). America 1969.

13 — Hethom comte de Gorigos :
in R. H. C. Doc, Arm, t. I.

14 — Livre au Roi :
Assises de jerusalem, 2 vols. 1841 — 1842.

15 — L'Estoire d'Eracles :
L'Estoire Eracles, Empereur dans Recueil des Historiens des croisades, Historiens occidentaux, 5 vols, 1847 — 1895.

16 — D, ibelin, jean :
Le livre de jean D, ibelin :, Assises de jerusalem, tome,I paris 1841.

17 — Matthieu d, Edesse :
in Document Armeniens, 2 vols, 1869.

18 — Ordrio vitalis :

Historia Ecclesiastica in patrologiae latinae cursus completus, t. 188.

19 — Odo of Deuil : in Making crusades texts trans by Enid Mcheod, London 1962.

02 — Rauel de caen :

Gesta Tancred in Expeditione Hierosolmatani in R. H. C. oco t. 3.

21 — Roger of wendover :
Flowers of History, Tran, from the latin by J. A. Gilles, vol I, London 1849.

22 — Samuel d, Ani :
in Document Armeniens, 2 vol, 1869.

23 — Un Episode de l'histoire des croisades par, M. J. B. chabot (ed et trad) in Melanges offerts, A. M. Gustave schlumberger october 1924.

24 — Numismatique de l,orient :
pablie par Gustave schlumberger paris 1878.

25 — William of tyre :
A History of deeds done beyond the sea, 2, vols tran. by Emily Atwater Balcock and A. C. Kery New york 1943.

ثانيـا : المصادر العربية :

١ — ابن الاثير : (ت ٦٣٠ هـ/١٢٣٢ م) علاء الدين أبو الحسن على بن أحمد ، الكامل فى التاريخ ، ١٣ جزء ٠

٢ — ابن العديم : (ت ٦٦٠ هـ/١٢٦٣ م) كمال الدين أبو القاسم عمر ، زبدة الحلب فى تاريخ حلب ، بيروت ١٩٥٤ — ١٩٦٨ م ٠

٣ — ابن جبير : (ت ٦١٤ هـ/١٢١٧ م) أبى الحسين محمد بن أحمد الاندلسى ، رحلة بن جبير ، الطبعة الأولى ، القاهرة ١٣٢٦ هـ/ ١٩٠٨ م ٠

٤ — ابن القلانسى : (ت ٥٥٥ هـ/١١٦٠ م) أبو يعلى حمـزة ، ذيل تاريخ دمشق ، بيروت ١٩٠٨ م ٠

٥ — ابن شـداد : (ت ٦٣٢ هـ/١٢٣٤ م) بهاء الدين أبو الحسن يوسف ، النوادر السلطانية ، تحقيق د٠ جمال الدين الشيال ، القاهرة ١٩٦٤ ٠

٦ — ابن كثير : (ت ٧٧٤ هـ/١٣٧٣ م) اين عمر بن كثير القرشى ، البداية والنهاية فى التاريخ ، ١٤ جزء ، القاهرة ١٩٣٢ م ٠

٧ — أبو شـامة : (ت ٦٦٥ هـ/١٢٦٦ م) شهاب الدين عبد الرحمن بن اسماعيل ، كتاب الروضـتين فى أخبار الدولتين النـورية والصلاحية ، الجزء الأول ، القسم الثانى ، تحقيق د٠ محمـد حلمى ، القاهرة ١٩٦٢ م والجزء الثانى ، مطبعة وادى النيل ، القاهرة ١٢٨٨ م ٠

٨ — أبو الفـدا : (ت ٧٣٢ هـ/١٣٣٢ م) الملك المؤيد اسماعيل بن على ، المختصر فى أخبار البشر ، ٣ أجزاء ، القاهرة ١٣٢٥ هـ ٠

٩ — المقريزى : (ت ٨٤٥ هـ/١٤١٢ م) تقى الدين أحمد أبو على ،
المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ، جزءان ، بولاق ١٢٧٠ .

١٠ — عماد الدين الكاتب الاصفهانى : (ت ٥٩٧ هـ/١٢٠٠ م) أبى
عبد الله محمد بن محمد ، الفتح القسى فى الفتح القدسى ،
القاهرة ١٣٢١ هـ

١١ — موسى بن محمد : (ت ٦٤٠ هـ/١٢٤٢ م) موسى بن محمد
عبد الملك وآخرين ، النجوم الزاهرة فى حلى القاهرة ، القسم
الخاص بالقاهرة من كتاب المغرب فى حلى المغرب ، تحقيق
د. حسين نصار ، القاهرة ١٩٧٠ م .

ثالثا : المراجع الأجنبية :

1 — Archer : T. A and Kingsfard the crusades, the story of the latin kingdom of jerusalem London 1894.

2 — Boase. T. S. R :

Kingdoms and strongholds of the crusaders 1971,

3 — Brehier. L :

L. Eglise et L orient latin au Mayen Age, paris 1928.

4 — Cahen :
La syrie du Nord au temps des croisades, paris 1940.

5 — Conder. C. R :

The Latin kingdom of jerusalem 1099—1291 A. D London 1897.

6 — Dodu. G :
Histoire des institutions manarchiques dans le Royaume Latin de jerusalem, paris 1894.

7 — Grousset. R :

A) Histoir des croisades et du royaum franca de jerusalam. 3 vols, paris 1936—1936 .
B) L, empire du Levant histoire de la quastion d,oriant. Paris 1946.

8 — Hussey. J. M :
The cambridge Medieval history- the Byzantine empire Byzantium and its neighbours, vol 4 part ! cambridg 1966.

9 — lorga. N :

Brieve histoire des croisades et des leur fandatian en terre slinte paris, 1924.

10 — Richard jean :
La Royaum Latin de jerusalem, paris 1953.

11 — La Mont :

a) (to what axtent was the Byzantine Empire the suzerain of the crusading states) in Byzantion, vol, VII 1932.

b) Feudal monarchy in the latin kingdom of jerusalem 1100 to 1291- America 1932.

12 — Lane pool :

Saladin and the fall of the kingdom of jerusalem London 1898.

13 — Martin : les primiers princes croises et les syriens jacobites de jerusalem in journal of Asiatique Society, London 1888.

14 — Mayer. H. E :

Queen Melisende of jerusalem, in Dumbrton oaks papers Columbia 1972.

15 — Miller. M :

Essays on the latin orient, London 1921.

16 — Michaud. M :

Historie des croisades, vols 7, paris, 1816.

17 — Ostrogorsky. G :

A History of the Byzantine state Oxford, 1956.

18 — Runciman :

A History of the crusades, 3 vols Benguin Books U.S.A, 1978.

19 — Rily Smith :

The templars and the castle of tortosa in syra an unknown document concerning the acquisition of th e fortress in the English Historical Review V. 84, 1969.

20 — Rey. E :

Resume chronologique de L, histoire des princes d,Antioche dans Revue de l,orient latin, paris 1896.

21 — Setton :

A History of the crusades, 2 vols Philadelphia and London 1955.

22 — Follor Thomes :

The historie of Holy Warre; cambridge 1640.

23 — Vasiliew. A. A :

A History of the Byzantine Empire, Madison, 1929, vol, 2.

رابعـا : المراجع العربية والمعربة :

١ — اسحاق تاوضروس عبيد (دكتور) :

روما وبيزنطة من قطيعة فوشيوس حتى الغزو اللاتينى لمدينـة قسطنطين ٨٦٩ — ١٢٠٤ م ، مصر ١٩٧٠ م .

٢ —

٣ — حسن حبشى (دكتور) :

نور الدين والصليبيون ، القاهرة ١٩٤٨ م .

٤ — سعيد عبد الفتاح عاشور (دكتور) :

الحركة الصليبية (جزءان) ، القاهرة ١٩٧٠ م .

٥ — السيد الباز العرينى (دكتور) :

نمو طبقة النبلاء الاقطاعيين بمملكة بيت المقدس فى القرن الثانى عشر الميلادى ، مجلة كلية الآداب ، جامعة القاهرة ، المجلد ٢٠ ، العدد الثانى ، ديسمبر ١٩٥٨ م .

٦ — الاقطاع الحربى عند الصليبيين بمملكة بيت المقدس فى القرنين الثانى والثالث عشر الميلادى ، مطبعة نهضة مصر .

٧ — باركر (ارنست) :

الحروب الصليبية تعريب السيد الباز العرينى ، القاهرة ١٩٦٠ م.

فهرس الكتاب

الصفحة

مقدمة المؤلف . . . . ٣ — ٦

التمهيد

نظام الوراثة فى مملكة بيت المقدس — خصائص الملكية — التحول من حق الانتخاب الى حق الوراثة ٧ — ١٤

الفصل الأول

بلدوين الثانى يضع قاعدة قانونية خاصة بوراثة النساء فى مملكة بيت المقدس — استدعاء فولك من فرنسا وزواجه من الأميرة مليسند وريثة العرش — وصول فولك ومليسند الى عرش بيت المقدس — محاولة فولك التخلص من زوجته مليسند للانفراد بالحكم — قيام هيو صاحب يافا بثورة ضد الملك فولك — فشل فولك فى ابعاد مليسند عن السلطة ١٥ — ٣١

الفصل الثانى

قيام مليسند بالوصاية على ابنها بلدوين الثالث وتتويجه معها ملكا على بيت المقدس — عجز الملكة مليسند فى الدفاع عن شمال الشام وسقوط مدينة الرها فى يد عماد الدين زنكى — وصول الحملة الصليبية الثانية — فشل الحملة الصليبية الثانية فى تحقيق الهدف الذى جاءت من أجله بسبب الصراع الخفى على السلطة بين مليسند وبلدوين الثالث — انقسام مملكة بيت المقدس الى حزبين ونجاح بلدوين الثالث فى ابعاد مليسند عن السلطة . . . ٣٢ — ٧٣

الصفحة

الفصـل الثـالث

اشتداد الصراع الحزبى بعد وفاة الملك بلدوين الثالث ومعارضة ترشيح عمورى لعرش المملكة — وصول عمورى الى العرش بصعوبة ومقاومة أنصـار بلدوين الثالث لحكمه — مشروع عمورى لغـزو مصر — ارتماء عمـورى فى أحضـان الدولة البيزنطية — فشل حملات الملك عمورى على مصر ٧٤ — ٩٩

الفصـل الرابع

اختيار بلدوين الرابع ملكا على الصليبيين ولم يتجاوز سن الثالثة عشر حينذاك — وصاية ريموند الثالث أمير طرابلس على مملكة بيت المقدس — نشـوب النزاع بين حزب البلاط والحزب الذى يسـاند ريموند الثالث — استقرار صلاح الدين الأيوبى فى مصر وعجز الصليبيين فى الوقوف ضده بسبب خلافاتهم الداخليـة — توقف ريموند الثالث عن الوصاية — زواج سبيلا أخت الملك بلدوين الرابع من جاى لوزجنان — وصاية جاى على مملكة بيت المقدس ونزاعه مع الملك بلدوين الرابع — وصول جاى لوزجنان الى عرش مملكة بيت المقـدس — انهيار القوة العسكرية الصليبية فى حطين على يد صـلاح الدين الأيوبى . . . . ١٠٠ — ١٥٥

الملاحـق . . . . ١٥٧ — ١٧٨

المصادر والمراجع . . . . ١٧٩ — ١٨٩

مطبعة الجبلاوى

٢٠٢ شارع الترعة البولاقية ـ شبرا

رقم الايداع بدار الكتب ١٩٨٤/٥٨٥١